



موقعة الحرّة

(63 هـ / 683 م)

دراسة في الروايات التاريخية

من القرن الثاني الهجري – القرن الرابع الهجري

Al –Harrah Battle (63HC-683AC)

A study in the Historic Accounts from the second to the Fourth HC

إعداد الطالب

حسن الجمل

لجنة المناقشة

د. عامر بركات (رئيساً)

د. محسن يوسف

د. عدنان ملحم

"قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت ، فلسطين "

موقعة الحرّة

(63 هـ / 683 م)

دراسة في الروايات التاريخية
من القرن الثاني الهجري – القرن الرابع الهجري

إعداد الطالب

حسن سعيد محمود الجمل

لجنة المناقشة :

المشرف : د. عامر بركات

د. محسن يوسف

د. عدنان ملحم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمَّا بَعْدُ فَعَسَىٰ أَعْزَمُ الْمَوْلَىٰ فِئْتَانًا يَنفِرَانِ

إهداء

إلى من علمني أبجدية الحياة ومعانيها... إلى روح

والذي الطاهرة رحمه الله

إلى من بدفء عطائها يكبر الأمل... أمي الحنونة أطال الله عمرها

إلى من نشأت بينهم ومعهم وكانوا السند.....

أشقائي وشقيقاتي

إلى من أضاءت لي بحبها الحلم ليصبح حقيقة....

زوجتي الغالية أم أنس

إلى من أرى بابتسامتهم للغد معنىً وجمالاً... أطفالي الأحياء

تالا، ليينا، أنس ومحمد

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساندني في إنجاز هذا العمل وإخراجه إلى النور وأخص بالذكر.

- الدكتور عامر بركات لما كان له من دور إرشادي مميز

- أعضاء لجنة المناقشة: الدكتور محسن يوسف

الدكتور عدنان ملحم

- الدكتور موسى سرور والدكتور هاني أبو الرب

- الأستاذ الدكتور حسن السلوادي

- مكتبة جامعة بيرزيت

- مكتبة بلدية البيرة العامة وأخص بالذكر الأخت عزة جبر

- مكتبة بلدية رام الله العامة

- مكتبة مسجد جمال عبد الناصر

إليهم جميعاً شكري وتقديري

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
1	فهرس المحتويات
2	الملخص
4	Abstract
6	مقدمة
9	الفصل الأول
	وقفة مع (إخباري و مؤرخي) موقعة الحرّة
51	الفصل الثاني
	أسباب موقعة الحرّة ودواعيها من وجهة نظر الإخباريين والمؤرخين
	الفصل الثالث
69	مجريات الموقعة
70	• تجهيز الحملة الشامية وخط سيرها
91	• استعداد أهل المدينة لمواجهة الجيش الشامي
102	• اقتحام المدينة والقضاء على الثورة
	الفصل الرابع
117	نتائج المعركة
118	• أعداد القتلى
126	• نهب المدينة
132	• أخذ البيعة ليزيد
145	• الاعتداء على النساء
148	خاتمة الدراسة
150	قائمة المصادر والمراجع
160	الخارطة

ملخص

تبحث هذه الدراسة في كيفية تناول إخباري ومؤرخي القرن الثاني، وحتى القرن الرابع الهجري لدقائق موقعة الحرّة وأحداثها في المدينة المنورة عام 63هـ/683م أثناء حكم الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، حيث خرج أهل المدينة على يزيد وخلعوه من الحكم، كما قاموا بطرد عامله على المدينة ، وحاصروا بني أمية ومواليهم في بيت مروان بن الحكم، ومن ثم طردهم من المدينة على الرغم من أنهم بايعوه سابقاً.

وقد لوحظ من خلال الدراسة أن ثمة تبايناً كبيراً بين الروايات التاريخية من إخباري إلى آخر، ومن مؤرخ إلى آخر ، ولهذا تقوم الدراسة بعملية فحص لأولئك الأخباريين، وتتبع مدى قرب هذا الإخباري أو ذلك من الحدث زماناً ومكاناً، ومعرفة انتمائه المذهبي وولائه السياسي، وتتبع مصادر رواياته، وذلك بالرجوع إلى سندها لمعرفة سبب هذا التباين والاختلاف فيما بينهم. كما تتطرق إلى المؤرخين الكبار من باب اختيارهم لروايات الحرّة، وما أضافوا من جديد إلى روايات من سبقهم ، بحيث تبدأ من بداية القرن الثاني وتنتهي في نهاية القرن الرابع الهجري.

تتمثل إشكالية الدراسة في تناول أسباب تباين الروايات التاريخية المتعلقة بموقعة الحرّة من حيث: تفسير عوامل خروج أهل المدينة على حكم يزيد، وموقف يزيد منهم، وتجهيز الحملة العسكرية لقتالهم، وأعداد القتلى في صفوف أهل المدينة، وممارسات الجيش الشامي وسلوكه داخل المدينة بعد القضاء على المعارضة فيها من نهب للمدينة واعتداء على النساء، وأخذ البيعة ليزيد عنوة من أهل المدينة.

ولتحقيق هذا الغرض، استخدم الباحث في هذه الدراسة أكثر من منهج ، حيث بدأ بالمنهج الوصفي لعرض أحوال أهل المدينة وأوضاعهم بشكل عام من جوانبها كافة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفحص التغيير الجذري الذي لحق بهم بعد نقل مقر الحكم من المدينة إلى الشام زمن الأمويين ، ثم استعان بالمنهج التحليلي عندما وقف أمام الروايات التاريخية ذات العلاقة بموقعة الحرّة من حيث تحليل سلسلة الرواة وانتمائهم المذهبي والسياسي وقربهم من الحدث زماناً ومكاناً من جانب، وتحليل متن الرواية وفهمها بشكل جيد من جانب آخر، حتى يتمكن الباحث إضافة التحليل للنص ومعطياته وظرفه التاريخي الذي ورد فيه، وتم تحليل الروايات ومقارنتها بين الإخباريين والمؤرخين المتأخرين للتعرف إلى ما أضافوه من نصوص لم تكن موجودة، أو حذف نصوص كانت موجودة في الروايات القديمة.

أما الدراسة من حيث المحتوى فتنقسم إلى أربعة فصول تليها الخاتمة. حيث تناول الفصل الأول عرضاً سريعاً لأبرز الإخباريين وأهم المؤرخين الذين تناولت رواياتهم موقعة الحرّة من حيث: أنسابهم، وانتمائهم القبلي والمذهبي والسياسي، وثقافتهم ومصداقيتهم وموقفهم من الحرّة

وتفسيرهم لها. أما الفصل الثاني فقد تناول عوامل وأسباب وقعة الحرة من وجهة نظر الإخباريين والمؤرخين، حيث لوحظ فيها تداخل في العوامل السياسية والدينية والاقتصادية، وذلك من خلال أسنة القادة أو "الفاعلين الأساسيين" في الموقعة. وقد وقف الفصل الثالث على مجريات موقعة الحرة من حيث: تجهيز الحملة العسكرية الأموية، واستعدادات أهل المدينة لمواجهة هذا الجيش. وفي الفصل الرابع تم استعراض ما آلت إليه الأمور بعد انتهاء الموقعة وما ترتب عليها من نتائج وفقا للروايات المختلفة. أما في الخاتمة فقد اظهرت وجود دور رئيس لابن الزبير في الموقعة، وأنه كانت هناك رغبة حقيقية لدى يزيد لإنهاء هذا الأمر سلميا مع أهل المدينة قبل الموقعة، وأنه كان هناك مبالغة في عدد القتلى، والاعتداءات، وأخلاقية التعامل العسكري من قبل الجيش الشامي نحو المدينة.

Abstract

This study considered the approach that the historians and *Ikhbariyeen* dealt with the events and details of Mawqi'at Al-Harrah in the first four AH centuries. This battle took place in 63 AH/ 683 AC during Yazeed Ben Muawya Ben Abi Sufian's rule. In this battle, the people of Medina took over Yazeed and expelled his governor. They also surrounded the Umayyad and their henchmen in Marwan Ben Alhakam's house then they expelled them out of the city.

This study showed that there were serious contrasts amongst the historians' and *Ikhbariyeen's* accounts relating to this subject. Therefore, this study examined to what extent those historians and *ikhbariyeen* were close to the events happened. In addition, it looked at their political affiliation and sectarian beliefs. This study also investigated the sources of their accounts in order to find out the reasons for the contrast. This research considered the main historians and *Ikhbariyeen* who wrote about Mawqi'at Al-Harra, so as to look into what they added to their precedents' accounts. This included the accounts between second and fourth AH centuries.

This study faced a difficulty in studying the reasons for the variation in the accounts of Mawqi'at Al-Harra. This included analyzing the factors that the people took over Yazeed, Yazeed's position, organizing the military mission to fight the repels, the number of the dead in Medina, the behaviour of the Levant's army in Medina after taking over the city where they looted it, raping women, and taking the control of the city by force and handing it over to Yazeed.

In order to achieve this, this study used more than one historical method. It first started with a descriptive approach in order to show the general situations occurred in Medina. This included the political, economic, social, and cultural ones. It also looked at the basic changes happened after transferring the capital from Medina to Damascus during the Umayyad period. This research used a comparative analytical approach regarding the accounts to examine the series of the narrators, their political affiliation, and sectarian beliefs, and their relation to the events in matters of time and location. On the other hand, this approach studied the attributes of the narrators carefully in order for the researcher to be able to analyze their stories and compare them to both the recent historians and their accounts, and to look at what they added to, or dismissed from the earliest narrations.

This research is divided into four chapters followed by a conclusion. The First Chapter looked at the historians and *Ikhbariyeen* whose accounts were studied in this research. It considered their origins, political affiliation, sectarian beliefs, their tribes, culture, credibility, and both their position in Mawqi'at Al-Harrah, and the justification for that. The Second Chapter investigated the

factors and reasons for irrupting Mawqi'at Al-Harrah from points of view of the Historians and *Ikhbariyeen*. This study observed that their opinions were affected by political, dogmatic, and economic factors. The Third Chapter looked into the happenings of Mawqi'at Al-Harrah including preparing the Umayyad military mission, and the preparation of the people of Medina to confront this mission. The Fourth Chapter studied the consequences of Mawqi'at Al-Harrah according to some different accounts. The Conclusion showed that Ibn Azzubayr was a key role in this battle. It also demonstrated that Yazeed had a sincere desire to finish the dispute with the people of Medina peacefully before the start of the battle. In addition, the conclusion pointed up that there was exaggeration in the number of the dead after the battle, offences, and the treatment of the Levant's army against the people of Medina.

حظيت دراسة التاريخ الأموي بشكل عام، وتاريخ يزيد بن معاوية بشكل خاص باهتمام عدد من الباحثين والمؤرخين لأهميتها التاريخية ودورها الريادي في الصراع مع المعارضة. وعلى الرغم من كثرة الأبحاث والمؤلفات التي تناولت معظم الجوانب السياسية والاقتصادية والفكرية، والصراع على الحكم، فإن هناك العديد من القضايا التي ما زالت هامشية، ولم تحظ بالدراسة والتحليل من قبل الباحثين.

كانت فترة حكم يزيد بن معاوية (ت64هـ / 683م)، من بدايتها الى نهايتها حافلة بالأحداث التاريخية المهمة حيث يقول البعض إنه بدأ حكمه بموقعة كربلاء 60 هـ / 680 م بينما آخر الأحداث الهامة في عهده كانت موقعة الحرة في المدينة عام 63 هـ حين قام أهل المدينة بالخروج على يزيد وخلعوه من الحكم، كما قاموا بطرد عامله على المدينة، وحاصروا بني أمية ومواليهم في بيت مروان بن الحكم، ومن ثم طردوهم من المدينة على الرغم من أنهم بايعوه سابقاً. ومع ذلك فإن احداً من الباحثين لم يتطرق في دراسته للروايات التاريخية ذات العلاقة بموقعة الحرة، حيث يلاحظ أن هناك تبايناً كبيراً بين الروايات التاريخية من إخباري إلى آخر، ومن مؤرخ إلى آخر. لهذا سوف تبدأ الدراسة بعملية فحص لهؤلاء الأخباريين وتتبع مدى قرب هذا الإخباري أو ذاك من الحدث زماناً ومكاناً ومعرفة انتماؤه المذهبي وولائه السياسي وتتبع مصادر رواياته، وذلك بالرجوع إلى سندها لمعرفة سبب هذا التباين والاختلاف فيما بينهم. كما ستتطرق إلى المؤرخين الكبار من باب اختيارهم لروايات الحرة، وما أضافوا من جديد على روايات من سبقهم، وستتبع الدراسة الروايات والكتابات التاريخية التي تعود للفترة الزمنية الواقعة بين القرن الثاني والقرن الرابع للهجرة.

تتمثل إشكالية الدراسة في تناول أسباب تباين روايات المؤرخين في موقعة الحرة من حيث: تفسير عوامل خروج أهل المدينة على حكم يزيد، وموقف يزيد منهم، وتجهيزات الحملة العسكرية لقمعهم، وأعداد القتلى في صفوف أهل المدينة، وممارسات الجيش الشامي وسلوكه داخل المدينة بعد القضاء على الثورة من نهب وهتك للأعراض، وأخذ البيعة عنوة ليزيد من أهل المدينة.

يمكن رد الاختلاف والتباين بين روايات الإخباريين لفرضيات عدة أهمها: إن تدوين الروايات التاريخية الإسلامية الأولى، ومنها روايات موقعة الحرة جاءت بعد الحادثة بفترة طويلة، حيث دونت في القرن الثاني الهجري. وقد وصلت هذه الروايات للمؤرخين الذين دونوها في مؤلفاتهم التاريخية عن طريق المشافهة بعد أن تناولها الرواة والقصاص جيلاً بعد جيل، مما عرضها للزيادة والنقصان والتحريف. كما أن كتابة تاريخ بني أمية قد تمت في عهد أعدائهم العباسيين، فكان من الطبيعي أن لا يكتب بروح نزيهة ومحيدة بسبب الاختلافات

السياسية والفقهية والأحقاد الشخصية بينهما من أجل تبرير إسقاط العباسيين للخلافة الأموية، وإضافة الشرعية على الخلافة العباسية. بالإضافة إلى العامل المذهبي الذي أدى دوراً محورياً في صياغة الروايات التاريخية، وبخاصة بعد أحداث الفتنة التي وقعت على أثر مقتل عثمان بن عفان وظهور أكثر من توجه لدى الرواة والمؤرخين، فناصر إخباريو ومؤرخو الشيعة علي بن أبي طالب ضد خصومه السياسيين واختلفوا معهم سياسياً وفقهياً. مما أدى إلى انعكاس ذلك على صياغة روايتهم التاريخية.

تأتي أهمية هذه الدراسة في أوليتها المتخصصة¹ في تناول الموضوع المطروح (موقعة الحرة) من خلال تتبع الروايات التاريخية ونقدها. فهي تتناول بالنقد والتحليل أثر الإخباريين والمؤرخين المسلمين في صياغة الحوادث التاريخية بناءً على انعكاسات منطلقاتهم السياسية والثقافية والمذهبية والقبلية..، وتنفيد هذه الانعكاسات داخل الرواية التاريخية، وما لحق بها من تباين وتضارب فعلي في محتوى هذه الروايات ومضمونها.

لتحقيق هذا الغرض، استخدم الباحث في هذه الدراسة أكثر من منهج، حيث بدأ بالمنهج الوصفي لعرض الأوضاع التي كانت عليها أحوال أهل المدينة بشكل عام من جوانبها كافة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفحص التغيير الجذري الذي لحق بهم بعد نقل مقر الحكم من المدينة إلى الشام زمن الأمويين، ثم استعان بالمنهج التحليلي حين وقف أمام الروايات التاريخية ذات العلاقة بموقعة الحرة مقارنة الروايات مع بعضها البعض وربطها بالانتماء المذهبي والسياسي للرواة وقربهم من الحدث زماناً ومكاناً من جانب، وتحليل متن الرواية وفهمها بشكل جيد من جانب آخر حتى يتمكن الباحث إضافة تحليله للنص ومعطياته وظرفه التاريخي الذي ورد فيه.

تعتمد الدراسة أساساً على المصادر الأساسية للروايات التاريخية من بداية القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري. واستعان الباحث بكتب التراجم والسير والفقهاء حين تناول سير الإخباريين والمؤرخين في الفصل الأول. كما استعان ببعض المراجع الأخرى المعاصرة.

أما الدراسة من حيث المحتوى فتتقسم إلى أربعة فصول تليها الخاتمة، فقد تناول الفصل الأول عرضاً سريعاً للحياة والانتماء لأبرز الإخباريين وأهم المؤرخين الذين تناولت رواياتهم موقعة الحرة. أما الفصل الثاني فقد تناول العوامل التي أدت إلى هذه الموقعة من وجهة نظر

¹ لم تقم دراسة تحليلية مقارنة للروايات التاريخية حول أحداث ووقائع موقعة الحرة، باستثناء محاولة الباحث محمد الشيباني في كتابه : مواقف المعارضة وحكم يزيد بن معاوية. الصادر عن دار البيارق في المدينة المنورة، حيث أفرد الباحث فصلاً كاملاً في دراسته عن موقعة الحرة وحاول أن يرجح بعض الروايات التاريخية على الأخرى مستنداً في ترجيحه هذا على الروايات التي تتفق مع الحديث النبوي كون الباحث خريج كلية قسم السيرة والتاريخ في جامعة المدينة المنورة، مما أدى إلى ضعف تحليله في بعض الجوانب.

الإخباريين والمؤرخين. وقد وقف الفصل الثالث على مجرياتها من حيث: تجهيز الحملة العسكرية

الأموية، واستعدادات أهل المدينة لمواجهة هذا الجيش. وتطرق الفصل الرابع إلى ما آلت إليه الأمور بعد انتهاء الموقعة، وما ترتب عليها من نتائج كما جاءت بها الروايات المختلفة. أما الخاتمة فتحتوي على أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة المتمثلة بوجود قوى سياسية لعبت دوراً محورياً في أحداث موقعة الحرة وأن هناك رغبة حقيقية لدى الأمويين من أجل عدم إراقة دماء أهل المدينة وحل المسألة بالطرق السلمية كما إستنتجت الدراسة أن هناك مبالغة في عدد القتلى وسلوكيات وأخلاقيات الجيش الشامي أثناء الموقعة وبعدها.

الفصل الأول

وقفة مع إخباريي ومؤرخي موقعة الحرّة

سيتناول هذا الفصل الإخباريين الذين تناولوا موقعة الحرة، وستتبع الروايات التاريخية ذات العلاقة حسب تسلسلها الزمني. كما سيتطرق إلى المؤرخين الكبار الذين تحدثوا عن موقعة الحرة، وما اضافوا من جديد إلى روايات من سبقهم. هذا من ناحية الموضوع أما من ناحية الزمنية فسيفحص الفصل الأخباريين والمؤرخين الذين عاشوا في القرن الثاني وحتى نهاية القرن الرابع الهجري.

يأتي في مقدمة أولئك الإخباريين، الزُّهري (ت 124هـ/742م) وهو محمد بن مسلم¹ بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب² بن عبد الله بن الحارث³ بن زهرة بن كلاب بن مرة⁴ ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري⁵ الذي يلتقي بنسبه مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أمه وأبيه⁶ ويكنى أبا بكر⁷.

¹ ابن النديم، الفهرست، اعتنى به وعلق عليه الشيخ إبراهيم رمضان. ط1، (بيروت: دار المعرفة، 1994). ص124؛ محمد بن سعيد بن منيع الزهري، ابن سعد (ت 230هـ). كتاب الطبقات الكبير. تحقيق: علي محمد عمر. ط1، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 2001). ج7، ص439_449. ؛ محمد بن عبد الرحمن بن مسلم، ابن قتيبة (ت 276هـ). المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط6 (دون مكان نشر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992). ص 472؛ عبد الرحمن بن ابي حاتم التميمي الحنظلي، الرازي (ت 327هـ). الجرح والتعديل. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002). ج8، ص 84 — ص87؛ الدار علي بن عمر بن أحمد، القطني (ت 385هـ). ذكر أسماء التابعين. تحقيق: بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت. ط1. (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1985). ج1. ص313؛ احمد بن عبدالله، الأصفهاني (ت 430 هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. (بيروت: دار الفكر، 1996). ج 3، ص360 — ص 381؛ أبي اسحق الشيرازي (ت 476 هـ). طبقات الفقهاء. تصحيح ومراجعة خليل الميس. (بيروت: دار العلم). ص47 — 48؛ شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر، ابن خلكان (ت 681 هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. (بيروت: دار الثقافة، ب ت). م4 ص 177 — 179؛ جمال الدين ابي الحجاج يوسف، المزني (ت 742هـ) تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: الشيخ أحمد علي عبيد وحسن أحمد الأغا. (بيروت: دار الفكر، 1994). ج 17، ص220 — ص 232؛ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، الذهبي (ت 748 هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1990). (حوادث ووفيات 121 — 140هـ) ص 227 — ص 249؛ شمس الدين محمد بن عثمان، الذهبي (ت 748هـ). سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الانزوط، ط7، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990). ج5، ص 326 — ص 350؛ ابن حجر احمد بن علي بن حجر شهاب السدي، العسقلاني الشافعي (ت 852 هـ). تهذيب التهذيب. باعتماد ابراهيم الزبيق وعادل مرشد، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996) ج3، ص696 — ص699؛ جمال الدين ابي المحاسن يوسف، ابن تغري بردي (ت 874هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. ج 1، ص 294 — ص 295؛ جلال الدين عبد الرحمن، السيوطي (911 هـ). طبقات الحفاظ. تحقيق: علي محمد عمر، ط2، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1994). ص 42 — ص 43؛ ابي فلاح عبد الحي، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من الذهب (1089هـ). (بيروت: دار الفكر، 1988)، ج 1، ص162_163؛ محمد بن عبدالله الحافظ، النيسابوري. معرفة علوم الحديث. اعتنى بشره وتصحيحه والتعليق عليه مع ترجمة المصنف. السيد معظم حسين، ط2، (بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1982)، ص240؛ وانظر أيضا:— عبد العزيز، الدوري. نشأت علم التاريخ عند العرب. ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005). ص20_23. فؤاد، سزكين. تاريخ التراث العربي. ترجمة: محمود فهمي حجازي. راجعه عرفة مصطفى سعيد عبد الرحيم، (السعودية: ادارة الثقافة والنشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، 1983). ص74_79. مصطفى شاكر. التاريخ العربي والمؤرخين. ط3، (بيروت: دار العلم للملايين، 1983)، ج1، ص 157_158؛ حارث سليمان، الضاري. "الامام الزهري واثره في السنن" (الموصل: منشورات مكتبة بسام، 1985). ص 21_30. كارل، بروكلمان؛ تاريخ الادب العربي. اشرف على الترجمة محمود فهمي حجازي، ترجمة: عبد الحلیم النجار وآخرون. (الهيئة المصرية للكتاب، 1993). (القسم الأول 1_2) ص 313_314؛ عبد الله بن محمد حسن، دمغو. مرويات الامام الزهري المعلقة. ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1999م، ص17_27. عبد العزيز، سالم. التاريخ والمؤرخون العرب. (الاسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة، 2001). ص 58_61؛ طارق محمد فضله، العزام. النفقات المالية في عهد عثمان بن عفان واثرها في الفتنة (42_53 هـ/446_556م)؛ الاردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، 2003). ص17_18_566_565. P. M.LECER.AL ZUHRI.E.I2.VX1.2002.

² ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 272؛ الرازي، الجرح، ص 85.

³ المزني، مصدر سابق، ص 220.

⁴ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 121 — 140هـ)، ص 227.

⁵ المزني، مصدر سابق، ص 220.

⁶ دمغو، مصدر سابق، ص 18.

⁷ الرازي، مصدر سابق، ص 85؛ الدار قطني، ذكر، ص 313.

ولد الزهري في المدينة¹ ، واختلفت الروايات في تحديد تاريخ ولادته ، فذكرت أربعة تواريخ لذلك: سنة 50هـ/760 م²، سنة 51هـ/671 م³ ، سنة 56هـ/675 م⁴، سنة 58هـ/677 م⁵، ويعود هذا الاختلاف في تحديد تاريخ ولادته لكونه شخصية مغمورة من عامة الناس ، فلم يحفل المؤرخون بتاريخ ميلاده إلا بعد أن اشتهر وذاع صيته فقدروها تقديراً ، والأرجح أنه ولد سنة 51هـ ، لأنه توفي سنة 124هـ عن عمر يناهز 73 سنة ، وهذا ما رجحته دراسة حديثة معمقة تناولت حياته ، نقلاً عن بعض المؤرخين⁶.

شهد جده (عبد الله بن شهاب) معركة بدر مع المشركين، وتعاقد مع طائفة منهم يوم أحد على قتل النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وانضم والده (مسلم بن عبيد الله) إلى جانب ابن الزبير⁷ في قتاله لبني أمية حيث توفي وهو في ريعان شبابه⁸ تاركاً على أسرته ديناً كبيراً، تحمل ولده محمد مسؤولية سداده⁹، مما اضطره للعمل في سقاية الماء في المدينة¹⁰ قبل أن ينتقل إلى الشام بحثاً عن الرزق¹¹.

تلقى ابن شهاب العلم في المدينة المنورة وتلمذ على أيدي كبار العلماء فيها¹²، وتنتقل بين الشام والحجاز أكثر لفترة تزيد على خمسة وأربعين عاماً طلباً للعلم¹³ قبل أن يستقر به المطاف في الشام¹⁴ حتى صار الزهري أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام¹⁵ ومن الثقات¹⁶، كان محدثاً¹⁷، كثير العلم والرواية والكتابة¹⁸، فقيهاً¹⁹ حافظ أهل زمانه²⁰،

¹ الضاري، مصدر سابق، ص25؛ ذكر مارسون جونز انه ولد في مكة وليس في المدينة، انظر: مارسون، جونز. مقدمة تحقيق كتاب المغازي للواقدي (207هـ). (الاسكندرية: دار ابن خلدون، د.ت.). ج1، ص22؛

² الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 121-140هـ) ، ص227؛ ابن تغري بردي، مصدر سابق، ص295؛

³ ابن حجر العسقلاني، تهذيب ، ص698؛ ابن خلكان، مصدر سابق، ص178؛

⁴ المزني، مصدر سابق، ص231.

⁵ المزني، مصدر سابق، ص231.

⁶ الضاري، مصدر سابق، ص27.

⁷ ابن قتيبة، مصدر سابق ، ص272.

⁸ الضاري، مصدر سابق ، ص27.

⁹ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 121-140هـ) ، ص232.

¹⁰ الذهبي، تاريخ، مصدر سابق، ص232.

¹¹ الذهبي، تاريخ، مصدر سابق، ص232.

¹² سالم، التاريخ ، ص58.

¹³ الأصفهاني، حلية ، ص362.

¹⁴ المزني، مصدر سابق، ص229.

¹⁵ الدارقطني، ذكر . ج1، ص313؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب ، ج3، ص696؛ الذهبي، سير ، ج5، ص335؛ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 121_140). ص

239؛ ابن تغري بردي، ج1، ص294؛ السيوطي، مصدر سابق، ص42؛ وانظر أيضاً: دمعو، مصدر سابق، ص1، ص23.

¹⁶ الأصفهاني، حلية، ج3، ص360؛ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 121_140) ص239؛ الذهبي، سير، ج5، ص341؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج3،

ص696؛ النيسابوري، مصدر سابق، ص240؛ الدارقطني، ذكر، ج1، ص313؛ المزني . تهذيب، ج17، ص226؛

¹⁷ ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص177؛ ابن حجر، تهذيب، ج3، ص696؛ الأصفهاني، حلية، ج3، ص360؛ المزني، تهذيب، ج17، ص226؛ الرازي.

مصدر سابق، ج8، ص86؛ وانظر أيضاً سالم، التاريخ، ص52.

¹⁸ المزني، مصدر سابق، ج17، ص227؛ الدارقطني ، ذكر ج1، ص313؛ وأنظر أيضاً سزكين، مصدر سابق ، ج1، ص2، ج74؛ العزام، مصدر سابق ، ص17.

¹⁹ الرازي، مصدر سابق، ج8، ص87؛ ابن خلكان، مصدر سابق ، ج4، ص177؛ الدارقطني ، ذكر، ج1، ص313؛ المزني ، مصدر سابق ، ج17، ص226؛ ابن

عماد الحنبلي، مصدر سابق ، ج1، ص162؛ انظر أيضاً العزام ، مصدر سابق ، ص17؛ بروكلمان، تاريخ (القسم الأول 1-2)، ص313.

²⁰ الرازي ، مصدر سابق، ج8، ص85؛ ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج1، ص94؛ المزني، مصدر سابق، ج17، ص226؛ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات

121_140). ص227؛ السيوطي، مصدر سابق، ص43.

كما كان عالماً بتاريخ الأنبياء وأهل الكتاب، وعالماً بالعرب والأنساب¹، وقيل إنه أول من دوّن العلم وكتبه²، وهو أول من أسند الحديث³ ويعد الزهري أول من محص الروايات وجمع أسنادها في سند جمعي، بعد أن راعى تسلسلها التاريخي، مُبرزاً الأحداث المهمة، ومبتعداً عن الشّعْر رغم حبّه له⁴، كما نقل عنه كبار فقهاء عصره⁵.

وفد الزهري على مروان بن الحكم في دمشق⁶، وارتبط بعلاقات قوية مع بعض خلفاء بني أمية ما بعد عام 82هـ/702م، حيث اتصل بعبد الملك بن مروان⁷، الذي منحه الأموال وطلب منه التفرغ للبحث والعلم⁸، ثم عيّنه الخليفة سليمان بن عبد الملك (ت99هـ/717م) مستشاراً له⁹ وحظيَ بتقدير الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي كان يحبه ويثق بعلمه، ناصحاً أهل العلم بملازمته والتعلم منه¹⁰. واستقضاء الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م) مدةً من الزمن¹¹. ووضع هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) له كاتيبين يكتبان منه السنن¹²، وجعله معلماً وفتياً ومربياً لولديه¹³.

وعلى أثر هذه العلاقة القوية، اتهم الزهري من قبل المناوئين للدولة الأموية بأنه أفسد نفسه بصحبة الملوك والخلفاء¹⁴ واستغلال الأمويين له لإيجاد مادة دينية تخدم مصالح أسرتهم الحاكمة¹⁵.

وعلى الرغم من هذا القول، فقد أشارت بعض الروايات التاريخية إلى أنّ علاقة الزهري بخلفاء بني أمية لم تكن على نسق واحد من الوفاق والانسجام مع جميع الخلفاء، فقد ساءت علاقاته مع الخليفة هشام بن عبد الملك عندما طلب منه تأويل آية بأنها نزلت بحق علي بن

¹ -الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 121_140). ص 229؛ الذهبي، سير. ج 5، ص 328؛ ابن حجر. تهذيب. ج 3، ص 698؛ المزي. تهذيب مصدر سابق. ج 17، ص 228؛ الأصفهاني. حلية. ج 3، ص 361؛ مصطفى، مصدر سابق. ج 1، ص 157.

² -الذهبي. سير. ج 5، ص 334؛ الأصفهاني. حلية. ج 3، ص 363؛ مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 157.

³ -الرازي، مصدر سابق، ج 8، ص 87.

⁴ -الدوري، مصدر سابق، ص 21؛ مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 158. ملحم. عدنان محمد. "المؤرخون العرب والفتنة الكبرى" (القرن الأول_القرن الرابع) دراسة تاريخية منهجية، ط2. (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001)، ص 25.

⁵ -الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 121-140 هـ)، ص 227.

⁶ -مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 157.

⁷ -ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 472؛ ابن خلكان، مصدر سابق، م 4، ص 178؛ الذهبي. تاريخ (حوادث ووفيات 121_140). ص 232_233؛ الذهبي، سير، ج 5، ص 328.

⁸ -ابن خلكان، مصدر سابق، م 4، ص 177.

⁹ -ملحم، مصدر سابق، ص 23.

¹⁰ -الرازي. مصدر سابق. ص 85.

¹¹ -ابن قتيبة. مصدر سابق. ص 472؛ ابن خلكان. مصدر سابق. م 4، ص 178؛ الذهبي. تاريخ (حوادث ووفيات 121_140). ص 232_233؛ بروكلمان، تاريخ. (القسم الأول 1_2) ص 313.

¹² -الضاري. مصدر سابق. ص 43.

¹³ -الذهبي. تاريخ (حوادث ووفيات 121_140)، ص 233؛ الذهبي. سير. ج 5، ص 331؛ بروكلمان. تاريخ (القسم الأول 2_1) ص 313.

¹⁴ -الذهبي. سير. ج 5، ص 339.

¹⁵ -سزكين، مصدر سابق. م 1، ج 2، ص 75.

أبي طالب مع أنها بالحقيقة كانت بحق المناقنين¹، بالإضافة إلى ذمّه الدائم للوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت126هـ/744م) أمام الخليفة هشام بن عبد الملك، حيث ذكر أموراً عظيمة بحقه، طالباً من الخليفة هشام خلعه من ولاية العهد²، ولم يكتف بذلك، بل كان دائم الاشادة بعلي بن الحسين بن أبي طالب أمام الناس قائلاً: "انه لم يرَ في أهل بيته أفضل منه"³.

يعد الزهري من مؤسسي المدرسة التاريخية في المدينة والشام، وإليه يرجع الفضل في توضيح خطوط السيرة⁴، وقد صنف أكثر من سبعة مؤلفات تحدثت عن المغازي ونسب قريش، وأسماء الخلفاء، والناسخ والمنسوخ في القرآن، والأحاديث، وتنزيل القرآن، ومشاهد النبي، وله مقطوعة من أربعة أبيات ترجع إلى فترة عبد الملك بن مروان⁵. والذي وصلنا من مؤلفاته التاريخية يُشير إلى أنه لم يعالج الفترة الأموية، على الرغم من إجابته على أسئلة الوليد التي تتعلق بأعمار خلفاء بني أمية، حيث كتب أعمارهم والمدة التي قضاها كل منهم في الحكم⁶، كما تناول فترة الخلفاء الراشدين بتفاصيلها الدقيقة، وهذا الأمر كشف عن "الاهتمام بتجارب الأمة الإسلامية الأولى، وكان عاملاً آخر له أهميته في نشأة الكتابة التاريخية"⁷.

وُجِدَت أحمالٌ من كتبه لدى الأمويين نُقِلت على البغال من كثرتها⁸. وكان أول مدوّنِي التاريخ الإسلامي⁹، فكتب مغازي الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأعطى السيرة النبوية إطارها الذي نعرفه، وتناول عهد الراشدين ومطلع الأيام الأموية بأسلوبٍ تقصّي فيه الأخبار من أصحابها¹⁰.

أورد المؤرخون للزهري روايتين عن موقعة الحرّة جاءتا في أربعة مصادر تاريخية مختلفة¹¹ تكررت أحدهما ثلاث مرات. أما الرواية الثانية فقد تخللها ثلاثة أبيات من الشعر، وقد عكست روايات الزهري وجهة نظر أهل المدينة حول حيثيات أحداث الحرّة. واتسمت بالإيجاز والتخصّص مع خلوها من أي ألفاظ حادة لأي طرف من أطراف الصراع. وقد استقيت بصورة مباشرة من مؤلفاته أو بصورة غير مباشرة، وقد نقلها المدائني عن أشياخ من أهل المدينة.

1- الذهبي. سير، ج5. ص340 ((والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم))/القرآن الكريم /سورة النور الآية11 سأل هشام الزهري عن حادثة الإفك من هو الذي تولى كبره ؟ ، فقال الزهري : عبد الله بن أبي بن سلول، مخالفاً هشام بأن الآية نزلت بحق علي بن أبي طالب.
2- الذهبي. سير. ج5، ص341؛ الضاري. 1 مصدر سابق، ص43.
3- الذهبي، سير. ج1، ص345.
4- الدوري، مصدر سابق ، ص83؛ مصطفى، مصدر سابق ، ص159؛ سالم، التاريخ، ص60.
5- سزكين. مصدر سابق. ص77_79؛ سالم، التاريخ، ص60.
6- الدوري. مصدر سابق. ص83؛ مصطفى مصدر سابق، ص158؛ سالم، التاريخ، ص60.
7- الدوري، مصدر سابق، ص84؛ مصطفى، مصدر سابق، ص158؛ سالم . مصدر سابق، ص60.
8- الذهبي. تاريخ (حوادث ووقيات 121_140). ص233.
9- مصطفى. مصدر سابق، ص158.
10- مصطفى. مصدر سابق، ص158.
11- الإمامة والسياسة. ج1، ص177؛ ابن عسّكر. مصدر سابق، ج54، ص184؛ ابن الجوزي. مصدر سابق، ج6، ص16؛ ابن كثير الدمشقي. ج5، ص732_733.

أما **عوانة بن الحكم** (ت 157هـ/764م)¹ فهو **عوانة بن الحكم بن عوانة**² بن **عياض**³ بن **وزر بن عبد الحارث**⁴ بن **أبي حصن بن ثعلبة بن جبير**⁵، ينتهي نسبه إلى **عامر بن النعمان الكوفي**⁶، ويكنى **أبا الحكم**⁷ وقيل **كني أبا الحكم الكوفي**⁸.

لم تذكر المصادر مكان ولادة **عوانة** وزمانها حيث ذكر **القفتي** ان **أباه** من **أهل الكوفة**⁹ وبما أنه حمل لقب **أبي الحكم الكوفي**، فربما كانت ولادته في المدينة التي حمل اسمها والتي ولد فيها، ورجحت بعض الدراسات الحديثة فترة ولادته قبل سنة 90هـ/709م¹⁰ مستدلين بذلك بما ذكره **الحموي** أن **عوانة** التقى **ذا الرمة** المتوفى سنة 117هـ/735م¹¹ ويسود الاعتقاد أن ولادته كانت بين العقد الثامن والعقد التاسع للهجرة دون تحديد سنة معينة لعدم وجود دليل في المصادر العلمية.

اختلفت المصادر في الأصول الأسرية ل**عوانة**، فبعد أن أشار بعضها إلى أنه ينحدر من أسرة متواضعة حيث كان جده **لوالده** عبداً **خياطاً**¹² وجدته أمة **سوداء** **لآل خريم بن فاتك الأسدي**¹³، وله أخوة **موالي**¹⁴، أكدت مصادر أخرى أن والده **الحكم بن عوانة** كان له قدر كبير في عصره حيث ولي مرات عدة ولايات كثيرة، وكان عالماً بأيام العرب وأنسابهم، وأديباً أيضاً¹⁵. وفي الوقت نفسه كان **لعوانة** أخ يقال له **عياض** حيث ورث عن أبيه العلم، وكان نحويّاً وأديباً فعلم معلماً في **إفريقيا** (تونس)¹⁶.

¹ راجع عنه: ابن النديم. مصدر سابق. ص 119-120؛ الحموي. معجم الأبناء، (بيروت: دار الفكر، 1980). ط 1، ج 16، ص 134-139؛ جمال الدين أبي المحاسن علي بن يوسف القفتي (ت 624هـ). أنباه السرواة على أنباه النجاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (بيروت: المكتبة العصرية، 2004). ج 2، ص 361-363؛ اللذهبي. سير. ج 7، ص 201. ابن حجر احمد بن علي، العسقلاني (773-852هـ). لسان الميزان. اعتنى بإخراجه وطباعته سلمان عبد الفتاح أبو غدة. ط 1. (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2002). ج 2، ص 247؛ صلاح الدين خليل بن بيك. نكت الهميان في نكت العميان. ط 1. (بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، 2000). ص 222-223؛ وانظر أيضا: مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 179-180؛ سزكين. مصدر سابق، ج 1، ص 2، ج 127. الدوري. مصدر سابق، ص 32-33؛ ملحم. مصدر سابق. ص 25-26. P76. I. 1960. V. I. LKLB. I. E. I. 2. SALEH_AL_Ali.AWANA.B.AL HAKAM_A

مرغوليث، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، بيروت: دار الثقافة، ب، ت، ص 97-98.

² القفتي، مصدر سابق، ج 2، ص 361.

³ ابن حجر، لسان، ج 6، ص 247، ص 119؛ الذهبي، سير، ج 7، ص 201.

⁴ ابن النديم، مصدر سابق، ص 119.

⁵ الحموي، مصدر سابق، ج 16، ص 134.

⁶ الصفدي، مصدر سابق، ص 222.

⁷ ابن النديم، مصدر سابق، ص 119؛ الحموي؛ مصدر سابق، ج 16، ص 134.

⁸ الذهبي، سير، ج 7، ص 201.

⁹ القفتي، مصدر سابق، ج 2، ص 361.

¹⁰ سزكين، مصدر سابق، ص 127.

¹¹ الحموي، مصدر سابق، ج 16، ص 135.

¹² ابن حجر، لسان، ج 16، ص 247.

¹³ الحموي، مصدر سابق، ج 16، ص 134.

¹⁴ الصفدي، مصدر سابق، ص 222.

¹⁵ القفتي، مصدر سابق، ج 2، ص 361.

¹⁶ الحموي، مصدر سابق، ج 16، ص 139.

روى عوانة العلم عن طائفة من التابعين¹ وروى عنه كثير من أعيان العلم، وخاصة المدائني² والهيثم بن عدي³ وهشام الكلبى⁴.

أشارت بعض المصادر الى أن عوانة كان من علماء أهل الكوفة الكبار⁵، ورواياً للأخبار⁶، وعلى دراية كبيرة بالأنساب⁷ والشعر⁸، كما كان قصاصاً ماهراً⁹، عالماً بالآثار وأخبار الناس¹⁰. روى عن التابعين¹¹، وهو ثقة¹²، صادق في نقله¹³، ولم يذكره المؤرخون والفقهاء بجرح ولا تعديل¹⁴.

تعرض عوانة لانتقادات كثيرة بسبب تركه الإسناد، وعدم الاهتمام به حيث قال: "أنا تركت الحديث بغضا بالإسناد وليس أراكم تعفوني منه في الشعر"¹⁵. كما اتهم انه كان عثمانياً يضع الأخبار لبني أمية¹⁶. ويعود هذا الاتهام بسبب رواياته التي أخذت طابع الميل للأمويين. وأن معظم رواياته مستقاة من قبيلة كلب الموالية للأمويين¹⁷.

تشير بعض الدراسات إلى أن عوانة التزم الحياد بين الأمويين والعلويين، فلم يتعصب لجهة دون أخرى¹⁸. ولم يهمل الآراء المعارضة للأمويين، ولم يهمل أيضاً الروايات العراقية والمدنية¹⁹.

¹ الذهبي، لسان، ج7، ص201؛ الصفي، مصدر سابق، ص222؛ ابن حجر، لسان، ج6، ص247.

² الحموي، مصدر سابق، ج16، ص134.

³ سالم، التاريخ، ص69.

⁴ سزكين، مصدر سابق، ج1، ص127.

⁵ ابن النديم، مصدر سابق، ص119؛ القفطي، مصدر سابق، ج2، ص361؛ الحموي، مصدر سابق، ج16، ص137؛ الذهبي، سير، ج7، ص201؛ ابن حجر، لسان، ج6، ص247؛ الصفي، مصدر سابق، ص222؛ وانظر أيضاً، مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص179؛ سالم، التاريخ، ص69؛ سزكين، مصدر سابق، ج1، ص2، ص127؛ الدوري، مصدر سابق، ص32.

⁶ ابن النديم، مصدر سابق، ص119؛ ابن حجر العسقلاني، لسان، ج6، ص247؛ الصفي، مصدر سابق، ج222؛ سالم، التاريخ، ص69؛ سزكين، مصدر سابق، ج1، ص2، ص127.

⁷ ابن النديم، مصدر سابق، ص119؛ الدوري، مصدر سابق، ج32، ص25؛ سالم، التاريخ، ص69؛ سزكين، مصدر سابق، ج1، ص2، ص127.

⁸ ابن النديم، مصدر سابق، ص119؛ مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص179؛ سالم، التاريخ، ص69؛ ملحم، مصدر سابق، ص25؛ سزكين، مصدر سابق، ج1، ص2، ص127.

⁹ سزكين، مصدر سابق، ص127.

¹⁰ ابن النديم، مصدر سابق، ص119؛ الصفي، مصدر سابق، ص222؛ مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص179؛ سالم، التاريخ، ص69؛ سزكين، مصدر سابق، ص127.

¹¹ ابن حجر، لسان، ج6، ص247؛ الصفي، مصدر سابق، ص222.

¹² الحموي، مصدر سابق، ج16، ص134؛ ملحم، مصدر سابق، ص25.

¹³ الذهبي، سير، ج7، ص201؛ الصفي، مصدر سابق، ص222؛ ملحم، مصدر سابق، ص25.

¹⁴ الصفي، مصدر سابق، ص222؛ ملحم، مصدر سابق، ص25.

¹⁵ الحموي، مصدر سابق، ج16، ص137.

¹⁶ ابن حجر، لسان، ج6، ص247؛ الحموي، مصدر سابق، ج16، ص137؛ الصفي، مصدر سابق، ص223.

¹⁷ الدوري، مصدر سابق، ص32؛ مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص180.

¹⁸ سالم، التاريخ، ص69.

¹⁹ الدوري، مصدر سابق، ص32؛ مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص180.

صنف عوانة كتاب التاريخ¹، تناولوا فيه مجريات الأحداث التاريخية والإسلامية في القرن الأول الهجري، حيث تحدث عن الخلفاء الراشدين والفتوح والصراع بين معاوية وعلي حتى تنازل الحسن عن الخلافة. وتناول أيضا أوضاع العراق والشام حتى نهاية حكم عبد الملك بن مروان (ت86هـ/705م)².

كما صنف كتاب سيرة معاوية وبني أمية³. والذي قيل إنه من تصنيف النجاشي بن الحارث في حين إنه لعوانة⁴. فقد تناول فيه خلفاء بني أمية⁵. حتى مروان بن محمد (132هـ/750م)⁶ وهو أول كتاب في التاريخ الإسلامي يخصص لخليفة ولأسرته الحاكمة⁷. ويعدُّ هذان الكتابان مرحلة مهمة في تطور التدوين التاريخي وكتابة التاريخ الإسلامي نحو الخلاص من تدوين القبيلة⁸.

أورد المؤرخون لعوانة بن الحكم 18 رواية عن موقعة الحرّة جاءت في خمسة مصادر تاريخية مختلفة⁹. وقد تضمنت هذه الروايات خطبة واحدة و3 أبيات من الشعر. واتسمت بالإيجاز والتخصص في تناول مواضيعها. لم تقدم روايات عوانة صورة متكاملة و مترابطة عن أحداث الحرّة علماً أنه استفرد بروايات لم يذكرها غيره من الإخباريين ، ولعل ذلك عائد إلى مصدر رواياته وهي قبيلة كلب التي يفخر بعلمها¹⁰.

مثل عوانة وجهة النظر الأموية للأحداث ، ولم يغفل أن يورد وجهة نظر أهل المدينة أيضا، ولهذا فقد اتسمت رواياته بالحياد ، وعدم التحيز لجهة معينة في نقله أحداث الحرّة. استقى المؤرخون روايات عوانة بصورة مباشرة من مؤلفاته وخاصة كتابه "سيرة معاوية وبني أمية" حيث يورد لفظ النقل المباشر مثل: "قال عوانة"¹¹. وبصورة غير مباشرة عن طريق عباس بن هشام بن محمد بن سائب الكلبى الذي كان له النصيب الأكبر في نقل رواياته¹². بالإضافة إلى الهيثم بن عدي¹³ والمدائني¹⁴.

1 - ابن النديم. مصدر سابق. ص 120؛ الذهبي. سير. ج 7، ص 201.

2- مصطفى. مصدر سابق. ص 69؛ ملحم مصدر سابق. ص 25.

3 - ابن النديم. مصدر سابق. ص 120؛ الذهبي. سير. ج 7، ص 201.

4 - ابن النديم. مصدر سابق. ص 120.

5- مصطفى . مصدر سابق. ص 69.

6- الدوري، مصدر سابق، ص 32؛ ملحم. مصدر سابق. ص 25.

7- مصطفى. مصدر سابق. ص 69.

8- الدوري ، مصدر سابق، ص 32_33.

9- انظر ، خليفة، مصدر سابق. ج 1، ص 149؛ البلاذري. مصدر سابق. ج 5، ص (338، 345، 347، 348، 349)؛ الطبري. مصدر سابق. ج 3، ص (355، 356، 357، 358)؛ ابن عساکر.

مصدر سابق، ج 2، ص 258_259، ج 4، ص 181. ج 5، ص 181. ج 5، ص 364_365؛ الذهبي. تاريخ (حوادث ووفيات 61_80هـ). ص 29.

10- الدوري. مصدر سابق. ص 32.

11- البلاذري. مصدر سابق. ج 5، ص 338؛ خليفة. مصدر سابق. ج 1، ص 149.

12 - انظر محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري. تاريخ الأمم والملوك "من سنة 36 للهجرة لغاية السنة 90 للهجرة. ط3 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م)

ج 3، ص (355، 356، 357، 358).

13- البلاذري. مصدر سابق. ج 5، ص 347_348.

14 - البلاذري مصدر سابق. ج 5، ص 349.

يعاصر عوانة أبو مخنف لوط بن يحيى (ت157هـ/774م)¹ بن مخنف بن سليمان وقيل ابن سليم² الأسيدي³، وعند ابن النديم في الفهرست الأزدي⁴. ينتهي نسبه إلى مناة بن غامد⁵ ويكنى أبا مخنف بالميم والخاء المعجمه والنون والفاء⁶.

ينتمي أبو مخنف إلى قبيلة الأزدي التي سكنت الكوفة، ولا يعرف بالتحديد سنة ميلاده، ولكن كان في سن الرجال عندما قامت ثورة ابن الأشعث سنة 82 هـ/701م، وكان صديقاً لمحمد بن السائب الكلبي⁷ ويعتقد أنه ولد بين العقدين الخامس والسادس للهجرة.

صحب جده مخنف بن سليم النبي (صلى الله عليه وسلم) وروى عنه⁸ وكان من رجال علي المخلصين له فولاه أصبهان⁹ ووقف إلى جانبه في صراعه مع معاوية، وكان على راية الأزدي يوم صفين¹⁰ بينما قتل أخوه عبد الله في معركة الجمل¹¹ فهو إذاً من بيت عرف بانتمائه وتأبيده للعلويين والتعصب لمذهبهم وسياستهم.

روى عن طائفة من مجهولين¹²، وذكر في رواياته أسماء رواة معاصرين له، واعتمد على رواياتهم ولم يأخذ عن الرواة المتقدمين بل جمع رواياته بعد أن سمع من الرواة بنفسه واستنسخ منهم¹³، ولهذا فإن إسناده للرواية كان اسناداً حقيقياً، ولم تكن مجرد صيغة أدبية كما فعل أقرانه الأقدم منه والأحدث. وسلسلة الرواة في رواياته والأسماء التي يذكرها دائماً كانت

¹ ابن النديم. مصدر سابق. ص122؛ ابن قتيبة، مصدر سابق، ص537؛ الحموي. مصدر سابق. ج17، ص41_43؛ محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، العقيلي المكي. الضعفاء الكبير، حققه ووثقه: عبد المعطي أمين قلعجي، السفر الرابع، ط2. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998). ص18_19؛ الرازي. مصدر سابق. ج7، ص247؛ أحمد بن عبدالله بن عدي الجرجاني، ابن عدي (ت365هـ) الكامل في ضعفاء الرجال. تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997). ج7، ص241؛ الدار قطنى، علي بن عمر (ت385هـ). الضعفاء والمتروكين. حققه وعلق عليه السيد صبحي الأندري السامرائي. ط2. (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986). ص146؛ ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. (بيروت: دار الجيل، دت). ص147؛ يوسف بن عبدالله بن محمد، ابن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد الجاوي. ط1. (بيروت: دار الجيل، ب ت). م4. ص1467؛ الذهبي. سير. ج7، ص301_302؛ شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان، الذهبي (ت748هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. (حوادث ووفيات 141_160هـ). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط2. (بيروت: دار الكتاب العربي، 1991). ص581_362؛ محمد بن شاكر، الكتبي (ت764هـ). فوات الوفيات. تحقيق: إحسان عباس. (بيروت: دار صادر، ب ت)، م3، ص225_226؛ ابن حجر. لسان. ج6، ص430_431؛ ابن تغري بردى. مصدر سابق. ج2، ص31.

وانظر أيضاً: الدوري، مصدر سابق، ص31_32؛ مصطفى. مصدر سابق، ج1، ص177_179؛ سالم، التاريخ. ص67_68؛ بروكلمان كارل. تاريخ الأدب العربي. الإشراف على الترجمة محمود فهمي حجازي. نقل الكتاب إلى العربية عبد الحليم النجار وآخرون. الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1993)، القسم الثاني 3_4، ص38؛ سزكين. مصدر سابق، م1، ج2، ص127_130؛ العزام. مصدر سابق. ص18_19؛ ملحم. مصدر سابق. ص27_29؛ مرغوليث، مصدر سابق. ص97-99. H.A.R.GiB.Abu MikhNAF.E.12.V1.1960.P140.

² ابن قتيبة، مصدر سابق، ص537؛ ابن عبد البر، مصدر سابق، م2، ص1467.

³ الكتبي، مصدر سابق، م3، ص225.

⁴ ابن النديم، مصدر سابق، ص122.

⁵ الحموي، مصدر سابق، ج17، ص41.

⁶ الكتبي، مصدر سابق، م3، ص225.

⁷ يوليويس، فلها وزن. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة محمد أبو ريده، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص ق.

⁸ ابن قتيبة، مصدر سابق، ص537؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص122.

⁹ ابن عبد البر، مصدر سابق، م4، ص1467.

¹⁰ الكتبي، مصدر سابق، م3، ص225؛ ابن عبد البر، مصدر سابق، م4، ص1467.

¹¹ ابن عبد البر، مصدر سابق، م4، ص1467.

¹² ابن عدي، مصدر سابق، ج7، ص241؛ الذهبي، سير، ج7، ص301؛ الذهبي (تاريخ) حوادث ووفيات، 141-160، ص581.

¹³ قهاوزن، مصدر سابق، ص ر

قصيرة جداً¹، ولهذا قيل عنه إنه غلب عليه طابعه الإخباري أكثر في كتاباته للأحداث التاريخية المهمة في صدر الإسلام².

روى عنه العديد من العلماء والمؤرخين، كان من أبرزهم علي بن محمد المدائني (225هـ/840م)³، وسوف يظهر ذلك بوضوح أثناء استعراض الروايات التاريخية لموقعة الحرّة في الفصول القادمة.

عكس أبو مخنف روايات أهل الكوفة مركز المعارضة للدولة الأموية، وقد مثلت رواياته وجهة نظر الخوارج والشيعة⁴، واعتمد على الروايات الخاصة بقبيلته، كما أفاد أيضاً من الروايات الكوفية الأخرى وروايات قبائل همدان وطيء وكندة وتميم إلى جانب روايات أهل المدينة⁵، ولهذا فقد مثلت روايات أبي مخنف الروايات العراقية، وانحاز في هواه إلى جانب أهل العراق على أهل الشام، ووقف إلى جانب علي ضد نظام الحكم الأموي⁶، ولكن رغم ذلك فإن أخباره بعمومها ليست متحيزة⁷، كما أنه لم يزيّف الوقائع، بل يمكن القول إنه أغفل في بعض الأحيان شيئاً لم يعجبه كإغفاله موقف عقيل بن أبي طالب الذي حارب إلى جانب أعداء أخيه علي يوم صفين⁸.

بدأ أبو مخنف بتأليف كتبه في عهد بني أمية حيث زادت مؤلفاته عن اثنين وثلاثين كتاباً⁹ وكان يعالج في كل كتاب من كتبه حادثة واحدة أو شخصية معينة أو موقعة محددة، وشملت مواضيع: الردة والفتوح والشورى وصفين والخوارج وأحداث العراق خلال العصر الأموي¹⁰، ولم يهمل التسلسل الزمني لحوادثه، بل كانت الأحداث مفصلة، ولكنها غير متماسكة إلى حد كبير¹¹. وقد جاءت كتبه على شكل رسائل يمكن أن تؤلف تاريخاً مفصلاً يكمل بعضها بعضاً للفترة الممتدة منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحتى نهاية حكم بني أمية (132هـ/750م)¹² حيث عاش وشاهد سقوط نظام الحكم الأموي في دمشق، وكانت آخر الروايات المأثورة عنه تتعلق بحوادث سنة 132¹³.

¹ فلهاوزن، مصدر سابق. ص ر.

² ابن قتيبة، مصدر سابق، ص537؛ سالم، التاريخ، ص68.

³ الذهبي؛ سير، ج7، ص301؛ ابن حجر، اللسان، ج6، ص431.

⁴ فلهاوزن، مصدر سابق. ص ت.

⁵ سالم، مصدر سابق. ص68؛ مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص178.

⁶ فلهاوزن، مصدر سابق. ص ت.

⁷ الدوري، مصدر سابق، ص31.

⁸ فلهاوزن، مصدر سابق. ص ت.

⁹ ابن النديم، مصدر سابق، ص122؛ الكندي، مصدر سابق، م3، ص225.

¹⁰ ابن النديم، مصدر سابق. ص122؛ مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص178،

¹¹ الدوري، مصدر سابق. ص31-32.

¹² مصطفى، مصدر سابق. ص178.

¹³ فلهاوزن، مصدر سابق. ص ق.

وصلت روايات أبي مخنف عن طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي الذي يرجع له الفضل في حفظ كتبه وتوثيقها للأجيال حيث نقلها الطبري بحسب روايات الكلبي لها¹، بالإضافة إلى البلاذري الذي نقل روايات أبي مخنف وحفظها في مؤلفاته ولولا وصول مؤلفات الطبري والبلاذري لفقد علم التاريخ روايات أبي مخنف.

صنف أبو مخنف من قبل المؤرخين والمحدثين المسلمين على أنه شيعي محترق وصاحب أخبارهم²، وليس ثقة³ وليس بشئ⁴ وإخباري تالف⁵ وضعيف⁶ ومتروك الحديث⁷ وأحاديثه غير مسندة⁸ وأخباره مكروهة⁹ وربما يعود هذا لسببين أولهما: لأنه اعتمد على الرواة المعاصرين غير المعروفين لدى الفقهاء والمؤرخين وتركه للرواة المتقدمين، وثانيهما: لأنه مثل الروايات العراقية الشيعية وروايات الخوارج الذين عارضوا نظام الحكم الإسلامي الأموي آنذاك، في حين أنصف من قبل المستشرقين حيث ذكر فلهاوزن أنه لولا روايات أبي مخنف لخسر التاريخ خسارة كبيرة مؤكداً أنه لولا سلوكه هذه الطريقة بالكتابة (السمع والمشاهدة) لما استطاع أن يجد مادة كبيرة يعتمد عليها¹⁰، وأكد أن أهم ما صنعه أبو مخنف أنه قدر قيمة الروايات التاريخية حيث جمع الروايات المتنوعة من مصادر متنوعة حول الشيء الواحد وترك للقارئ أن يوازن بينها لكي يعرف الصحيح والمؤكد منها من غيره¹¹، وكانت هذه الطريقة غير معهودة للفقهاء والمؤرخين الذين جاؤوا بعده، والذين نعتوه بصفات لا تليق بمؤرخ ذي أهمية كبيرة كأبي مخنف.

وضع أبو مخنف من ضمن مصنفاته كتاباً بعنوان "وفاة معاوية وولايه يزيد ووقعة الحرّة وقتل عبد الله بن الزبير"¹² حيث اعتمد عليه بشكل كبير في نقل روايات موقعة الحرّة،

¹ فلهاوزن، مصدر سابق. ص ق.

² الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 141-160هـ) ص581؛ العجلي، مصدر سابق، سفر 4 ص19؛ ابن عدي، مصدر سابق. ص241؛ ابن حجر، لسان، ص341.

³ العجلي، مصدر سابق، سفر 4، ص19؛ الرازي، مصدر سابق، ص247؛ الذهبي، سير، ج7، ص301؛ الذهبي، (تاريخ حوادث ووفيات 141-160هـ) ص362.

⁴ ابن عدي، مصدر سابق، ج7، ص241؛ العجلي، مصدر سابق، سفر 4 ص19؛ ابن حجر، لسان، ج6، ص340.

⁵ العجلي، مصدر سابق. ص19؛ الذهبي، سير، ج7، ص302؛ ابن حجر، لسان، ج6، ص340.

⁶ الدار قطني، الضعفاء، ص146؛ العجلي، مصدر سابق، سفر 4، ص19؛ الذهبي، سير، ج7، ص302؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 141-161)، ص581، المكتبي، مصدر سابق، م3، ص225؛ ابن حجر، لسان، ج6، ص341.

⁷ الرازي، مصدر سابق، ج7، ص247؛ العجلي، مصدر سابق. ص19؛ الذهبي، سير، ج7، ص302؛ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 141-160)، ص581، المكتبي مصدر سابق، م3، ص225؛ ابن حجر، لسان، ج6، ص431.

⁸ ابن عدي، مصدر سابق، ج7، ص241؛ الذهبي، سير، ج7، ص301؛ الذهبي، (تاريخ حوادث ووفيات 141-160هـ)، ص581.

⁹ ابن عدي، مصدر سابق، ج7، ص241.

¹⁰ فلهاوزن، مصدر سابق. ص ش.

¹¹ فلهاوزن، مصدر سابق، ص ش.

¹² المكتبي، مصدر سابق. م3، ص225؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص122.

وقد أورد له المؤرخون ثمانى روايات جاءت في مصدرين فقط¹ تخللها آية قرآنية ورسالتين وخطبتين وسبعة أبيات من الشعر.

انتمت رواياته بالتخصص وعدم الإطالة باستثناء رواية واحدة شملت معظم مجريات موقعة الحرّة، ويبدو أنه دمج عدة روايات برواية واحدة ويظهر أنه استقى معلوماته عن الحرّة من أهل المدينة مباشرة²، ولهذا ظهر أبو مخنف متعاطفاً معهم في نقل الأحداث، ولكنه ظل متماسكاً إلى حد كبير بعدم التحيز لهم.

كان أبو مخنف متسلسلاً في نقله أحداث الحرّة مترابطاً إلى حد ما بتقويم تطوراتها، ولهذا فقد قدمت رواياته صورة واضحة لمجريات الأحداث.

استقى المؤرخون معظم روايات أبي مخنف من كتابه الذي حمل عنوان (وفاة معاوية...)، بوساطة هشام الكلبي، ونقلت رواية واحدة من هذا الكتاب بشكل مباشر³.

ينحدر أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني (ت 190هـ/806م)⁴ من أصول يمانية حيث سبي في وقعة يزيد بن المهلب باليمامة والبحرين⁵ سنة 102هـ/721م⁶ واشترته امرأة من المدينة من بني مخزوم فكانتته حتى وفى لها فأعتقته⁷ وكان يسمى قبل السبي عبد الرحمن بن الوليد بن الهلال⁸ وقيل إن أصله هندي من بلاد السند حيث قال محمد بن أبي معشر: "كان أبي سندياً خياطاً"⁹ ونقل عن أبي معشر أنه من ولد حنظلة بن مالك وأنه كان منتسباً حتى يبلغ آدم عليه السلام، إلا أن ولاءه لبني هاشم كان أحب إليه من نسبه إلى بني حنظلة حسب ما ذكرته بعض المصادر¹⁰.

¹ البلاذري، مصدر سابق. ج 5، ص 338-341؛ الطبري، مصدر سابق. م 3، ص 352-358.

² انظر على سبيل المثال، الطبري، مصدر سابق. م 3، ص 357-358، ويظهر أنه سمع مباشرة من أهل المدينة.

³ الطبري، مصدر سابق. م 3، ص 357.

⁴ يحيى بن معين بن عون الأمري الغفطاني البغدادي، (233هـ). تاريخ يحيى بن معين. تحقيق: عبدالله احمد حسن (بيروت: دار القلم. دت). ج 1، ص 118؛ محمد بن احمد بن حماد، الدولابي (310هـ). الكنى والأسماء. ط 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999). ج 2، ص 251؛ الدار قطنى. الضعفاء. ص 170. ، احمد بن علي الخطيب، البغدادي (463هـ). تاريخ بغداد. (بيروت: دار الكتب العلمية. ب ن، ب ت) ج 13، ص 457-462؛ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، الذهبي (ت 748هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام (حوادث ووفيات 161-170هـ). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط 2، (بيروت: دار الكتب العربي، 1993). ص 554-557؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات. ج 1، ص 278؛ ابن النديم. مصدر سابق. ص 121-122.

وانظر أيضاً: مصطفى. مصدر سابق. ج 1، ص 162-163؛ بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ص 16؛ سزكين. مصدر سابق. م 1، ج 2، ص 94-95؛ الكساسبة، حسين وزريف المعاينة، أبو معشر السندي مؤرخاً، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مجلد 25، ع 1، شباط، 1998، ص 1-20.

⁵ البغدادي، مصدر سابق ، ج 13، ص 458.

⁶ أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، اليعقوبي (292هـ). تاريخ اليعقوبي. علق عليه ووضع حاشيته خليل منصور. ط 1. (بيروت: دار الكتب العلمية 1999م)، ج 2، ص 217.

⁷ ابن قتيبة، مصدر سابق ، ص 504؛ الدولابي، مصدر سابق ، ج 2، ص 251؛ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 461.

⁸ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 458؛ الذهبي، مصدر سابق. ص 556.

⁹ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 457،

¹⁰ البغدادي، مصدر سابق. ص 458.

سمع أبو معشر من كبار علماء عصره من التابعين، وروى عنه العديد من المؤرخين ممن عاصروه أو الذين جاؤوا بعده، منهم محمد بن عمر الواقدي (207هـ/822م)¹ حيث وصفه بأنه أحد أوعية العلم وبصيراً بالمغازي² والأخبار³ واشتهر بالتاريخ⁴ حيث احتج أئمة المسلمين بتاريخه⁵ بالإضافة إلى وصفه بالصدق بالرغم من عدم إقامته أي وزن للإسناد⁶.

أما المحدثون فاعتبروه "أنه أكذب من في السماء ومن في الأرض"⁷ وأنه ليس بشيء⁸ وحديثه "ليس بشيء ضعيف"⁹ "يكتب عن حديثه الرقاق" "رجل أُمِّي يتقى أن يروى من حديثه المسندات"¹⁰ وروى "روايات رديئة لا تكتب"¹¹ وأنه "شيخ ضعيف يحدث أحاديث منكراً"¹² وهذا واضح من بعض رواياته عن موقعة الحرّة، كما عده الدار قطني من الضعفاء والمتروكين¹³.

صنف أبو معشر كتاب المغازي، ويضم هذا الكتاب الأحداث ومغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)¹⁴ التي أخذها عن شيخ مجهول لم تذكر المصادر اسمه، وكان هذا الأستاذ عالماً بها، وكان يجالسه التابعون فكانوا يتذكرون المغازي فقط¹⁵، ولهذا فقد نبغ أبو معشر بهذا الجانب من المعرفة والعلم أكثر من بقية أصناف العلوم الأخرى.

وصل قسم من هذا الكتاب في مؤلف الواقدي الذي حمل الاسم نفسه بالإضافة إلى مؤلفات ابن سعد والطبري، واعتمد عليه الطبري بشكل واضح¹⁶ لأنه يروي مرويات أهل الحجاز التي تعد أدق من روايات أهل العراق في هذا الجانب¹⁷ كونه من سكان المدينة، ومطلعاً على أحداثها ورواياتها.

¹ البغدادي، مصدر سابق. ص 457.

² الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 161-170هـ)، ص 554؛ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 457.

³ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 1، ص 278.

⁴ مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 162.

⁵ مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 162.

⁶ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 461؛ الذهبي، مصدر سابق. (حوادث ووفيات 161-170هـ)، ص 556-557.

⁷ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 459.

⁸ ابن معين، مصدر سابق، ج 1 ص 118؛ الذهبي، مصدر سابق. (حوادث ووفيات 161-170هـ)، ص 556؛ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 460.

⁹ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 460.

¹⁰ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق. ص 278؛ البغدادي، مصدر سابق. ص 460.

¹¹ البغدادي مصدر سابق. ج 13، ص 461.

¹² البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 460-461.

¹³ الدار قطني، الضعفاء، ص 170.

¹⁴ بروكلمان، مصدر سابق. ص 16.

¹⁵ البغدادي، مصدر سابق. ج 13، ص 458.

¹⁶ سزكين، مصدر سابق. م 1 ج 2، ص 94.

¹⁷ بروكلمان، مصدر سابق. ص 95.

أما المصنف الثاني فحمل اسم تاريخ الخلفاء، وقد وصل عن طريق الطبري، واستخدم فيه التاريخ الحولي، حيث تناول فيه تاريخ الخلفاء المسلمين حتى عام سبعين ومائة للهجرة¹ وبهذا يكون أبو معشر من أقدم المؤرخين المسلمين الذين كتبوا في تاريخ الخلفاء².

وثق أبو معشر علاقته بالخليفة العباسي المهدي (ت 169هـ/786م) الذي قدم إلى المدينة سنة ستين ومائة للهجرة حيث خصه بالهدايا والعطايا، وأعطاه ألف دينار، ودعاه معه إلى العراق كي يفقه حاشيته ومن حوله³، واستجاب أبو معشر لطلب الخليفة فرحل إلى بغداد سنة إحدى وستين ومئة وقضى بقية عمره هناك.

اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته، فذكر بعضهم أنه توفي سنة سبعين ومائة للهجرة⁴ في أيام المهدي⁵ مختلفين مع صاحب تاريخ بغداد الذي نقل عن محمد بن سعد أن وفاته كانت سنة تسعين ومائة للهجرة⁶. والأرجح أن وفاته كانت سنة تسعين ومائة لأسباب عدة منها أن الخليفة العباسي المهدي توفي سنة 169 هـ بالإضافة إلى ما ذكره بعض الرواة أن أبا معشر مرض وتغير بشكل واضح لدرجة أن الريح كانت تخرج منه دون أن يشعر بها⁷ مما دفع يحيى بن معين أن ينعته بأبو معشر الريح⁸ واعتمد الطبري على روايات أبو معشر حتى سنة سبعين ومائة⁹ ولهذا فمن غير المعقول أن يستمر بالكتابة حتى وفاته وهو بهذه الحالة المرضية.

أورد المؤرخون لأبي معشر سبع روايات عن موقعة الحرّة¹⁰ حيث جاء صاحب الإمامة والسياسة بخمس روايات منها احتوت على ثلاث آيات من القرآن الكريم وخطبة واحدة، وقد تكررت إحدى رواياته السبع ثلاث مرات عند المؤرخين¹¹.

استقى أبو معشر رواياته من أهل المدينة مباشرة وتميزت بعدم ترابطها، بالإضافة إلى عدم ظهور تسلسل زمني للأحداث حيث لم تقدم صورة واضحة لمجريات الأمور، وقد أورد

¹ سزكين، مصدر سابق. ص 95.

² مصطفى، مصدر سابق. ص 162.

³ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق. ص 278؛ البغدادي، مصدر سابق. ص 458؛ مصطفى، مصدر سابق. ص 162.

⁴ ابن سعد، مصدر سابق. ج 7، ص 597.

⁵ ابن قتيبة، مصدر سابق. ص 251؛ ابن النديم مصدر سابق، ص 122.

⁶ البغدادي، مصدر سابق. ص 461.

⁷ البغدادي، مصدر سابق. ص 460؛ الذهبي، مصدر سابق. ص 557.

⁸ البغدادي، مصدر سابق. ص 640.

⁹ سزكين، مصدر سابق. ص 95.

¹⁰ الإمامة والسياسة، ج 1، ص 173-174، ج 2، ص 185-186؛ الطبري، مصدر سابق. م 3، ص 358؛ ابن عساکر، مصدر سابق. ج 40، ص 24.

¹¹ الطبري، مصدر سابق. م 3، ص 358؛ ابن الجوزي، مصدر سابق. ج 6، ص 17؛ ابن كثير الدمشقي، مصدر سابق. ج 5، ص 733، تحدثت هذه الرواية عن وقت

حدوث موقعة الحرّة.

روايتين غريبتين لم يذكرهما أحد من المؤرخين باستثناء صاحب الإمامة والسياسة¹ ولكن دون إسناد.

ظهر التحيز واضحاً في روايات أبي معشر لأهل المدينة حيث نالت من الحكم الأموي ومن الجيش الشامي، ربما لأنه من الموالي الأكثر تضرراً من نتائج الموقعة، فلا عجب أن تترك رواياته عن الحرّة ولم تُعتمد من قبل كبار المؤرخين كالبلاذري وغيرهم الذين تحروا الدقّة والموضوعية في نقل الأخبار والروايات، ويجب الإشارة هنا إلى أن أبا معشر هو أول الإخباريين التي تضمنت رواياته أن نساء أهل المدينة قد فضحت يوم الحرّة².

ويذكر أبو اليقظان النسابة مولى بني تميم (190هـ/806م)³ بأسماء عدة. وقد اختلفت المصادر في اسمه واسم أبيه فقيل: سميح بن حفص⁴، عامر بن حفص وعامر بن أبي محمد، وعامر بن الأسود، وعبد الله بن حفص، وأبو إسحاق⁵، ولم تشر المصادر التاريخية إلى نشأته وبدائته وأساتذته ومحيطه الاجتماعي.

اعتمد أبو اليقظان في مصادرهِ على قبيلته كغيره من الرواة في تلك الفترة⁶ وكان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب⁷، ويعد أحد كبار العلماء بتاريخ الجاهلية⁸، كما تميز بأنه أول من ألف بالأنساب⁹ وقيل عنه إنه كان ثقة فيما يرويه¹⁰.

وضع أبو اليقظان خمسة كتب وهي كتاب خلق تميم بعضها ببعض، كتاب أخبار تميم، كتاب نسب خندف وأخبارها، كتاب النوادر، وكتاب النسب الكبير¹¹، إلا أن هذه الكتب قد فقدت، ولم يبقَ منها سوى مقتطفات متفرقة¹² ويبدو أن أبا اليقظان قد قام بعملية مزج بين الأنساب والأخبار، حيث يظهر ذلك من خلال المقتطفات التي أخذها عنه ابن خياط والبلاذري¹³ وابن قتيبة في كتابه المعارف¹⁴، كما أولى اهتماماً كبيراً لأخبار البصرة وأحداثها¹⁵.

¹ الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص173-174، قصة المرأة الصحابية التي بايعت الرسول (ص) ببيعة الرضوان وهي ترضع طفلها يوم الحرّة (63هـ) وقصة الرجل الشامي الذي قتل أحد المشاركين في معركة الحرّة وأن هذا الرجل لا يدخل الجنة.

² الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص187-186.

³ ابن النديم، مصدر سابق، ص123؛ الحموي، مصدر سابق، ج6، ص180؛ مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص193-194؛ سزكين، مصدر سابق، ص47.

⁴ الحموي، مصدر سابق، ج6، ص180.

⁵ ابن النديم، مصدر سابق، ص123.

⁶ مصطفى، مصدر سابق، ص193.

⁷ ابن النديم، مصدر سابق، ص123.

⁸ سزكين، مصدر سابق، ص47.

⁹ مصطفى، مصدر سابق، ص193.

¹⁰ ابن النديم، مصدر سابق، ص123.

¹¹ الحموي، مصدر سابق، ج6، ص180؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص123.

¹² مصطفى، مصدر سابق، ص193.

¹³ مصطفى، مصدر سابق، ص193.

¹⁴ سزكين، مصدر سابق، ص47.

¹⁵ مصطفى، مصدر سابق، ص194.

أورد المؤرخون خمس روايات لأبي اليقظان وردت في ثلاثة مصادر¹ تكررت واحدة منها فقط² واتسمت رواياته بالتخصص والموضوعية في تناول حيثيات موقعة الحرّة، وكانت واضحة مترابطة، ولم يظهر بها ميل لجهة معينة على حساب الأخرى، وابتعدت رواياته عن الانتقادات الجارحة والألفاظ الحادة، حيث نقل فيها استعدادات كل من المدنيين والشاميين للمعركة، وكيفية حدوثها، مصوراً للقارئ وبكل حياد أحداثها بدون تهويل أو تعليق أو تعصب. شملت روايات أبي اليقظان رسالة واحدة وبيتين من الشعر، ولم يذكر سنداً لرواياته مما يعطي انطباعاً أنه استمدها من قبيلته.

نشأ هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن كلب (ت204هـ/820م)⁽³⁾ والمكنى بأبي المنذر في مدينة الكوفة⁴ في بيت عرف بحبه للعلم حيث كان والده محمد بن السائب الكلبى (ت146هـ/763م)⁵ أحد أهم علماء أهل الكوفة بعلم الأنساب والأدب، والأخبار والتفسير، وكان قد جمع مادته في الأنساب معتمداً على أفضل نسابة في كل قبيلة⁶ وكان متهماً بالتنشيع ولهذا فقد اتفق المحدثون على نومه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع⁷، إلا أن ثمة اتفاقاً بين أهل العلم على أنه من أوائل النسابين، حيث روى ولم يؤلف بالنسب⁸، مستغلاً بذلك قبيلته التي مهدت له الاتصال بعلم الأنساب⁹ وعارض محمد بن السائب الكلبى النظام الأموي، وشارك في محاربة الحجاج إلى جانب ابن الأشعث، في موقعة دبر الجمجم سنة (82هـ/701م)¹⁰ وفي ظل هذه البيئة العلمية والسياسية والفكرية ترعرع ولده هشام حيث أخذ عن والده علم التفسير¹¹، وتوسع أكثر من أبيه بالأخبار، وألف بذلك قائمة من المؤلفات¹² معتمداً على الأصول والمصادر التاريخية التي تتعلق بموضوع دراسته¹³، وإضافة إلى والده

¹ خليفة، مصدر سابق. ص 147-148-149؛ ابن عبد ربه، العقد، ج 6، ص 136-138؛ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 61-80هـ)، ص 24.

² الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 61-80هـ)، ص 24.

³ ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 536؛ البخاري، مصدر سابق، ج 8، ص 200؛ الدارقطني، الضعفاء، ص 173؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص 124_227؛ البغدادي، تاريخ، ج 14، ص 45_46؛ ابن خلكان، مصدر سابق، ج 6، ص 82_84؛ المزني، ج 16، ص 295_297؛ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 201_210هـ) ص 418_420؛ الذهبي، سير، ج 10، ص 101_103؛ ابن حجر، لسان، ج 8، ص 338_339؛ ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 2، ص 13.

وانظر أيضاً: الدوري، مصدر سابق، ص 36؛ مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 191_193؛ سالم، التاريخ، ص 48_49؛ بروكلمان، تاريخ، ص 32_35؛ اغناطيوس يوليانيوفتس، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، ط 2؛ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987)، ص 137_138؛ سـزكين، مصدر سابق، ص 51_56؛ مرغوليـوث، مصدر سابق، ص 140-150، W.ATALLH.ALKALBI.EI2.IV.1978.P494_496

⁴ البغدادي، تاريخ، ج 14، ص 45.

⁵ أنظر ترجمته عند المزني، مصدر سابق، ج 16، ص 295-297.

⁶ ابن النديم، مصدر سابق، ص 124.

⁷ المزني، مصدر سابق، ج 16، ص 297.

⁸ مصطفى، مصدر سابق، ص 190.

⁹ مصطفى، مصدر سابق، ص 190.

¹⁰ بروكلمان، تاريخ، ج 2، ق 2، ص 3-4، ص 119.

¹¹ الحموي، مصدر سابق، ج 19، ص 287.

¹² مصطفى، مصدر سابق، ص 190.

¹³ سالم، التاريخ، ص 48.

محمد الكلبى فقد أخذ هشام عن أبى مخنف (ت 157 هـ / 773م) وغيره من كبار أهل العلم في الميادين المختلفة¹، وأخذ عنه العديد من كبار المؤرخين منهم خليفة بن خياط وشباب العصفري ومحمد بن سعد².

تميز هشام الكلبى بالعلم وسعة الأفق، حيث سار على خطى والده في التنقيب عن الآثار في كنائس الحيرة حتى يستكمل تاريخ اللخمين، وبسبب عدم معرفة هذا النهج من البحث في زمانه طعن فيه من قبل معاصريه، وتخرج العلماء المسلمون من المعلومات التي جاء بها علماً بأن البحث العلمي الحديث أكد أقواله التي شكك بها حينذاك³.

ترك ابن الكلبى عدداً كبيراً من المؤلفات قدرت بمائة وخمسين مصنفاً⁴ تناولت مواضيع شتى منها كتاب الآثار الذي يعد مصدراً أساسياً للتعرف على أديان العرب قبل الإسلام⁵. وقد أحتفظ الطبري بمقتبسات كثيرة أخذها من مؤلفاته⁶ كما نقل البلاذري عنه أكثر مادته في كتاب الأنساب⁷، كما كتب في الجغرافيا، ويسود الاعتقاد أنه أول مؤلف في عصره كتب في موضوعات جغرافية عامة تجاوزت حدودها نطاق الجزيرة العربية⁸.

اتصل ابن الكلبى مع الخلفاء العباسيين في حياة والده⁹ وتقرب من الخليفة المأمون (ت 218هـ/833م) حيث صنف له كتاباً في الأنساب سماه الفريد¹⁰، كما وضع كتاباً آخرأ في النسب لجعفر بن يحيى البرمكي (ت 187هـ/803م) سماه كتاب الملوكي¹¹.

يوصف هشام الكلبى بسعة الرواية لأيام الناس وأخبارهم ومثالبهم ووقائعهم¹² والعلم بالأنساب¹³ وقد أنصف ياقوت الحموي هشام الكلبى بعد اطلاعه على كتابه جمهرة الأنساب حيث قال: "ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا كان قوله أقوى حجة، وهو مع ذلك

¹ الذهبي، سير، ج10، ص101.

² البغدادي، تاريخ، ج14، ص46؛ ابن خلكان، مصدر سابق، ج6، ص82.

³ مصطفى، مصدر سابق، ص192.

⁴ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 201-210هـ) ص420؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص124-127؛ ابن خلكان، مصدر سابق، ص83؛ ابن العماد والحنبلي، مصدر سابق، ص13.

⁵ كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص137؛ انظر أيضاً الدوري، مصدر سابق، ص36.

⁶ سزكين، مصدر سابق، ص51.

⁷ سزكين، مصدر سابق، ص52.

⁸ كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص137.

⁹ مصطفى، مصدر سابق، ص192.

¹⁰ ابن خلكان، مصدر سابق، ص83؛ الحموي، مصدر سابق، ص292.

¹¹ ابن خلكان، مصدر سابق، ص83؛ الحموي، مصدر سابق، ص292.

¹² ابن النديم، مصدر سابق، ص124؛ الدار قطني، الضعفاء، ص72؛ ابن خلكان، مصدر سابق، ص83؛ الذهبي، سير، ج10، ص101؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 201-210هـ)، ص419؛ ابن حجر، لسان، ج8، ص338؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص13.

¹³ ابن قتيبة، مصدر سابق، ص537؛ البخاري، مصدر سابق، ج4، ص200؛ الدار قطني، الضعفاء، ص173؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص124؛ البغدادي، مصدر سابق، ج10، ص45؛ ابن خلكان، مصدر سابق، ج6، ص82؛ الذهبي، سير، ج10، ص101؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 201-210هـ)، ص419؛ ابن حجر، لسان، ج8، ص338؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ص13.

مظلوم"¹، في حين جرّحه المحدثون فيما يتعلق برواية الحديث حيث قيل عنه إنه صاحب سمر ونسب² وأنهم أنه رافضي³ وغير ثقة ومتروك الحديث⁴.

أورد المؤرخون لهشام الكلبى ست عشرة رواية تتحدث جميعها عن موقعة الحرّة⁵ واحتوت رواياته خطبتين ورسالتين وثمانية أبيات من الشعر، واتسمت بالإيجاز والتخصص باستثناء رواية واحدة كانت طويلة جداً نقلها عن أبي مخنف⁶، ولكنها لم تخرج عن مواضيع الحرّة.

اعتمد الكلبى في رواياته على عوانة بن الحكم حيث نقل عنه ثمانى روايات، وعلى أبي مخنف حيث نقل عنه سبع روايات، وجاء برواية واحدة نقلها عن عوانة الذي نقلها عن أبي مخنف، وأراد من خلال روايات عوانة أن يقدم وجهة نظر أهل الشام من مجريات أحداث الحرّة، في حين أراد إن يقدم وجهة نظر أهل المدينة من خلال روايات أبي مخنف، وبهذا فإنه جمع بين الروايات التي تمثل الشاميين والروايات التي تمثل المدنيين حتى يعطي صورة واضحة عن موقعة الحرّة بلسان حال عناصرها ومن اشترك فيها، ويمكن القول أن نقد الروايات التي اختارها هشام الكلبى هي نقد لعوانة وأبي مخنف معاً لأنه لم يأت بروايات جديدة بعيدة عنهما، وقد استقاها منهما مباشرة بالمحادثة أو عن طريق تصانيفهما⁷ "سيرة معاوية وبنى أمية لعوانة" "وفاة معاوية وولاية يزيد وموقعة الحرّة ومقتل عبد الله بن الزبير" لأبي مخنف.

¹ كراتشكوفسكي، مصدر سابق. ص137.

² البخاري، مصدر سابق. م8، ص200؛ البغدادي، مصدر سابق. ج14، ص46؛ الذهبي، سير، ج10، ص101؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 201-210هـ)، ص419؛ ابن حجر، لسان، ج8، ص338.

³ الدار قطني، الضعفاء، ص173؛ الذهبي، سير، ج10، ص101؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 201-210هـ)، ص419؛ ابن حجر، لسان، ج8، ص338؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق. ص13.

⁴ الدار قطني، الضعفاء، ص173؛ الذهبي، سير، ج10، ص101؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 201-210هـ)، ص419؛ ابن حجر، لسان، ج8، ص338؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق. ص13.

⁵ البلاذري، مصدر سابق. ج5، ص338-341؛ الطبري، مصدر سابق. م3، ص352-358.

⁶ انظر، الطبري، مصدر سابق. م3، ص375 قال هشام فحدثني عوانة، البلاذري، مصدر سابق. ج5، ص338؛ قال هشام الكلبى أخذني أبو مخنف.

⁷ الطبري، مصدر سابق. م3، ص355-356 قال هشام عن عوانة وقال هشام عن أبو مخنف.

أما محمد بن عمر بن واقد أبو عبدالله الواقدي (ت207هـ/822م)¹ فهو مدني ينتسب إلى جده واقد²، وكان مولى لبني سهم إحدى بطون بني أسلم³ وقيل كان مولى لبني هاشم⁴، ولكن أغلب المصادر تؤكد أنه كان مولى لبني أسلم⁵، وتحديدًا لعبد الله بن بريدة الأسلمي⁶.

اهتم الواقدي بالعلم منذ نعومة أظفاره، وسمع ممن بقي من التابعين بالحجاز والشام⁷، وأخذ عنه كبار المحدثين والعلماء الذين جاءوا بعده، منهم كاتبه محمد بن سعد⁸ صاحب الطبقات، والإمام الشافعي⁹.

عمل الواقدي بتجارة الحنطة، وتعرضت تجارته لخسارة كبيرة اضطرته للسفر إلى بغداد عام 180هـ/796م، ثم ذهب إلى الشام قبل أن يعود إلى بغداد، ليقضي بقية عمره هناك¹⁰ مقرباً من الخلفاء العباسيين ووزرائهم.

يعد الواقدي أحد العلماء الكبار بالمغازي¹¹، والسير¹²، والطبقات¹³، والأخبار¹⁴ والتصانيف¹⁵، والحوادث¹⁶، والفتوح¹⁷ واختلاف الناس في الحديث والفقہ والأحكام¹⁸. ذكره

¹ ابن معين. مصدر سابق، ص118؛ ابن حنبل. مصدر سابق، م2، ص182_185؛ الحموي، مصدر سابق، ج18، ص277_282؛ الرازي. مصدر سابق، ج2، ص26_27؛ الدارقطني. الضعفاء، ص153؛ البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص3_21؛ ابن خلكان. مصدر سابق، م4، ص348_350؛ المزني. مصدر سابق، ج17، ص104؛ الذهبي (748هـ). شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الارنؤوط. حقق هذا الجزء كامل الخراط، ط7، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ب ت)، ج9، ص454_469؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي (748هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوادث ووفيات 201_210هـ). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2، (بيروت: دار الكتاب العربي، ب ت)، ص361_369؛ ابن حجر. تهذيب، ج3، ص656_659؛ السيوطي. مصدر سابق، ص144؛ ابن العماد الحنبلي. مصدر سابق، ج2، ص18؛ ابن سيد الناس. عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط3 (بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1982)، م1، ص23_29؛ ابن النديم. مصدر سابق، ص127. وانظر أيضاً: الغزالي. مصدر سابق، ص20_21؛ مصطفى. مصدر سابق، ج1، ص163_166؛ سالم. التاريخ، ص63-66؛ ملحم. مصدر سابق، ص31_34؛ بروكلمان. تاريخ، ص17_21؛ سزكين. مصدر سابق، م1، ج2، ص100_106. مرغوليوث، مصدر سابق، ص105-909.

² سزكين، مصدر سابق، م1، ج2، ص100.

³ الرازي، مصدر سابق، ج8، ص20 البغدادي، مصدر سابق، ص20؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص127.

⁴ ابن خلكان، مصدر سابق، م4، ص348.

⁵ ابن قتيبة، مصدر سابق، ص518؛ الرازي، مصدر سابق، ص20؛ الذهبي، سير، ج9، ص454؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 201-210هـ)، ص369.

⁶ المزني، مصدر سابق، ج17، ص97.

⁷ الذهبي، سير، ج9، ص454؛ أنظر: الرازي، مصدر سابق، ص20؛ البغدادي، مصدر سابق، ص3؛ ابن خلكان، مصدر سابق، ص348؛ المزني، مصدر سابق، ص98؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، ص23.

⁸ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 201-210هـ) ص362.

⁹ السيوطي، مصدر سابق، ص144.

¹⁰ البغدادي، مصدر سابق، ص5، الذهبي، سير، ج9، ص464؛ الذهبي، تاريخ، (201-210) ص363؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، ص23.

¹¹ الدارقطني. الضعفاء، ص153؛ البغدادي. مصدر سابق، ج3، ص3؛ المزني. مصدر سابق، ج17، ص100؛ الذهبي، سير، ج9، ص454؛ ابن حجر. تهذيب، ج3، ص657؛ ابن سيد الناس. مصدر سابق، م1، ص23؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص127.

¹² البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص4؛ الدارقطني. الضعفاء، ص153؛ المزني. مصدر سابق، ج17، ص100؛ الذهبي، سير، ج9، ص457؛ ابن حجر. تهذيب، ج3، ص657؛ ابن سيد الناس. مصدر سابق، م1، ص23؛ ابن النديم. مصدر سابق، ص127.

¹³ البغدادي. مصدر سابق، م3، ص3؛ ابن سيد الناس. مصدر سابق، م1، ص23.

¹⁴ الدارقطني. الضعفاء، ص153؛ البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص4؛ ابن سيد الناس. مصدر سابق، م1، ص23؛ ابن النديم. مصدر سابق، ص127.

¹⁵ ابن خلكان. مصدر سابق، م4، ص348؛ الذهبي، سير، ج9، ص454.

¹⁶ الدارقطني. الضعفاء، ص153.

¹⁷ ابن حجر. تهذيب، ج3، ص657؛ المزني. مصدر سابق، ج17، ص100؛ ابن النديم. مصدر سابق، ص127.

¹⁸ البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص4؛ المزني. مصدر سابق، ج17، ص100_101؛ ابن حجر. تهذيب، ج17، ص657؛ ابن سيد الناس. مصدر سابق، م1، ص23؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص127_128.

العلماء بأنه أحد أوعية العلم¹ المتخصصين في تاريخ الحجاز وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفتوح الشام وغيرها².

إمتاز الواقدي عن غيره من العلماء في تتبع الآثار والأمكنة المتعلقة بالحوادث السابقة، والتحقق من الإطار الجغرافي المتصل بالموقع. وقال في ذلك: "ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته: هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهد وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعابته، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها. وقال هارون القروي: "رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة فقلت: أين تريد؟ فقال: أريد أن أمضي إلى حنين حتى أرى الموضع والوقعة"³، ولهذا فقد ذكر العلماء أنه يُحتاج إليه في الغزوات⁴، وأنه حجة في التاريخ، وموثوق الرواية⁵.

اختلف الفقهاء في تصنيف الواقدي في مجال الحديث حيث قال أهل التعديل فيه إنه ثقة، ومأمون، ولولا ذلك لما حدّث عنه أربعة أئمة⁶، وقيل عنه انه أمير المؤمنين بالحديث⁷، وعالم دهره⁸، وأمين الناس على الإسلام⁹. في حين جرّحه المحدثون حيث قالوا: "عند الواقدي عشرون ألف حديث لم يسمع بها، وليس لها أصل"¹⁰. وقيل بل ثلاثين ألف حديث غريب¹¹، وهو ليس بواضع للرواية ولا يروى عنه¹²، وقيل إنه كذاب¹³. وأخذ عن إبراهيم بن أبي يحيى الذي يوصف بالكذب¹⁴، وإنه يركب الإسناد¹⁵، وليس بشيء لأنه يقلب الأحاديث¹⁶. كما أنكر عليه أحمد بن حنبل جمعه للإسناد، ومجيبه بالمتن الواحد على سياقة واحدة عن جماعة ربما اختلفوا وهو متهم¹⁷.

¹ - الذهبي، سير، ج9، ص454؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 201-210هـ)، ص362؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص18.

² - ابن النديم، مصدر سابق، ص127؛ وانظر أسماء كتبه عند البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص5.

³ - البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص7؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، م1، ص24.

⁴ - الذهبي، سير، ج9، ص467.

⁵ - العزم، مصدر سابق، ص21.

⁶ - البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص9؛ الذهبي، سير، ج9، ص458.

⁷ - البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص9؛ المزي، مصدر سابق، ج17، ص101؛ الذهبي، سير، ج9، ص458؛ ابن حجر، تهذيب، ج3، ص657؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، م1، ص25.

⁸ - المزي، مصدر سابق، ج17، ص101؛ الذهبي، سير، ج9، ص457؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، م1، ص24.

⁹ - المزي، مصدر سابق، ج17، ص101؛ الذهبي، سير، ج9، ص458؛ ابن حجر، تهذيب، ج3، ص657؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، م1، ص24.

¹⁰ - البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص9؛ المزي، مصدر سابق، ج17، ص102؛ الذهبي، سير، ج9، ص462؛ الذهبي، تاريخ (201-210هـ)، ص367؛ ابن حجر، تهذيب، ج3، ص658؛ ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص18؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، م3، ص9.

¹¹ - الذهبي، سير، ج9، ص462؛ المزي، مصدر سابق، ج17، ص102.

¹² - البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص9.

¹³ - الرازي، مصدر سابق، ج8، ص27؛ الدارقطني، الضعفاء، ص153؛ الذهبي، سير، ج9، ص462؛ ابن حجر، تهذيب، ج3، ص658.

¹⁴ - البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص13؛ الذهبي، مصدر سابق، ج9، ص462؛ ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص18؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، م1، ص26؛

¹⁵ - البغدادي، مصدر سابق، ج9، ص16.

¹⁶ - يحيى بن معن، مصدر سابق، ص118؛ ابن قتيبة، مصدر سابق، م2، ص185؛ الرازي، مصدر سابق، ج8، ص27؛ الدارقطني، الضعفاء، ص153؛ ابن حجر، تهذيب، ج3، ص658.

¹⁷ - البغدادي، مصدر سابق، ج3، ص19؛ الذهبي، تاريخ (201-210هـ)، ص367؛ ابن سيد الناس، مصدر سابق، م1، ص26.

بينما أشار يحيى بن معين الى " أن حديثه عن المدنيين، وعن شيوخ مجهولين أحاديث مناكير فقلنا يحتمل أن تكون تلك الأحاديث المناكير منه، ويحتمل أن تكون منهم، ثم نظرنا إلى حديثه عن أبي ذئب ومعر فانه يضبط حديثهم، فوجدناه قد حدث عنهم بالمناكير، فعلمنا أنه منه فتركنا حديثه¹. وقال عنه الإمام الذهبي: " وجمع فأوعى وخط الغث بالسمين والخرز بالدر الثمين"². في حين وصف المستشرقون ومنهم جونس الواقدي أنه: " في منزلة خاصة بين اصحاب السير والمغازي؛ لتطبيقه المنهج التاريخي العلمي، وأنه كان يرتب التفاصيل المختلفة للحوادث بطريقة منطقية لا تتغير"³. ونقل عن الواقدي قوله: " إنه كان يتبع منهجاً نقدياً واعياً فنياً في تنظيم أخباره، ثم لا يلبث أن يذكر آراءه وأفكاره من الأخبار التي كان يسجلها، وكثيراً ما يقول مثلاً: "وهو المثبت"، "الثابت عندنا"⁴.. وأضاف جونس: "حتى البلاذري الذي توفي بعد الواقدي بسبعين سنة، لا يقدم آراءه الشخصية في نقل أخباره كما فعل الواقدي"⁵.

ويعدّ المؤرخ الأول في التاريخ الإسلامي بسبب تدقيقه الزمني والجغرافي واعتماده على الوثائق في كتابه الحدث⁶. وعرف عنه الواقدي كثرة التأليف، لأنه ترك وراءه ستمائة قمبر من الكتب⁷. وقيل مائة وعشرين حملاً⁸، وكان له غلامان مملوكان يكتبان بالليل والنهار، كما بيع له كتب بألفي دينار⁹.

كان الواقدي قد اتهم من قبل بعضهم بالتشيع والالتزام بالنقبة¹⁰. وأنه أنكر التشيع تقيّة في مصنفاته¹¹. بينما لا يعده الشيعة من رجالهم¹². ويبدو أن سبب اتهامه بالتشيع عائد الى ما ورد في مؤلفاته من أقوال وآراء شيعية، لا الى قناعاته وعقيدته الشخصية¹³. وقد أقام علاقات قوية مع العباسيين، منذ خلافة هارون الرشيد، فحينما قدم إلى الحج، أزاره الواقدي كل المشاهد في المدينة، فأكرمه، ودعاه إلى بغداد¹⁴. وقضى أحواله الثلاثين الأخيرة في بغداد¹⁵، مما يدل على رضا الخلفاء العباسيين عنه وإعجابهم به، وبمؤلفاته الوفيرة، فولّي القضاء

¹- الرازي. مصدر سابق. ج8، ص27.

²- الذهبي. سير. ج. 9، ص454.

³. جونس، مصدر سابق. ص31

⁴. جونس، مصدر سابق. ص34

⁵. جونس، مصدر سابق. ص34

⁶- مصطفى. مصدر سابق. ج1، ص166.

⁷- ابن النديم. مصدر سابق. ص328؛ البيهقي. مصدر سابق. ج3، ص4-5.

⁸- ابن العماد الحنبلي. مصدر سابق. ج2، ص18؛ البيهقي. مصدر سابق. ج3، ص4-5؛ الذهبي. سير. ج. 9، ص459.

⁹- ابن النديم. مصدر سابق. ص128.

¹⁰- ابن النديم. مصدر سابق. ص127؛ بروكلمان. مصدر سابق. ق3، 2، 4، ص17؛ مصطفى. مصدر سابق. ج1، ص165.

¹¹- بروكلمان. مصدر سابق. ق2، 3، 4، ص17.

¹²- مصطفى. مصدر سابق. ج1، ص165.

¹³. جونس. مصدر سابق. ص18

¹⁴- بروكلمان. مصدر سابق. ق2، 3، 4، ص17.

¹⁵- سزكين. مصدر سابق. م1، ج2، ص100.

للمأمون بعسكر المهدي في الجانب الغربي من بغداد ، أربع سنوات¹. وكان قد تسلم القضاء حتى وفاته². وخصه المأمون بالجوائز³ فأعطاه مرة جائزة مائة ألف درهم⁴. وقيل إنه أخذ من السلطان ستمائة ألف درهم⁵.

صنف الواقدي ثلاثة وعشرين كتاباً، منها كتاب التاريخ الكبير، الذي تناول الخلفاء المسلمين حتى تاريخ 179هـ/795م⁶ ، وربما استقى المؤرخون من هذا الكتاب أحداث موقعة الحرّة ووقائعها، التي ذكرها المؤرخون في مؤلفاتهم التاريخية.

أورد المؤرخون للواقدي ستاً وأربعين رواية يدور معظمها حول موقعة الحرّة، وقد جاءت رواياته في عشرة مصادر تاريخية⁷. اشتملت على حديث نبوي شريف وخمسة أبيات شعر وخطبتين. وما ميز روايات الواقدي عن غيرها دقتها وتنظيمها وترتيبها لتسلسل الأحداث، حيث عرض في بداية تناوله لموقعة الحرّة وصايا معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد. وتناولت تلك الصايا العناصر التي كانت سبباً مباشراً في أحداث موقعة الحرّة، أي أن الواقدي عرض الإطار العام للظروف السياسية في المدينة قبل تولي يزيد الحكم، وما رافقها من تطورات أدت بالنتيجة إلى حدوث تلك الواقعة. ثم بدأ يذكر تفاصيل الأحداث من جوانبها وعناصرها كافة وصولاً إلى نتائجها بأسلوب مرتب ودقيق ومتين. كما اتسمت روايات الواقدي بالتخصص في تناول مواضيعها وقدمت صورة واضحة ومتراصة عن الأحداث، ولعل ذلك عائد إلى مصادر معلوماته التي أخذها من رواة مدنيين مطلّعين على تلك الموقعة⁸.

ويظهر في رواياته تعاطفه مع أهل المدينة إلا أنه كان موضوعياً في ذكر المسببات الحقيقية لكل حدث، فقد حمل ابن الزبير مسؤولية ذلك بشكل مباشر، كما تناول الظروف الميدانية لمقاتلي أهل المدينة من حيث عددهم، وتنافسهم على القيادة، ووجود الأشراف داخل المدينة الذين عارضوا الخروج على الخليفة، وعدم تقدير القادة للموقف بشكل جيد. كل ذلك كان سبباً وجيهاً في عدم صمودهم أمام الجيش الشامي القوي والمنظم.

¹ ابن قتيبة. مصدر سابق. ص518؛ الرازي. مصدر سابق. ج8، ص26؛ ابن خلكان. مصدر سابق. م4، ص348؛ المزي. مصدر سابق. ج17، ص97؛ ص101؛ الذهبي. سير، ج9، ص457؛ الذهبي. تاريخ (حوادث ووفيات 201-210هـ). ص362؛ ابن حجر. تهذيب. ج3، ص658؛ السيوطي. مصدر سابق. ص144؛ ابن التميمي. مصدر سابق. ص127.

² ابن سيد الناس. مصدر سابق. م1، ص23.

³ ابن خلكان. مصدر سابق. م4، ص348؛ ابن عماد الحنبلي. مصدر سابق. ج2، ص18.

⁴ البغدادي. مصدر سابق. ج3، ص19.

⁵ الذهبي. سير. ج9، ص467.

⁶ مصطفى. مصدر سابق. ج1، ص163-164.

⁷ انظر. ابن سعد، مصدر سابق. ج5، ص354؛ ج6، ص(28، 29، 34، 448، 449، 468، 486)؛ ج7، ص(222، 223، 145، 146، 213، 144، 70، 69، 43، 42)؛ البلاذري.

مصدر سابق. ج5، ص(337، 338، 345، 347، 350)؛ الطبري. مصدر سابق. م3، ص(353، 383)؛ ابن عساکر. مصدر سابق. ج15، ص284-285، ج20، ص395. ج28؛ ص306-209؛ ج37، ص125-126؛ ج54، ص338؛ ج55، ص12-13. ج58؛ ص106-107؛ ص111؛ ج59، ص363-364. ابن الجوزي. مصدر سابق. ج6، ص17-16؛ الذهبي.

تاريخ (حوادث ووفيات 61-80هـ). ص27-28؛ الذهبي. سير. ج3؛ ص324-325 ابن كثير الدمشقي. مصدر سابق. ج5، ص747، 743، 742، 733؛ السيوطي، مصدر سابق

ص166؛ العاصمي المكي. مصدر سابق. ج3، ص202.

⁸ - الدورى. مصدر سابق. ص28

امتازت روايات الواقدي بتناولها ظروف حصول الحدث وتفسيره، فمثلاً عندما يذكر مقتل معقل بن سنان ، يبين أن سببه الحديث الذي دار بينه وبين مسلم بن عقبة، وهما في طبريا حيث قال له معقل: إننا سوف نذهب إلى المدينة وسنخلع يزيد السكير وسنباع احد أبناء المهاجرين.

نقل المؤرخون الأوائل روايات الواقدي من مؤلفاته ، وخاصة كتابه التاريخ الكبير ، ونقلت عن كتبه بعض المصادر المتأخرة مع بعض التعديلات في الألفاظ¹.

يعد أبو الحسن² علي بن محمد المدائني بن عبد الله بن أبي سيف (ت225هـ/840م)³ من موالى قريش ، وإن اختلف في البطن الذي والاه ف قيل لبني هاشم⁴ وقيل لغيرهم⁵.

ولد المدائني في البصرة⁶ سنة 132هـ⁷ ونشأ بها⁸ ، ثم رحل إلى المدائن ، ومنها إلى بغداد حيث استقر فيها، وقضى بقية عمره هناك⁹ ، ولم تذكر المصادر المختلفة شيئاً عن طفولته باستثناء أنه كان متكلماً من غلمان معمر بن الأشعث¹⁰ حيث تعلم على يديه علم الكلام، لكن قائمة مؤلفاته الكثيرة والمتعددة تخلو من هذا العلم، ويبدو أنه ترك هذا الجانب وتحول إلى الدراسات الأدبية والتاريخية¹¹.

سمع المدائني من كبار شيوخ عصره كعوانة بن الحكم¹² ، وروى عنه ثلثة من علماء عصره¹³ ، وقد اتصل بإسحاق بن إبراهيم الموصللي، فكان لا يفارق منزله حيث مات فيه¹⁴

¹ - ابن الجوزي. مصدر سابق. ج6، ص16؛ حيث نقل المدائني عن الواقدي روايته وأضاف كلمة الأرجاس.

² - ابن النديم، مصدر سابق ، ص130؛ البغدادي، تاريخ ، ج12، ص54؛ الذهبي، سير، ج10، ص400.

³ - ابن قتيبة. مصدر سابق. ص538؛ البغدادي، مصدر سابق ج12، ص54_55؛ الحموي. مصدر سابق. ج14، ص124؛ 139؛ الذهبي. سير . ج10، ص400_402؛ ابن حجر. لسان. ج6، ص13_14؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف(ت874هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استراكات وفهارس جامعة. ج2؛ ص259؛ السيوطي. مصدر سابق. ص267؛ ابن النديم. مصدر سابق. ص130_131؛ وانظر أيضاً:- الدوري. مصدر سابق. ص34_35؛ مصطفى. مصدر سابق. ج1، ص185_189؛ بروكلمان. تاريخ ، ص40_44؛ سالم. التاريخ. ص69_71؛ سزكين. مصدر سابق. ج2، ص139_142؛ ملحم. مصدر سابق. ص37_39؛ مرغوليوث، مصدر سابق. ص99-104.

⁴ ابن النديم، مصدر سابق ، ص130.

⁵ ابن حجر، لسان ، ج6، ص13؛ ياقوت، مصدر سابق ، ج14، ص124؛ البغدادي، مصدر سابق ، ج12، ص54.

⁶ البغدادي ،مصدر سابق ،ص54

⁷ ابن النديم، مصدر سابق ، ص130.

⁸ الذهبي، سير، ج10، ص401.

⁹ البغدادي، مصدر سابق ، ج12، ص55.

¹⁰ الذهبي، سير، ج10، ص402.

¹¹ جواير، عماد عزام "علي بن محمد المدائني (228هـ) ودوره في كتابة التاريخ" رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: د. جمال جودة، جامعة النجاح الوطنية، 2001، ص10.

¹² الذهبي، سير، ج10، ص401.

¹³ البغدادي، تاريخ ، ج12، ص54.

¹⁴ الحموي، مصدر سابق ، ج14، ص125.

وكان الموصلية موسيقياً وأديباً، وكان بيته بمثابة منتدى أدبي، وقد أغدق الأموال على المدائني¹.

تنوعت معرفة المدائني وعلومه، إذ كان عالماً بأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم²، والمغازي³، والفتوح⁴، وراويًا للشعر⁵، صدوقاً في نقله⁶، وثقة فيما يرويها⁷. وعنه أخذ التلاميذ التاريخ الإسلامي⁸. وقد جمع بين وجهات النظر المختلفة، وأخذ من الروايات العراقية والروايات المدنية. واعتمد في روايته على الإسناد متبعاً بذلك أسلوب المحدثين في نقد الروايات التاريخية⁹، مما جعله يحظى بثقة العلماء المعاصرين له، والذين جاءوا من بعده¹⁰.

اختلفت آراء أهل الحديث في المدائني، فقد اعتبره عبد الله بن عدي (360هـ/971م) مقلاً في رواياته المسندة، وغير قوي في الحديث¹¹، أما يحيى بن معين فقد اعتبره ثقة¹². ناصحاً تلاميذه بأخذ أخبار الإسلام منه ونسخ كتبه¹³.

لم تشر الروايات التاريخية إلى وجود صلات قوية له بالخلفاء العباسيين الذين عاصر ثمانية منهم وآخرهم المعتصم، باستثناء ما ورد من أن الخليفة المأمون طلب منه تقديم المشورة له عن ميول أهل الشام لبني أمية فأستجاب لطلبه¹⁴.

صنف المدائني مئات الكتب، وعُدَّ من المؤلفين المكثرين¹⁵. إذ وصلت عدد مؤلفاته مئتين وتسعة وثلاثين مصنفاً بين كتاب ورسالة¹⁶. وقيل مائتان وواحد وستون مصنفاً¹⁷. وهي بالمجمل تشمل المغازي والسير لحياة الرسول (ص) وأخبار قريش، والفتوحات والأحداث

¹ جواربه، مصدر سابق. ص 11.

² البغدادي. مصدر سابق. ج 12، ص 55؛ ابن قتيبة. مصدر سابق. ص 538؛ ابن حجر. لسان. ج 6، ص 13.

³ الذهبي. سير. ج 10، ص 401.

⁴ البغدادي. مصدر سابق. ج 12، ص 55؛ الذهبي. سير. ج 1، ص 401.

⁵ الذهبي. مصدر سابق. ج 12، ص 401؛ البغدادي. مصدر سابق. ص 55.

⁶ ابن حجر. لسان. ج 6، ص 13؛ البغدادي. مصدر سابق. ج 12، ص 55؛ الذهبي. مصدر سابق. ج 10، ص 401.

⁷ ابن تغري بردي. مصدر سابق. ج 2، ص 259؛ البغدادي. مصدر سابق. ج 12، ص 55؛ الذهبي. مصدر سابق. ج 10، ص 401؛ ابن حجر. مصدر سابق. ج 6، ص 13.

⁸ ابن تغري بردي. مصدر سابق. ج 2، ص 259.

⁹ سالم. مصدر سابق. ص 70.

¹⁰ سالم. مصدر سابق. ص 70.

¹¹ ابن حجر. لسان. ج 6، ص 13.

¹² البغدادي. مصدر سابق. ج 12، ص 55.

¹³ البغدادي. مصدر سابق. ج 12، ص 55.

¹⁴ الذهبي. مصدر سابق. ج 10، ص 400؛ جواربه، مصدر سابق، ص 12.

¹⁵ انظر ابن النديم. مصدر سابق. ص 130-131؛ الحموي. مصدر سابق. ج 14، ص 129-139؛ نوذكر الحموي ان من بين أسماء كتبه كتاب اسماء (حرة واقم). ص 134.

¹⁶ بروكلمان. تاريخ. ج 2، ص 4-40.

¹⁷ ملحم، مصدر سابق. ص 38.

والصراعات داخل المجتمع الإسلامي. إضافة إلى تراجم أشخاص وسير ذاتية. وكتاب أخبار الخلفاء الذي ابتدأه بأخبار أبي بكر، وختمه بأخبار الخليفة المعتمد (ت227هـ/842م)¹.

استمد المدائني رواياته من الإخباريين السابقين مثل: الواقدي، وابن اسحق، وأبو مخنف مضيفاً إلى هذه الروايات بحوثه الخاصة ذات الصلة بتاريخ ولاية البصرة، وفتوح خراسان، حيث اتبع طريقة المحدثين في نقد الروايات التاريخية مثبتاً السند لها مما جعله محط ثقة المؤرخين². ذكر 31 رواية عن موقعة الحرّة في تسعة مصادر مختلفة³ وقد احتوت على آية قرآنية وخمسة عشر بيت شعر منها ثلاث روايات تكررت عند أكثر من مؤرخ .

اتسمت روايات المدائني بالإيجاز والتخصص باستثناء روايتين طويلتين شملتا تفاصيل موقعة الحرّة. كما قدمت روايات المدائني صورة متكاملة وواضحة عن الموقعة واتسمت بالموضوعية. كما كان متوازناً عندما جمع بين الروايات (المدنية والعراقية) (الواقدي وأبو مخنف) مضيفاً إليها بحوثه الخاصة⁴. ولهذا جاء بمعلومات لم يقدمها أحد من الإخباريين قبله.

أما المؤرخين الكبار فيأتي في البداية خليفة بن خياط (ت240هـ/855م)⁵ المولود في البصرة عام 777/160م في بيت علم، وقد اشتهر بلقب شّباب⁶، وأبو عمر العصفري البصري⁷. ووصف بأنه صاحب التاريخ والطبقات⁸. واشتهر بالحديث ومعرفة الأنساب والأخبار⁹. وروى عنه البخاري بعض الأحاديث¹⁰ لأنه كان من الثقات¹¹. ثبتاً يقظاً عند علماء الحديث¹².

¹ - الدوري. مصدر سابق. ص34؛ مصطفى. مصدر سابق. ص186؛ ملحم. مصدر سابق. ص38.

² - الدوري، مصدر سابق، ص35؛ مصطفى. مصدر سابق. ص188.

³ - البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص349، ص354، ص355؛ الأصفهاني. الأغاني، ج1، ص28_32؛ الأصفهاني، مقاتل. ص123؛ ابن عساکر. مصدر سابق. ج11، ص324_325؛ ج24، ص478_479، ج27، ص428، 432، 43، ص331، 58، 108؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص12_17؛ الذهبي. تاريخ (حوادث ووفيات 61_80هـ). ص25؛ الذهبي. سير. ج3، ص323؛ ابن كثير دمشقي. البداية. ج5، ص730_733، ص747؛ العاصمي المكي. مصدر سابق. ج3، ص202.

⁴ - الدوري. مصدر سابق، ص34.

⁵ - عمر بن احمد بن عثمان، ابن شاهين (385هـ). تاريخ أسماء الثقات. تحقيق: عبد المعطي أمين قلجعي. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1986، ص118. الدار قطني. ذكر. ج1، ص127؛ جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، القفطي (624هـ) أنباه الرواه على أنباء النجاه. تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم. ط1. بيروت: المكتبة العصرية، 2004). ج4، ص24؛ ابن العماد الحنبلي. مصدر سابق. ج2، ص94.

وانظر أيضاً: مصطفى. مصدر سابق. ج1، ص234_236؛ بروكلمان. تاريخ الادب العربي. ق3_2، ص234.

⁶ - القفطي. مصدر سابق، ج4، ص24؛ ابن العماد الحنبلي. مصدر سابق، ج2، ص94؛ بروكلمان. تاريخ. ق2_3، ص234.

⁷ - الدار قطني. مصدر سابق، ج1، ص127؛ ابن العماد الحنبلي. مصدر سابق، ج2، ص94؛ بروكلمان. تاريخ. ق2_3، ص234.

⁸ - ابن العماد الحنبلي. مصدر سابق، ج2، ص94؛ بروكلمان. تاريخ، ق2_3، ص234.

⁹ - القفطي. مصدر سابق، ج4، ص24.

¹⁰ - ابن العماد الحنبلي. مصدر سابق، ج2، ص94.

¹¹ - ابن شاهين، مصدر سابق، ص118.

¹² - ابن العماد. مصدر سابق، ص94.

وسببت له سعة علمه ومعرفته الكبيرة في مجالات العلوم المختلفة حسد معاصريه من العلماء ولا سيما خصومه من المعتزلة¹.

أخذ معلوماته من مصادر مختلفة، ورواه أكثر بلغ عددهم مائة راوٍ منهم محمد بن اسحق ووهب بن جرير وأبو معشر السندي وهشام الكلبي². واهتم بالإسناد على طريقة المحدثين، وذلك أثناء سرده للروايات والأحداث التاريخية، واتبع طريقة الحوليات في كتابه الذي حمل عنوان "التاريخ"، واستخدم طريقة الطبقات في كتابه المسمى "الطبقات"، واستخدم هاتين الطريقتين عند المؤرخين الذين جاءوا بعده، واحتذى حذوه كثير من العلماء منهم الطبري³.

تميز خليفة في كتابه "التاريخ" عن غيره من المؤرخين، بالاعتناء بذكر قوائم أسماء الشهداء في المواقع والغزوات، كما انه لم يهمل ذكر أسماء العمال والولاة وكبار موظفي الدولة في الوظائف الإدارية والمالية. وانفرد عن سائر المؤرخين عندما ذكر أسماء قتلى موقعة الحرّة وغيرها. ونقل عنه العديد من المؤرخين، الذين جاءوا بعده مثل الطبري وابن سعد والبخاري وابن حنبل، وبهذا أصبح تاريخه من التواريخ التي لا يمكن الاستغناء عنها⁴.

أورد خليفة بن خياط في تاريخه ثلاث عشرة رواية عن موقعة الحرّة، واستخدم ألفاظاً تدل على معاصرة روايته للأحداث من خلال صيغة السماع والمشافهة مثل (حدثنا وهب)⁵. وأورد ألفاظاً تدل على نقله المباشر من بعض المصنفات حتى يعزز الثقة للقارئ فيما يرويها ومثال ذلك: قال أبو اليقظان⁶، قال وهب⁷، قال أبو الحسن وقال عوانة⁸.

اهتم خليفة في رواياته بالإسناد الجمعي للتخلص من تكرار الإسناد حيث بلغ عدد الروايات التي استخدم فيها الإسناد الجمعي ثلاث روايات.

نقل خليفة ثلاث روايات عن أبي اليقظان، وسبع روايات عن وهب بن جرير وروايتين عن أبي الحسن وواحدة مشتركة مع عوانة بن الحكم. استعرض فيها أحداث موقعة الحرّة بأسلوب متسلسل ومترابط ومتين اتسم بالإيجاز والتخصص في انتقاء الروايات، وتميزت لغته بوضوح المعاني وسلامة المفردات، وحرص على الاستعانة بالمصادر المدنية كروايات أبي اليقظان ووهب بن جرير الذي نقل رواياته عن جويرية بن أسماء عن أشياخ من أهل المدينة. كما أن

¹ - مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 234.

² - مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 234_235.

³ - مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 235.

⁴ - مصطفى، مصدر سابق، ج 1، ص 235.

⁵ - خليفة، مصدر سابق، ص 147، ص 149.

⁶ - خليفة، مصدر سابق، ص 147، ص 149.

⁷ - خليفة، مصدر سابق، ص 148، ص 149.

⁸ - خليفة، مصدر سابق، ص 149.

وهب بن جرير أورد روايات تدل على معرفته بأخبار بني أمية ، وهذا واضح من خلال مجمل الروايات التي اعتمدها خليفة في تاريخه.

كان خليفة موضوعياً في رواياته، ولم يورد الروايات التي تحط من قدر الجيش الشامي بما تنسبه إليه من إباحة المدينة، واغتصاب النساء والمبالغة في عدد القتلى. وذكر أن عدد القتلى (306)، وأورد أسماءهم وانسابهم ، بخلاف ما ورد عن غيره، وربما لأن تلك الروايات لم تكن موجودة في تلك الفترة، ولم يسمع بها هو ومن جاء بعده كالبلاذري والطبري والأصفهاني والدينوري وغيرهم. وإنما جاءت بعد ذلك بفترة طويلة.

تناول كتاب الإمامة والسياسة¹ لمؤلف مجهول في القسم الأول منه أحداث موقعة الحرّة بصورة مفصلة ابتداءً من وفاة معاوية بن أبي سفيان، وطلب ابنه يزيد من واليه على المدينة بأن يأخذ البيعة له من كبار الصحابة فيها، مروراً بأسبابها التي انفرد في ذكر بعضها، ومجرياتها وأحداثها، وانتهاءً بنتائجها، ونقلها من مصادر مطلعة على تلك الأحداث من الأمويين وأهل المدينة.

أورد صاحب الإمامة والسياسة ثلاث روايات مسندة إسناداً كاملاً جاءت متفرقة بمواضيعها، حيث استهل رواياته الأولى بوفاة معاوية والحديث الذي دار بين عتبة بن مسعود مع عبدالله بن عباس حيث أشاد الأخير بيزيد بن معاوية طالباً من المسلمين مبايعته بالخلافة. أما الرواية الثانية فكانت حول موقف يزيد بن معاوية من أسرى آل علي بن أبي طالب بعد موقعة كربلاء. أما الرواية الثالثة فجاء بها عندما ذكر عدد قتلى الحرّة. وقد جاءت الرواية الأولى بإسناد جمعي وبلطف "ذكروا". أما الروايتان الأخيرتان فقد نقلهما عن أبي معشر.

استخدم صاحب الإمامة والسياسة الإسناد الجمعي المتمثل بلفظ "ذكروا"، وذكر هذه الصيغة، مرة² وصيغة "قالوا" مرة أخرى³. وهي أسانيد جمعية نقلها من مصادر شفوية أو مكتوبة. وجاءت بهذه الصيغة، لأنها كانت مقبولة لدى عامة المؤرخين⁴ في تلك الفترة. وأخذ صاحب الإمامة والسياسية روايات مباشرة من عدد من الإخباريين والرواة مثل أبو معشر فقد أورد إحدى رواياته بصيغة السمع والمشاهدة عندما قال: قال لي أبو معشر،⁵ كما أورد

¹ الإمامة والسياسة ، حقق هذا الكتاب سعيد صالح في رالة ماجستير في الجامعة الأردنية ونسبه لمؤلف الإمامة والسياسة في القرن الثالث هجري . تحقيق سعيد

صالح ، الجامعة الأردنية ، 1973 . وانظر أيضاً ملحم، مصدر سابق. ص53-55.

² - الإمامة والسياسة. ج1، ص163، ص165_166، ص170، ص174_177.

³ - مصدر سابق. ج1، ص177.

⁴ - الدوري. مصدر سابق، ص43.

⁵ - الإمامة والسياسة. ج1، ص173_174.

روايات عدة بصيغة قال أبو معشر¹ أو أبو معشر قال²، أو بصيغة قال الزهري³ أو قال عبدالله بن جعفر⁴ وقال الضحاك⁵ وهذا يدل على أنه اعتمد على إخباريين في نقله للأخبار، أو من خلال معاصرين للحدث كعبد الله بن جعفر الذي حاول التوسط بين يزيد وأهل المدينة.

اشتملت روايات الحرّة عند صاحب الإمامة والسياسية على خمس رسائل وثلاث آيات قرآنية وحديثين ووصية وخطبة. ولم يظهر له ميل معين فيها ولكن يمكن القول من خلال الروايات التي أوردتها، والتي تؤكد على أن كبار الصحابة قد طلبوا مبايعة يزيد حفاظاً على مؤسسة الخلافة فإننا نقول أن رواياته التي انتقاها كانت تصب في هذا الاتجاه علماً أنه أورد روايات ينتقد فيها ممارسات الجيش الشامي داخل المدينة والمتعلقة بعملية النهب والقتل لمن لم يبايع على أنه خول ليزيد، كما أورد روايات تبين فضائل قتلى الحرّة وأقوال مأثورة لابن سيرين وغيره تؤكد أنهم شاهدوا في المنام قادة أهل المدينة المقتولين في الجنة. وهذه إشارات تؤكد أنه عارض ما جرى من أحداث ابتداء من قصة الخروج على يزيد وانتهاء بنتيجة أحداث الحرّة.

أورد صاحب الإمامة والسياسية روايات دقيقة لم يروها أحد من قبله كما جاء في الرسالة التي بعثها مسلم بن عقبة ليزيد بن معاوية بعد الانتهاء من موقعة الحرّة. أورد رواية أخرى يظهر أن مدة القتال بين الطرفين كانت قصيرة .

ومن كبار مؤرخي القرن الثالث الهجري البلاذري، وهو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892م)⁶

¹ - الإمامة والسياسة، ج1، ص173، ج2، ص185.

² - الإمامة والسياسة، ج2، ص186_187.

³ - الإمامة والسياسة، ج1، ص177.

⁴ - الإمامة والسياسة، ج1، ص165_166.

⁴ - الإمامة والسياسة، ج1، ص176

⁵ - الإمامة والسياسة، ج1، ص176

⁶ - ابن النديم، مصدر سابق، ص142_143؛ (ابن عساكر، مصدر سابق ج6، ص74؛ ابن خلكان، مصدر سابق، م1، ص24، ص372؛ الحموي، مصدر سابق، ج5، ص89_102؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ)، سير أعلام النبلاء، اشرف على تحقيق الكتاب واخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء على أبو زيد، ط7، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990، ج13)، ص162_163؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام حوادث ووفيات (271_280هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1994، م1، ص289_291؛ الصفي، مصدر سابق ج8، ص155_157؛ الكتبي، محمد بن شاذان (774هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ب.ت.م)، ص155_157؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ابن حجر (852هـ)، لسان الميزان، اعتنى به الشيخ العلامة، سلمان عيد الفتاح أبو غدة، ط1، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2002م)، ج1، ص693_694؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف، ابن تغري بردي، (874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدركات وفهارس جامعة، ج3، ص83؛ السيوطي، مصدر سابق، ص365.

وانظر أيضاً: الدوري، مصدر سابق، ص43_44؛ مصطفى، مصدر سابق، ج1، ص243_245؛ العزام، مصدر سابق، ص23_24؛ سزكين، مصدر سابق، م1، ج2، ص152_154؛ بروكلمان، تاريخ، ق2_3_4، ص45؛ كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص175_176؛ السدلو، مصدر سابق، ص13_14؛ ملحم، مصدر سابق، ص13_21؛ صلاح الدين، المنجد، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، (بيروت: مؤسسة التراث العربي، 1959)، ص17-37؛ أحمد بن يحيى بن جابر، البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، حققه وقدم له خليل عثمانة (أورشليم القدس: معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية الجامعة العبرية في اورشليم، 1993)، مصدر سابق، ص130-133.

ويكنى بابي بكر البغدادي¹، وقيل بأبي الحسن²، وأبي جعفر³. ويعتقد أن سبب تعدد هذه الكنى جاء من وحي النساخ وتحريفهم⁴. ولم تجمع المصادر على لقب موحد له. كما تغيب المعلومات حول تعدد أسباب الكنى وعدد أبنائه وحياته الأسرية الخاصة. في حين رجحت إحدى الدراسات أنه ولد في بغداد في أواخر القرن الثاني للهجرة سنة (266هـ/880م)⁵.

تذكر المصادر أن لقب البلاذري جاء من ثمر البلاذر الذي شرب منه على غير معرفة، فوسوس⁶ وأدخل المشفى (البيمارستان) وشد (ربط) ولم يخرج إلا ميتاً⁷. ولهذا سمي البلاذري⁸. وقيل إن الذي شرب ثمر البلاذر هو جده جابر بن داوود وهو صاحب اسم البلاذري⁹. وقد رفض بروكلمان هذا التوجه في نسب البلاذري، وان هذا الثمر يذهب العقل، وأشار إلى أن حبّ البلاذر يُشرب لتقوية العصب والذاكرة وهو مازال يشرب لغاية اليوم في مراكز لتقوية الذاكرة¹⁰. وأشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أكل احمد بن جابر لثمر البلاذر، وأنه مات جراء ذلك، ولكن قالوا إن جده أيضا كان يحمل لقب البلاذري قبل ذلك¹¹.

تنقل البلاذري بين مدن وأقطار العالم الإسلامي طلبا للعلم، حيث أغنى معارفه غنى كبيرا بالرحلات التي قام بها، فانطلق من دار إقامته ببغداد وزار الكوفة¹². وواسط، والبصرة، والحديثة، والمدائن¹³، ودمشق¹⁴، وحمص¹⁵، وأنطاكية¹⁶، والحجاز وإيران¹⁷. وكان يتحرى الحقيقة ويسجل ما شاهده بنفسه¹⁸، لذا روى عنه جم غفير من العلماء والمؤرخين¹⁹.

¹ - ابن عساکر. مصدر سابق. ج6، ص74؛ الذهبي. سير. ج13، ص162؛ الذهبي. تاريخ(271_280) ص290؛ الصفيدي. مصدر سابق. ج8، ص155؛ الكتبي. مصدر سابق. م1، ص155؛ ابن تغري بردي. مصدر سابق. ج3، ص83.

² - ابن النديم. مصدر سابق. ص142؛ ابن عساکر. مصدر سابق. ج6، ص74؛ الذهبي. تاريخ(261_270). ص289؛ الصفيدي. مصدر سابق. ج8، ص108؛ الكتبي. مصدر سابق. م1، ص155؛ ابن تغري بردي. مصدر سابق. ج3، ص83؛ الذهبي. سير. ج13، ص163؛ الذهبي. تاريخ(270_280) ص290.

³ - ابن عساکر. مصدر سابق. ج6، ص74؛ ابن خلکان. مصدر سابق. م6، ص24، ص372؛ الذهبي. سير. ج13، ص163؛ الذهبي. تاريخ(270_280). ص290.

⁴ - ملحم، مصدر سابق، ص14.

⁵ - المنجد، مصدر سابق، ص18

⁶ - ابن عساکر. مصدر سابق. ج6، ص74؛ الذهبي. سير. ج13، ص162؛ ابن حجر، مصدر سابق، ج1، ص693؛ الصفيدي. مصدر سابق. ج8، ص155.

⁷ - ابن النديم. مصدر سابق. ص143؛ ابن حجر. مصدر سابق. ج1، ص693؛ الذهبي. سير. ج13، ص163.

⁸ - ابن حجر. لسان، ج1، ص693.

⁹ - ملحم، مصدر سابق، ص14.

¹⁰ - بروكلمان، مصدر سابق، ق2 3_4، ص45.

¹¹ - كراتشكوفسكي. مصدر سابق، ص176.

¹² - ملحم، مصدر سابق، ص16.

¹³ - ملحم، مصدر سابق، ص16

¹⁴ - ابن عساکر. مصدر سابق. ج6، ص74؛ الصفيدي. مصدر سابق. ج1، ص155؛ مصطفى. مصدر سابق، ص243.

¹⁵ - سزكين. مصدر سابق، م2، ص152.

¹⁶ - الصفيدي. مصدر سابق. ج8، ص155؛ ابن عساکر، مصدر سابق، ج6، ص74؛ ملحم، مصدر سابق، ص16.

¹⁷ - مصطفى. مصدر سابق، ص243.

¹⁸ - مصطفى. مصدر سابق، ص243.

¹⁹ - ابن تغري بردي. مصدر سابق. ج3، ص13.

أقام البلاذري علاقات قوية مع الخلفاء العباسيين ووزرائهم، فقد مدح المأمون¹ وجالس المتوكل وندمه². ومدح المستعين الذي أهدق عليه الأموال وتكفله طوال حياته³ وعينه مربيا لابن الخليفة المعتز "عبدالله"⁴. الشاعر المشهور⁵. وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى اللغة العربية⁶.

أشاد أهل العلم والمؤرخين بالبلاذري، ووصفوه بأنه كان: "شاعراً راوية"⁷ " وأديباً"⁸ وعلامة⁹، وكتاباً بليغاً¹⁰ "وأحد البلغاء"¹¹، صاحب التواريخ، حافظاً إخبارياً¹² "ومؤرخاً جامعاً"¹³ وله كتب جياذ¹⁴. ومع ذلك فقد قيل إنه كان كثير الهجاء للأشراف بذيء اللسان متناولاً لأعراض البشر بالسوء¹⁵. وإنه كان حسوداً لا يحب أن يرى أحداً أفضل منه¹⁶.

أما مؤلفاته فهي كثيرة، منها كتاب البلدان الصغير، وكتاب البلدان الكبير، وكتاب الأخبار والأنساب والفتوح، وكتاب عهد أردشير ترجمه بشعر¹⁷. غير أنه لم يصلنا من كتبه إلا كتابين هما أنساب الأشراف وفتوح البلدان، حيث يعدّ كتاب أنساب الأشراف من الكتب التي اعتمدت على المصادر المكتوبة والروايات الشفوية، وكان يوائم بين المصدرين بعد أن يقوم بنقد الرواية، ثم يوردها بإسنادها. ويكثر من الإسناد الجمعي بصيغة "قالوا"، وهذا يعني أن نوعاً من الإجماع قد تم حول قبول بعض الروايات والرواة¹⁸.

أورد البلاذري كذلك الروايات المتصلة بالمنطقة والقبيلة، ثم تممها بالروايات الأخرى الشفوية وغيرها. ومثال ذلك روايات موقعة الحرّة حيث رواها بصورة أساسية عن المدائني،

- 1- ابن عساکر. مصدر سابق. ج6، ص74؛ الذهبي. سير. ج8، ص163؛ الذهبي. تاريخ (280_271). ص289؛ ابن حجر، مصدر سابق، ج1، ص693؛ ابن تغري بردی. مصدر سابق، ج3، ص83.
- 2- الذهبي. تاريخ (280_271). ص289؛ ابن عساکر. مصدر سابق، ج6، ص74؛ الصفي. مصدر سابق، ج8، ص155؛ الكتبي، مصدر سابق، م1، ص155؛ ابن حجر. مصدر سابق، ج1، ص693؛ ابن تغري بردی. مصدر سابق، ج3، ص83.
- 3- ابن خلکان. وفیات، م6، ص24؛ الكتبي. مصدر سابق، م1، ص155؛ الصفي. مصدر سابق، ج8، ص156.
- 4- مصطفى. مصدر سابق، ج1، ص243؛ بروکلان. مصدر سابق، ق2_3، ص45.
- 5- الدلو. مصدر سبق ذكره، ص13.
- 6- ابن ندیم. مصدر سابق، ص143؛ الكتبي. مصدر السابق، م1، ص157؛ الصفي. مصدر سابق، ج6، ص157.
- 7- ابن ندیم. مصدر سابق، ص142؛ ابن عساکر. مصدر سابق، ج6، ص75؛ الذهبي. سير. ج13، ص162؛ الذهبي. تاريخ (280_271 هـ)، ص289؛ سزکین، مصدر سابق، ص152.
- 8- ابن عساکر. مصدر سابق، ج6، ص75؛ الذهبي. تاريخ (280_271)، ص289.
- 9- الذهبي. سير. ج13، ص162؛ السيوطي، مصدر سابق، ص365.
- 10- الذهبي. سير. ج13، ص162.
- 11- الذهبي. تاريخ (280_271)، ص289.
- 12- السيوطي. مصدر سابق، ص365.
- 13- سزکین. مصدر سابق، م1، ج2، ص152؛ كراتشكوفسكي. مصدر سابق، ص176.
- 14- ابن عساکر. مصدر سابق، ج6، ص75.
- 15- الصفي. مصدر سابق، ج8، ص156؛ ابن حجر. مصدر سابق، ج1، ص693؛ الكتبي. مصدر سابق، م1، ص156.
- 16- الصفي. مصدر سابق، ج8، ص156؛ انظر موقفه أمام الخليفة المتوكل من إبراهيم بن عباس الصولي وقصة كتاب الخراج، ص156، مصطفى. مصدر سابق، ج1، ص143.
- 17- ابن ندیم. مصدر سابق، ص143؛ الكتبي. مصدر سابق، م1، ص155؛ الصفي. مصدر سابق، ج8، ص157.
- 18- مصطفى. مصدر سابق، ص245.

والواقدي، وعوانة وعن أشياخ من أهل المدينة. وجمع فيها بين الروايات المدنية والروايات الشامية¹. حتى يعطي نوعاً من التوازن بين الروايات، وبخاصة إذا تضاربت فيما بينها.

اختلفت الدراسات الحديثة في نزاهة البلاذري وموضوعيته، فوصفته بعضها بأنه كان يميل للعباسيين ضد الأمويين². ووصفته دراسات أخرى بالنزاهة والموضوعية³. وهذا لم يمنع المؤرخين من الأخذ عنه على الرغم من امتناع أهل الحديث عن ذلك⁴.

أورد البلاذري ثلاثاً وثلاثين رواية عن موقعة الحرّة استخدم في بعضها ألفاظاً تدل على أنه أخذ عن شيوخه مباشرة⁵ "وحدثني"⁶ كما أورد ألفاظاً تشير إلى أنه نقل بشكل مباشر من مؤلفات الإخباريين السابقين. حيث أورد لفظ قال⁷ مرة واحدة كما أنه ذكر اسم الإخباري دون أي لفظ مثل. الواقدي وغيره⁸ أو هشام الكلبي قال أخبرني أبو مخنف⁹ أو الهيثم بن عدي عن عوانة¹⁰. واستخدم ألفاظاً مجهولة جاءت بصيغة "يقال"¹¹.

اهتم البلاذري بالإسناد الجمعي حتى يتمكن من التخلص من تكرار الإسناد وخاصة أن متون الروايات تتشابه فيما بينها مع وجود اختلافات بسيطة. وهذا الأسلوب عرفه المؤرخون منذ مطلع القرن الثالث الهجري بعد أن أخذت المعرفة عند العرب تنتقل بشكل تدريجي من السماع والمشافهة إلى الكلمة المكتوبة¹². وقد ذكر كلمة "قالوا" سبع مرات¹³ دون أن يشير إلى مصدره. استعرض البلاذري أحداث موقعة الحرّة بأسلوب متسلسل مترابط ومتين، وتميزت لغته بوضوح المعاني وسلامة المفردات. كما ابتعد عن التشكيك في الروايات التي جاء بها وكان يرجح رواية على أخرى، وأحياناً يورد أكثر من رواية للحادثة الواحدة ليؤكد أن هناك تبايناً في وجهات النظر لدى الإخباريين¹⁴ وقد تخللت روايات البلاذري سبعة وعشرين بيتاً من الشعر وخطبة وآية قرآنية ورسالة، وكانت جميع رواياته متخصصة وشاملة لما جرى في موقعة الحرّة.

¹- الدوري، مصدر سابق، ص43؛ المصطفى، مصدر سابق، ص245.

²- العزام، مصدر سابق، ص24.

³- مصطفى، مصدر سابق، ص245.

⁴- مصطفى، مصدر سابق، ص245.

⁵- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص354_355.

⁶- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص355.

⁷- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص338.

⁸- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص338.

⁹- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص338_341.

¹⁰- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص347.

¹¹- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص(341،344،350).

¹²- ملحم، مصدر سابق، ص41.

¹³- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص342_345، ص348_351.

¹⁴- البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص337_338؛ (رواية الواقدي وغيره) وقارنها برواية أشياخ المدينة، نفس المصدر، ج5، ص353.

في نهاية القرن الثالث يأتي اليعقوبي (ت292هـ/905م)¹ وهو احمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح². وقد ورد اسمه بأكثر من صيغة عند المؤرخين، فعرف بأحمد الكاتب، وأحمد بن يعقوب وابن واضح واليعقوبي³. وبابن اليعقوبي⁴ وحمل لقب الأصفهاني إذ يعتقد أن أصله من أصفهان⁵. كما أطلق عليه لقب المصري، لأن جده واضح عمل والياً على مصر في عهد الخليفة العباسي المهدي (ت169هـ/785م⁶). ولكن اللقب الذي اشتهر به وغلب عليه هو اليعقوبي⁷.

ولد اليعقوبي في بغداد⁸ ولم تذكر المصادر زمان ولادته، وقد قضى شبابه في أرمينيا في خدمة الدولة الظاهرية بخراسان⁹.

ينتمي اليعقوبي إلى أسرة لها علاقات قوية بالخلفاء العباسيين، فقد عمل أفراد أسرته في دواوين الخلفاء¹⁰. وكان جده واضح مولى للخليفة المنصور¹¹. وشغل أيضاً منصب حاكم أرمينيا ومصر¹²، وأذربيجان¹³. وكان جده ووالده من كبار عمال البريد¹⁴. اعتنق واضح المذهب الشيعي سراً. وقتل جراء ذلك¹⁵. وانتقلت الميول الشيعية لأفراد أسرته وأحفاده من بعده¹⁶. واعترف اليعقوبي بولائه للموسوية وهي فرقة من الامامية المعتدلين¹⁷.

¹ - الحموي. مصدر سابق. ج5، ص153_154.

انظر أيضاً: الدوري. مصدر سابق. ص44_46؛ ملحم. مصدر سابق. ص45_53؛ مصطفى. مصدر سابق. ج1، ص249_253؛ سالم. التاريخ والمؤرخون العرب. ص92_93؛ الغزام. مصدر سابق. ص25؛ كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. (بيروت: دار إحياء التراث العربي ب.ت). ج1، ص161؛ بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ق2_3_4. ص642_644؛ كراتشكوفسكي. مصدر سابق. ص171_175؛ فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة، صالح أحمد العلي، مراجعة

محمد توفيق حسين، بغداد: مكتبة المثنى، 1963، ص184-185؛ مرغوليوث، مصدر سابق. ص139-141.
AMUHAMM QASIM ZAMAN.ALyAKUBi.EI2.VX1.2002.P257_258.

² - الحموي. مصدر سابق. ج5، ص153؛ كحالة، مصدر سابق. ص161؛ ملحم، مصدر سابق. ص45.

³ - كراتشكوفسكي. مصدر سابق. ص171.

⁴ - كحالة، مصدر سابق، ص161.

⁵ - ملحم. مصدر سابق. ص45.

⁶ - ملحم. مصدر سابق. ص45.

⁷ - الدوري، مصدر سابق، ص153_154؛ ملحم، مصدر سابق، ص45.

⁸ - كراتشكوفسكي، مصدر سابق. ص171.

⁹ - بروكلمان، مصدر سابق. ص643.

¹⁰ - مصطفى. مصدر سابق. ص249.

¹¹ - بروكلمان، مصدر سابق، ص643؛ كراتشكوفسكي. مصدر سابق. ص172.

¹² - كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص172

¹³ - بروكلمان. مصدر سابق. ص643.

¹⁴ - كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص172.

¹⁵ - بروكلمان. مصدر سابق. ص642.

¹⁶ - ملحم، مصدر سابق، ص47؛ فرانز روزنتال، مصدر سابق. ص184

¹⁷ - بروكلمان. مصدر سابق. ص643.

صنف اليعقوبي سبعة مؤلفات في التاريخ والجغرافيا، حيث تفرد بمعلومات وافية في مجال الجغرافيا لم يذكرها غيره¹. ومن كتبه: "التاريخ" "البلدان" "أسماء الأمم السالفة"، "مشاكل الناس لزمانهم"²، "المسالك والممالك"، "فتوح المغرب"، وكتاب يختص بالطاهريين³.

وما يخص الدراسة فهو كتابه المعروف بتاريخ اليعقوبي، فهو موجز تاريخي منظم تناول فيه التاريخ العالمي منذ بداية الخلق، وحتى عام (259هـ/873م). وقد اهتم في تاريخه بالجانب الحضاري والثقافي اهتماماً يفوق الجانب السياسي⁴. وأعتد على مصادر متعددة تعكس أنتاجاً بارعاً للمنهج التاريخي⁵. وعندما تناول القسم الإسلامي في كتابه فقد أعتد على مصادر علوية وعباسية. ولم ينس أن يأخذ من مصادر أهل المدينة مثل الواقدي وابن إسحاق، ومن المصادر العراقية مثل المدائني، والهيثم بن عدي، حيث إتبع في هذا القسم من الكتاب نهجا انتقائياً، وروى ما رواه الشيوخ المتقدمون رغم اختلافهم في حديثهم وأخبارهم⁶. وأسقط الإسناد، لأنه كان قد استقر في تلك الآونة⁷.

لم يذكر اليعقوبي مصادر عن موقعة الحرّة واكتفى بذكر أسماء الرواة والإخباريين الذين أخذ عنهم جميع روايات كتابه في مقدمة الجزء الثاني من تاريخه⁸. وبعد الاطلاع والمقارنة يتبين أنه اعتمد على صاحب كتاب الإمامة والسياسة⁹ وعلى المدائني¹⁰.

وحديث اليعقوبي عن الحرّة حديث موجز لا يتجاوز واحداً وعشرين سطراً، فهو لا يأتي على الآراء التي قيلت في تلك الموقعة، ولا يصف لنا مجريات الأحداث¹¹. والملاحظ فيما أورده أنه ينتقي الروايات التي تحمل بني أمية المسؤولية في الموقعة، وتحط من قدرهم، ويأتي بالروايات التي تعلي من شأن علي بن الحسين، وتظهر الظلم الذي وقع على أهل المدينة¹². لذا يعتبر بأنه غير موضوعي.

¹ - كراتشكوفسكي. مصدر سابق، ص. 174.

² - الحموي، مصدر سابق، ج. 5، ص. 154.

³ - ملحم. مصدر سابق، ص. 47.

⁴ - مصطفي. مصدر سابق، ص. 250.

⁵ - مصطفي. مصدر سابق، ص. 250.

⁶ - مصطفي، مصدر سابق، ص. 250؛ انظر اليعقوبي، ج. 2، ص. 4.

⁷ - الدوري، مصدر سابق، ص. 45.

⁸ - اليعقوبي. تاريخ. ج. 2، ص. 4.

⁹ - انظر للمقارنة بين صاحب الإمامة والسياسة، ج. 1، ص. 166_165؛ بإسناد جمعي (ونكروا) وبين اليعقوبي ج. 2، ص. 174؛ حول أسباب موقعة الحرّة. وانظر أيضاً عند صاحب الإمامة والسياسة، ج. 1، ص. 168_169؛ وبين اليعقوبي ج. 2، ص. 175؛ حول موقف مسلم بن عقبة من قتاله لأهل المدينة.

¹⁰ - انظر للمقارنة ما بين روايات المدائني عند (ابن الجوزي، المنتظم، ج. 6، ص. 15. وابن كثير الدمشقي، البداية، ج. 5، ص. 732) وما بين اليعقوبي ج. 2، ص. 175 حول هناك الأعراض في المدينة.

¹¹ - انظر اليعقوبي. تاريخ. ج. 2، ص. 174_175.

¹² - انظر اليعقوبي. تاريخ، مصدر سابق، ج. 2، ص. 175.

يأتي الطبري (ت 310هـ/922م)¹ في قمة مؤرخي القرن الرابع الهجري، وهو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير² بن غالب³ وقيل ابن خالد الطبري الآملي⁴. وقيل أبو جعفر الطبري⁵. رغم أنه لم يتزوج، حيث كان حصوراً (أي أنه كان زاهداً بالدنيا) لا يقرب النساء⁶. وعلل ذلك من أجل التفرغ للعلم والدراسة⁷.

ولد الطبري عام 224هـ/839م⁸، وقيل عام 840/225 م⁹، بآمل في طبرستان¹⁰. وهي ناحية واسعة الأرجاء من بلاد فارس بين جرجان والديلم على بحر قزوين¹¹ ولهذا قيل عنه إنه مؤرخ أعجمي الأصل، فارسي. وقد نفت بعض الدراسات الحديثة هذا القول مؤكدة أن الطبري عربي الأصل والمنشأ¹².

اهتم الطبري بتلقي العلم منذ صغره، ورحل من بلده وهو ابن اثنتي عشرة سنة 236هـ/851م¹³، بعد أن تلقى العلم هناك، وحفظ القرآن الكريم، فسمح له والده بالتنقل والأسفار، وكان يمهده بالمال اللازم حتى يكمل مشواره العلمي¹⁴. وقيل أنه طلب العلم بعد 240هـ/855م¹⁵. وعلى كل فإن الطبري سعى للتعلم والدراسة وهو صغير وارتحل عن بلده وهو فتى يافع فزار بلاد الأعاجم¹⁶، والعراق والشام ومصر والحجاز¹⁷، ولقي خلال ترحاله كبار العلماء والرجال¹⁸. واستقر به المطاف في بغداد¹⁹.

¹ القفطي، مصدر سابق، ج3، ص89، 90؛ ابن خلكان، مصدر سابق، م4، ص191-192؛ الحموي، مصدر سابق، ج18، ص40-94؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، حقق هذا الجزء أكرم البوشي، ط7، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990)، ج14، ص267-282؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوادث ووفيات 301-310)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1994)، ص279-286؛ الصفي، صلاح الدين خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الاناوط وتركي مصطفى، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م)، ج2، ص212؛ ابن حجر، مصدر سابق، ج7، ص25-29؛ ابن تغري بردي، جمال مصدر سابق، ج3، ص205؛ السيوطي، مصدر سابق، ص307-308؛ ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص260؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص287-288؛ وانظر أيضاً: الدوري، مصدر سابق، ص47-48؛ دلو، مصدر سابق، ص14-16؛ مصطفى، مصدر سابق، ص253-264؛ الغزالي، مصدر سابق، ص26؛ ملحم، مصدر سابق، ص59-82؛ بروكلمان، تاريخ، ج2، ص47-49؛ سزكين، مصدر سابق، م1، ج2، ص159-168، 11-15، P.11، E12، V.XI، 2000، C.E.BOSWORTH، AL-TABARI، حسن، بكر، علي، الطبري ومنهجه في التاريخ، القاهرة: دار غريب، ب ت، برغوليوث، مصدر سابق، ص115-116.

² الذهبي، سير، ج14، ص267.

³ القفطي، مصدر سابق، ص89؛ ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج3، ص205؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (301-310)، ص279.

⁴ ابن النديم، مصدر سابق، ص287.

⁵ القفطي، مصدر سابق، ص89؛ ابن خلكان، مصدر سابق، م4، ص191؛ الذهبي، سير، ج14، ص267؛ الذهبي، تاريخ (301-310)، ص279؛ ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج3، ص205؛ السيوطي، مصدر سابق، ص307.

⁶ ابن حجر، لسان، ج7، ص25.

⁷ ملحم، مصدر سابق، ص59.

⁸ ابن خلكان، مصدر سابق، ص191؛ ابن النديم، مصدر سابق، ص287؛ الذهبي، سير، ج14، ص267؛ الصفي، مصدر سابق، ج2، ص213؛ ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص26؛ السيوطي، مصدر سابق، ص308.

⁹ ابن حجر لسان، ج7، ص28؛ ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج3، ص205.

¹⁰ ابن خلكان، مصدر سابق، م4، ص191؛ الذهبي، سير، ج14، ص276؛ الذهبي، تاريخ (301-310)، ص280؛ ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج2، ص260.

¹¹ القفطي، مصدر سابق، ج3، ص89.

¹² بروكلمان، مصدر سابق، ج2، ص47.

¹³ ملحم، مصدر سابق، ص60.

¹⁴ ابن حجر، لسان، ج7، ص29.

¹⁵ الذهبي، سير، ج14، ص277؛ الذهبي، تاريخ (301-310)، ص285.

¹⁶ الذهبي، سير، ج14، ص267.

¹⁷ القفطي، مصدر سابق، ج3، ص90.

¹⁸ الذهبي، سير، ج14، ص267.

¹⁹ القفطي، مصدر سابق، ج3، ص90؛ الذهبي، سير، ج14، ص276.

عرف عن الطبري اجتنابه المحرمات والذنوب، وعرف عنه الأمانة والورع، وكان جريئاً في الحق لا تأخذه بالله لومة لائم على الرغم مما لحق به من الأذى، سواء أكان من جاهل أم ملحد أم حاسد¹. وقد رفض الوقوف على أبواب الوزراء والخلفاء طلباً للرزق وقد روي عنه أنه قال: " أبطأت عني نفقة والدي واضطرت إلى أن فتقت كمي قميصي فبعتهما²". كما رفض أن يتولى القضاء ليتفرغ للدراسة والتعليم³. رافضاً أيضاً الأموال الكثيرة التي عرضت عليه من الوزير الخاقاني⁴.

اتهم الطبري بالتشيع لتصحيحه حديث غدير خم⁵. وزاد من هذا الاتهام سوء علاقته بالحنابلة عندما رفض اعتبار أحمد بن حنبل من الأئمة الذين ذكرهم العلماء في كتابه اختلاف الفقهاء حيث قال: " مارأيت روي عنه، ولا رأيت له أصحاباً يعول عليهم، وأما حديث الجلوس على العرش فمحال⁶" حيث وثب عليه الآلاف من أتباع ابن حنبل ورموا داره بالحجارة⁷. وتدخل نازوك صاحب الشرطة ومنع العامة من الاقتراب منه، وأمر برفع الحجارة عن داره. وعلى أثر ذلك، اعتكف الطبري في منزله وكتب كتابه المشهور الذي سمي (الاعتذار) حيث ذكر ابن حنبل وذكر مذهبه وجرح من شك في علمه ومذهبه⁸.

تفقه الطبري في بداية حياته على المذهب الشافعي⁹، وبعد عودته من مصر أسس مدرسة فقهية نسبت إليه، وسميت بالجريرية¹⁰، مخالفاً بذلك آراء الخوارج ومن هم على المذهب الظاهري¹¹، كما خالف أيضاً المعتزلة بكل ما خالفوا فيه أهل الجماعة من السلف في مسألة القول بالقدر¹²، وقد عدّ الطبري من كبار أئمة والاجتهاد¹³. إذ لم يقلد أحداً¹⁴ من الأئمة الكبار السابقين.

أنشأ كبار علماء المسلمين بعلم الطبري، ووصفوه بالعالم الكامل الفقيه المقرئ النحوي اللغوي الحافظ الإخباري جامع العلوم لم ير في فنونه مثله¹⁵. وكان إماماً في فنون كثيرة منها

1- الذهبي. سير. ج14، ص274.

2- مصدر سابق، ص276.

3- السيوطي. مصدر سابق، ص308؛ بروكلمان. مصدر سابق، ق 2_3_4، ص47.

4- الذهبي. مصدر سابق. ج14، ص27.

5- ابن حجر، مصدر سابق، ج7، ص26.

6- الصفدي. مصدر سابق، ج2، ص214.

7- الصفدي. مصدر سابق، ج2، ص214.

8- الصفدي. مصدر سابق، ج2، ص214.

9- بروكلمان. مصدر سابق، ق 2_3_4، ص47.

10- سزكين، مصدر سابق، م1، ج2، ص159.

11- مصطفى. مصدر سابق، ص254.

12- الدلو، مصدر سابق، ص15.

13- الذهبي. سير. ج14، ص269.

14- ابن خلكان. مصدر سابق، م4، ص191.

15- القنطي. مصدر سابق، ج3، ص89؛ راجع أيضاً: ابن النديم، مصدر سابق، ص287.

التفسير والحديث والفقه والتاريخ¹. ووصفه الذهبي بأنه "الإمام العالم المجتهد عالم عصره، وكان من أكثر أفراد الدهر علماً وذكاءً وقلَّ أن ترى العيون مثله"². وقيل: "كان أحد أئمة العلماء يُحكَّم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفة وفضله، وقد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين عارفاً بأيام الناس وأخبارهم"³. وقال عنه ابن خزيمة: "ما أعلم على أديم الأرض أعلم منه"⁴ وقد ظلمته الحنابلة⁵.

استقر الطبري في أواخر حياته في بغداد⁶، ومات فيها سنة 310هـ/922م⁷. وله ستة وثمانون عاماً⁸، ودفن في داره وشيعه خلق لا يحصيهم إلا الله، وصليَّ على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً⁹. وقال ابن خلكان إنه رأى قبراً بمصر يزار، وعند رأسه حجر مكتوب عليه هذا قبر ابن جرير الطبري¹⁰. ويمكن أن يكون هذا مقاماً وليس قبراً، بني هناك إجلالاً وإكباراً لهذا العالم الفقيه، إذ أكد معظم المؤرخين أن ابن جرير الطبري دفن في بغداد.

يعد الطبري من أكثر علماء عصره غزارة في التأليف، إذ مكث أربعين عاماً يكتب كل يوم أربعين ورقة¹¹. وقيل إن تلاميذه وجدوا أنه كتب أربع عشرة ورقة يومياً منذ أن بلغ الحلم وحتى وفاته¹². وقيل بل سبع عشرة ورقة¹³. وكان مثابراً على الكتابة، فيروى أنه قال لأصحابه "هل تنتشطون لتاريخ العالم من آدم حتى وقتنا؟ قالوا كم قدره، فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة. فقالوا: هذا شيء مما تقنى الأعمار دونه. فقال إنا لله، ماتت الهمم فأملاه في نحو ثلاثة آلاف ورقة¹⁴.

صنف الطبري العشرات من الكتب في ميادين العلم المختلفة. إذ كتب في جميع العلوم¹⁵. ولكن ما وصلنا من كتبه عدد قليل. منها كتاب تفسير القرآن.

¹ - ابن خلكان. مصدر سابق، م، 4، ص 191.

² - الذهبي، سير. ج 14، ص 267.

³ - الذهبي، سير. ج 14، ص 269؛ الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 301_310). 280؛ الصفي، مصدر سابق. ج 2، ص 212_213؛ ابن حجر، لسان. ج 7، ص 28؛ ابن تغري بردي، مصدر سابق. ج 3، ص 205؛ السيوطي، مصدر سابق، ص 307.

⁴ - الذهبي، سير. ج 7، ص 273؛ الذهبي، تاريخ، ص 282؛ ابن حجر، لسان. ج 7، ص 28؛ السيوطي، مصدر سابق، ص 308.

⁵ - الصفي، مصدر سابق، ج 2، ص 213؛ ابن حجر، لسان. ج 7، ص 28.

⁶ - الذهبي، سير. ج 14، ص 267.

⁷ - القفطي، مصدر سابق، ج 3، ص 90؛ ابن حجر، لسان. ج 7، ص 28؛ السيوطي، مصدر سابق، ص 308.

⁸ - ابن النديم، مصدر سابق، ص 287.

⁹ - الذهبي، سير. ج 14، ص 282؛ الذهبي، تاريخ (301_310). ص 285؛ ابن حجر، لسان. ج 7، ص 28.

¹⁰ - ابن خلكان، مصدر سابق، م، 4، ص 192.

¹¹ - الذهبي، سير. ج 14، ص 272؛ الذهبي، تاريخ (301_310). ص 281.

¹² - الذهبي، تاريخ (301_310). ص 281.

¹³ - الصفي، مصدر سابق، ج 2، ص 213.

¹⁴ - الصفي، مصدر سابق، ج 2، ص 213؛ الذهبي، سير. ج 14، ص 254؛ الذهبي، تاريخ، ص 282.

¹⁵ - ابن النديم، مصدر سابق، ص 287؛ الصفي، مصدر سابق، ص 213.

وكتاب في التاريخ¹. وغيرها العديد من الكتب، ولكن ما يخدم الدراسة هو تاريخه المعروف بتاريخ الطبري الذي يحمل اسم تاريخ الأمم والملوك، ويسميه آخرون تاريخ الرسل والملوك وهو الأصح، لأن الكتاب يشتمل على أخبار الرسالات السماوية حين يذكر الرسل ومن تزامن معهم من الملوك. وقد قسم هذا العمل الضخم إلى قسمين هما: ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام².

نقل الطبري الروايات التي أوردتها في تاريخه في فترة ما بعد الإسلام من الكتب التي أتاحت له³. والتي كانت موجودة في زمانه. ولكن ما يخص الدراسة بشكل مباشر هي الروايات التي تناولت تاريخ بني أمية. فقد أخذ تاريخ الأمويين من مصادر مختلفة الأهواء والانتماء السياسي والفكري مثل: عوانة بن الحكم. وأبو مخنف، والمدائني، والواقدي، وعمر بن شبة وهشام الكلبي⁴ كما اتصف بالنزاهة والحياد وعدم الميل لأي هوى عندما كان يورد الأخبار التاريخية الإسلامية⁵. ولم يمارس نقداً للروايات التاريخية، بل ركز نقده على السند أكثر من اهتمامه بالمعلومات المروية، على الرغم من تحريه النقات من الرواة قدر المستطاع⁶. وقد تحفظ الطبري برأيه، وكأنه كان يقف خارج الأحداث والروايات التاريخية، وهذا أكبر ما يؤخذ عليه في تاريخه⁷.

أورد الطبري ثلاثاً وعشرين رواية لموقعة الحرّة اشتملت على أحد عشر بيتاً من الشعر وآية قرآنية ورسالة. وقد اعتمد في استعراض أحداث الحرّة على عدد من الرواة والإخباريين الكبار مثل عوانة بن الحكم الذي اعتمده الطبري. ممثلاً وجهة النظر الشامية وأبي مخنف الذي مثل وجهة نظر المعارضة (أهل المدينة). وحبیب بن كَرّة رسول مروان بن الحكم إلى يزيد بعد أن أخرجهم أهل المدينة من المدينة. وجويرية بن أسماء الذي نقل روايته عن مشايخ مجهولين من أهل المدينة. والواقدي الذي كانت رواياته محدودة وثنائية بسبب وجود من يمثل وجهة نظر أهل المدينة. وقد حرص الطبري على الاعتماد على المصادر القريبة من الحدث حتى يعطي مصداقية أكثر للروايات التي ينتقيها.

استعرض الطبري أحداث الحرّة بأسلوب قوي ومتربط ومتين، وتميزت كلماته بسلسلة الألفاظ وجزالة التراكيب، ووضوح المعاني مبتعداً عن الألفاظ الغريبة والحادة. وقد

¹ - القفطي. مصدر سابق. ج.3، ص.90؛ ابن خلكان. مصدر سابق، م.4، ص.191.

² - مصطفى. مصدر سابق، ص.254.

³ - سزكين. مصدر سابق. م.1، ج.2، ص.159.

⁴ - مصطفى. مصدر سابق، ص.255.

⁵ - مصطفى. مصدر سابق، ص.256.

⁶ - مصطفى. مصدر سابق، ص.258.

⁷ - مصطفى. مصدر سابق، ص.259.

أورد أكثر من رواية للحادثة الواحدة. وكان الطبري محايداً إذ لم يعلق على أحداث الحرّة كغيره من المؤرخين والأئمة.

كتاب الفتوح لأحمد بن اعثم الكوفي (ت314هـ/926م)¹. لم يكتب المؤرخون عن حياة مؤلفه، كتابة وافيه دقيقة²، فعلى سبيل المثال لم يتفقوا على تحديد اسم واحد له، فقيل أنه محمد بن علي وقيل أبو محمد علي بن أعثم³. وقيل أبو محمد علي أو أحمد بن علي بن اعثم الكوفي⁴. وكتاب الفتوح كتاب تاريخي قصصي تحدث فيه عن الفتوحات والخلفاء الأوائل إلى عهد يزيد⁵. ويقال إن صاحبه تناول في هذا الكتاب وجهة النظر الشعبية⁶. وقد ترجم هذا العمل إلى أكثر من لغة حيث نقل إلى الفارسية سنة (596هـ/1200م)⁷. كما نقل ابن الكوفي قصصاً من هذا المؤلف إلى الفارسية. ثم نقلت فيما بعد إلى لغات أخرى⁸ نظراً لتمييز هذا الكتاب بالقصص الشعبية.

استعرض ابن أعثم الكوفي في كتابه أحداث موقعة الحرّة من بدايتها حتى نهايتها، وبدأ بذكر الأسباب الكامنة وراء طرد أهل المدينة لبني أمية مذكراً أن هناك قوة سياسية أخرى في مكة كانت تقف وراء تصرفات أهل المدينة. وأن مجريات أحداث الحرّة كان يقف خلفها مصالح شخصية لأفراد وجماعات معينة في مكة والمدينة⁹.

وضع ابن أعثم عناوين للأحداث المهمة وتناول أحداث الحرّة بشكل مفصل منتقياً أخبارها بعناية مثلت وجهة نظره للأحداث¹⁰، ولم يسند رواياته التي بلغ مجموعها اثنتين وعشرين رواية مكتفياً بإيراد لفظ "قال"، وهذا يدل على أنه أخذها مباشرة من مؤلفات الإخباريين السابقين له.

لقد جاء المؤلف بروايات فريدة لم يذكرها أحدٌ قبله أو بعده، وتناول خفايا الأمور داخل معسكر أهل المدينة ومعسكر الجيش الشامي أيضاً، وربما نقل عن إخباريين لم تصلنا رواياتهم، وهذا وارد من خلال لفظ "قال" التي أوردتها المؤلف.

¹ - بروكلمان. تاريخ. ق.3_4. ص57؛ سزكين. مصدر سابق. م1، ج2، ص.169_170.

² - سزكين. مصدر سابق. م1، ج2، ص169.

³ - بروكلمان. مصدر سابق. ق.3_4، ص57.

⁴ - سزكين. مصدر سابق. م1، ج2، ص169.

⁵ - بروكلمان. مصدر سابق. ق.3_4، ص57.

⁶ - بروكلمان. مصدر سابق. ق.3_4، ص57.

⁷ - بروكلمان. مصدر سابق. ق.3_4، ص57.

⁸ - بروكلمان. مصدر سابق. ق.3_4، ص58.

⁹ - انظر ابن اعثم. مصدر سابق. ج2، ص207_211. والخلاف ما بين أبناء الزبير عبدالله وعمرو وغيرهما.

¹⁰ - انظر ما كتبه محقق كتاب الفتوح. ج2، ص215 وهو أن المؤلف كان شيعياً وكندياً وكتب مؤلفه في العصر العباسي.

وحين قورنت الروايات التي جاء بها المؤلف مع الروايات الأخرى تبين أنه اعتمد كثيراً منها على كل من أبي اليقظان¹، والواقدي²، وعوانة بن الحكم³، والمدائني⁴.

وأخيراً استعرض ابن أعثم الكوفي أحداث الحرّة بأسلوب مترابط متين اتسم بالإسهاب والتفصيل، وأورد في ثنايا رواياته ثلاثة وعشرين بيتاً من الشعر ووصية واحدة، وتميزت لغته بسلاسة المفردات ووضوح معانيها، ويبدو أنه استخدم الشعر لتوضيح الأبعاد الحقيقية للرواية التي يتم انتقاؤها ومدى الصدى الذي نتج عن هذه الحادثة عند الشعراء والقبايل والمتمثل بأبيات الشعر سواء أكان مديحاً أم استنكاراً للفعل نفسه.

يُصنف المسعودي **أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (346هـ/957م)**⁵ من أهم مؤرخي القرن الرابع الهجري. فقد ولد في منطقة بابل من أراضي العراق⁶ دون أن يحدد زمان ولادته و اختلف المحدثون في ذلك حيث ذكر أحدهم أنه ولد في نهاية القرن التاسع الميلادي وتحديداً سنة (283هـ/896م)⁷ في حين أكد آخرون أن مولده كان في بداية القرن العاشر الميلادي سنة (287هـ/900م)⁸، وينتمي المسعودي إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه⁹، وهذا يتعارض مع ما ذكره ابن النديم من أن المسعودي من أصول مغربية¹⁰.

يعد المسعودي من أشهر مؤلفي عصره وأكثرهم علماً ومعرفة¹¹ حيث تلقى علومه على أيدي شيوخ النحو واللغة والتاريخ والأدب والسير والفقهاء والحديث في بغداد والبصرة

¹ - انظر للمقارنة عند خليفة بن خياط (رواية أبو اليقظان) ص 149؛ ومابين رواية ابن اعثم الكوفي ج 2، ص 211؛ حول موقف مسلم بن عقبة من تولى قيادة الجيش وحالته المرضية.

² - انظر للمقارنة مابين (ابن سعد، الطبقات ج 5، ص 354 (رواية الواقدي) وابن عساكر. مصدر سابق ج 59، ص 364_365 (رواية الواقدي) ومابين رواية ابن اعثم الكوفي ج 2، ص 214؛ حول معقل بن سنان. وكذلك انظر البلاذري ج 5، ص 337_338؛ (رواية الواقدي) ومابين اعثم ج 2، ص 210؛ حول ابن الزبير وحول من حرض على خلع يزيد ونعته بصفات سيئة.

³ - انظر للمقارنة ابن عساكر ج 54، ص 181، ج 59، ص 364_365؛ (روايات عوانة) ومابين ابن اعثم ج 2، ص 214؛ حول الحوار الذي دار مابين مسلم بن عقبة ومعقل بن سنان في طبريا.

⁴ - انظر للمقارنة ابن الجوزي. مصدر سابق ج 6، ص 12_15؛ (رواية المدائني) وذكر فيها (ووقعوا بالنساء) ومابين ابن اعثم ج 2، ص 213 (وفجروا بالنساء) وهي نفس الدلالة.

⁵ - ابن النديم. مصدر سابق ص 188، المسعودي، مروج ج 1، ص 7، وديع، أمين. "المسعودي (المؤرخ الرجال الجغرافي" مجلة الثقافة الديمقراطية، عدد 223، 2005، ص 40-48، هادي حسين، حمود. "المسعودي ومنهجه في البحث العلمي"، مجلة كلية التربية للبنات، عدد 9، 1998، ص 73-82، الخربوطي، علي حسين المسعودي، ط 2، دم: دار المعارف، دت، ماهر تحسين عبد الرحيم، حاج محمد. "الإمامة عند المسعودي" رسالة ماجستير غير منشورة من جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2004، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ق 2، 3-4، ص 58-62، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص 190-201، سزكين، تاريخ التراث العربي، م 1، ج 2، ص 177-184، ميكولسكي، جف، المسعودي هيرودوت العرب، ترجمة عادل حسن اسماعيل، مراجعة نوفل بنوف، ط 1، بيروت: دار المدى للثقافة والنشر، 2006، فرانز، روزنتال. علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسين، بغداد: مكتبة المثني، 1963م، عزيز، العظمة. المسعودي، دم، رياض الرئيس للكتب والنشر، دت، ص 9-35.

⁶ المسعودي، مروج ج 1، ص 7.

⁷ ميكولسكي، مصدر سابق ص 6.

⁸ حاج محمد، مصدر سابق ص 7، الخربوطي، مصدر سابق ص 22، أمين مصدر سابق ص 40.

⁹ ابن النديم، مصدر سابق ص 188، أمين، مصدر سابق ص 4، العظمة، مصدر سابق ص 9، حمود، مصدر سابق ص 74، حاج محمد، مصدر سابق ص 6، الخربوطي، مصدر سابق ص 21، بروكلمان، مصدر سابق ص 58، كراتشكوفسكي، مصدر سابق ص 191، شركين، مصدر سابق م 1، ص 1، ج 2، ص 177.

¹⁰ ابن النديم، مصدر سابق ص 188.

¹¹ بروكلمان، مصدر سابق ق 2، 3-4، ص 58.

والكوفة، وكان لهؤلاء الشيوخ الفضل الأول في حياته الثقافية والعلمية¹، لأن بلاد الرافدين كانت آنذاك مركزاً من أعظم مراكز العلم في العالم، تزخر بمكتباتها العلمية، وفيها أعظم الأدياء والعلماء والفقهاء، مما أتاح للمسعودي الفرصة لنيل قسط وافر من العلم والمعرفة والثقافة².

تميز المسعودي عن غيره من المؤرخين والعلماء بكثرة ترحاله وسفره، وشملت رحلاته جميع البلاد الواقعة بين الهند والمحيط الأطلسي، وبين البحر الأحمر وبحر قزوين³، وامتدت أسفاره ما بين 303هـ-336هـ/916م-948م⁴، وكان طلب العلم والبحث عن الحقيقة وتصحيح بعض الآراء سبب هذا الترحال. كما كان فخوراً جداً بما حصل عليه من معلومات أثناء ذلك⁵، وقد اعتمد على معلوماته الشخصية كشاهد عيان عبر رحلاته في البر والبحر دون أن يعتمد على الروايات التي اعتمد عليها أسلافه المؤرخون، وهذا ما أعطى أخباره طابع الموضوعية الشاملة في تدوين التاريخ⁶.

لم تذكر مصادر ترجمة المسعودي أحداً ممن تتلمذ على يديه، غير أن كثرة ترحاله وأسفاره وتنقله بين البلاد والشعوب والحضارات حالت دون أن يكون له تلاميذ كغيره من المؤرخين والرحالة⁷.

اهتمت أسرة المسعودي بالعلم والأدب، ولم تتدخل في الصراعات السياسية التي شهدتها البلاد الإسلامية خلال العصرين الأموي والعباسي⁸، ولهذا فقد اختلف المؤرخون والعلماء في تحديد ميول المسعودي ما بين المعتزلة والشيعة، فقد وردت روايات في كتبه تشير إلى أنه من اتباع المعتزلة⁹ في حين يظهر التشيع واضحاً عندما يتناول سياسة الأمويين تجاه آل البيت منتقداً سياستهم وسلوكهم في الحكم لتجاوزهم حق آل البيت من أحفاد علي في الخلافة ومنتقداً طريقة الحكم الأموي الوراثة¹⁰.

صنف المسعودي العديد من المؤلفات¹¹ ووضع قرابة ثلاثين مؤلفاً في مختلف ميادين العلوم العربية والإسلامية¹²، وما يهمنا هو مؤلفه التاريخي الذي حمل عنوان مروج الذهب

¹ راجع حاج محمد، مصدر سابق، ص 8.

² الخربوطلي، مصدر سابق، ص 30.

³ كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص 191، أمين، مصدر سابق، ص 42.

⁴ العظمة، المسعودي، ص 9.

⁵ حمود، مصدر سابق، ص 74.

⁶ أمين، مصدر سابق، ص 42.

⁷ المسعودي، مروج، ج 1، ص 9.

⁸ حاج محمد، مصدر سابق، ص 6.

⁹ المسعودي، مروج، ج 1، ص 9؛ الخربوطلي، مصدر سابق، ص 22.

¹⁰ حاج محمد، مصدر سابق، ص 40.

¹¹ راجع ابن التندب، مصدر سابق، ص 188؛ بروكلمان، مصدر سابق، ص 59؛ سزكين، مصدر سابق، ص 181-184.

¹² ميكونسكي، مصدر سابق، ص 6.

ومعادن الجواهر، وقد رتب مادته التاريخية حسب التسلسل الزمني للخلفاء والقادة والملوك¹ وتميز عن غيره بهذه الطريقة حين أضاف إليها تجربته وخبرته بالإضافة إلى أنه مزج بين الدراسات التاريخية والجغرافية وفتح آفاق جديدة للدراسات الاقتصادية والاجتماعية والدينية². كان المسعودي أدبياً قبل أن يكون مؤرخاً أو جغرافياً، فقد صور حياة الخلفاء المسلمين الاجتماعية والثقافية أجمل تصوير³ واعتمد في عرض مادته على العرض الأدبي لا على الإسناد، ولهذا تندر الإشارة إلى مصادر معلوماته⁴، ورغم ذلك فإنه لم يأخذ مصادره الأدبية على علاتها، بل قام بنقدها ومقارنتها بالمعطيات الواقعة على الأرض⁵ سواء أكان ذلك بالمواقع التاريخية أو الجغرافية أو غيرها من أنواع العلوم.

استعرض المسعودي أحداث الحرّة في كتابه مروج الذهب ومعادن الجواهر بشكل مرسل لا إسناد فيه⁶، لذا خلت رواياته من أية دلائل توضح طريقته ومصادره التي استقى معلوماته، مكتفياً بذكر عشرات الرواة والإخباريين الذين كتبوا التاريخ الإسلامي، في مقدمة الجزء الأول من مؤلفه، ومن الإخباريين الذين تناولوا موقعة الحرّة وذكرهم المسعودي أبو مخنف والواقدي والمدائني وعوانة والهيثم بن عدي وغيرهم.

أورد المسعودي رواياته بشكل متسلسل تحت عناوين واضحة، وبشكل مختصر دون أن يشير إلى وجهات نظر أخرى حول تطوراتها، واتسمت رواياته بالطابع القصصي، وحملت جميعها توجهات شيعية واضحة حين تناول يزيد بن معاوية وخلافته بالسوء، وبدا ذلك حين أتى على أسباب موقعة الحرّة فقال: "ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلّمه، وما أظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله وأنصاره وما أظهر من شرب الخمر وسيره سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته لخاصته وعامته، أخرج أهل المدينة عامله عليهم.... كما لم يذكر أحداً ممن قتلوا في الحرّة إلا من قتل من آل أبي طالب، ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب⁷. بالإضافة إلى تناوله للكيفية التي قام بها علي بن الحسين بمبايعة يزيد بعد الحرّة وما أظهره مسلم بن عقبة من احترام وتقدير له، وقد فسر المسعودي ذلك بخوف مسلم من علي، لذا لم يتطرق إلى وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة الذي أوصاه بعلي بن الحسين خيراً، لأنه لم يشترك مع أهل المدينة في قتال الجيش الشامي⁸.

¹ الدلو، مصدر سابق، ص16.

² الخربوطلي، مصدر سابق. ص30.

³ كراتشكوفسكي، مصدر سابق. ص195.

⁴ كراتشكوفسكي، مصدر سابق ص198.

⁵ كراتشكوفسكي، مصدر سابق. ص200.

⁶ - المسعودي، علي مروج، ج3، ص79.

⁷ - المسعودي، مروج، ج3، ص80.

⁸ - انظر للمقارنة. الطبري، تاريخ، م3، ص358؛ (رواية أبو مخنف) و(رواية عوانة) وما ذكره المسعودي، ج3، ص81 حول وصية يزيد لقائد جيشه مسلم بن عقبة فيما يتعلق ب(علي بن الحسين).

اعتمد المسعودي في الروايات التي أوردها عن موقعة الحرّة على الواقدي¹، والمدائني²، ويلاحظ أنه أورد أخباراً أخرى لم ترد عند غيره من الأخباريين والرواة والمؤرخين، مما يدل على واحد من أمرين: إما أن المسعودي نقل تلك الأخبار عن إخباريين لم تصل كتبهم إلينا، وإما أنه وضعها من نسيج خياله.

وللمسعودي كتاب آخر هو (التنبيه والإشراف)³ تناول فيه أحداث موقعة الحرّة بعمق يفوق تناوله لتلك الأحداث في (مروج الذهب)، وجلّ الروايات التي أوردها عن تلك الموقعة منسوبة للواقدي⁴. كحديثه عن أسبابها، وعن أسماء قادتها من الجيش الشامي وأوضاع أهل المدينة...

ويلاحظ أن رواياته قد اتسمت بالطابع القصصي، فجاءت بشكل مرسل دون إسناد، واشتملت على خمسة أبيات شعرية، وبدا في كتاب التنبيه والإشراف أكثر حيادية حين تناول بني أمية⁵. ولعل هذه ميزة لهذا الكتاب عما جاء في كتاب مروج الذهب.

¹ - انظر للمقارنة. البلاذري. انساب. ج5، ص337_338 (رواية الواقدي وغيره. وما بين رواية المسعودي، ج3، ص79 حول دور عبد الله بن الزبير وتحريضه لأهل المدينة للخروج على يزيد وقارن أيضا بين ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج58، ص106_107 (رواية الواقدي) وما بين المسعودي، ج3، ص79 حول دخول مسلم المدينة ونهبها ودعوته للناس من أجل البيعة على أنهم خول ليزيد وقتل كل مخالف.

² - قارن بين الأصفهاني، مقاتل، ص123؛ (رواية المدائني) وبين رواية المسعودي، ج3، ص80.

³ - علي بن الحسين بن علي، المسعودي. كتاب التنبيه والإشراف. (لندن: مطبعة بريل، 1893)، ص304_305.

⁴ - المسعودي، التنبيه، ص305.

⁵ - انظر للمقارنة بين مروج الذهب، ج3، ص79، ص82. وما بين التنبيه، ص306.

الفصل الثاني

أسباب موقعة الحرة ودواعيها من وجهة نظر
الإخباريين والمؤرخين

اختلف الإخباريون والمؤرخون في تحديد الأسباب التي أدت إلى قيام أهل المدينة بالخروج على حكم يزيد وطرده بني أمية من المدينة، فمنهم من عزا ذلك لأسباب سياسية لها علاقة بعبد الله بن الزبير الموجود في مكة، والذي رفض مبايعة يزيد لولاية العهد في ظل حياة معاوية بن أبي سفيان، وبعد وفاة معاوية ظل ابن الزبير مصراً على موقفه بعدم إعطاء البيعة ليزيد كخليفة للمسلمين، الأمر الذي دفع معاوية أن يوحي ابنه بالقضاء عليه، وقد هرب ابن الزبير من المدينة إلى مكة برفقة الحسين بن علي بن أبي طالب، وسمى نفسه العائذ بالبيت الحرام، وعمل على تنظيم الموالين له من أهل المدينة من أجل القضاء على حكم يزيد وبني أمية، وتوج عمله بخلع يزيد وطرده بني أمية من المدينة¹.

بينما رأى قسم آخر أن العامل الديني والمتعلق بسلوك يزيد نفسه الذي تعدى حدود كتاب الله (من شرب الخمر، وترك الصلاة، ونكاح المحرمات، وملاعبة القروء والفهود والكلاب)، وغير ذلك من سلوكيات لا تليق بخليفة المسلمين كان سبباً مباشراً في خلعه والقضاء على حكمه، حيث تم إجلاء بني أمية ومواليهم في إشارة إلى نهاية الحكم الأموي في المدينة².

وذهب آخرون إلى أن العامل الاقتصادي هو العامل الرئيس وراء حركة أهل المدينة ، فقد دفعت سياسة معاوية المتمثلة بمنع الاعطيات ووصول الأرزاق إلى أصحابها أهل المدينة لبيع أملاكهم نتيجة الحاجة والعوز ، وحين مات معاوية وتولى ابنه يزيد الحكم ظن أهل المدينة أنه أضعف من أبيه ، فقاموا بخلعه عن الحكم وطرده بني أمية واستعادوا أملاكهم التي أخذت أيام معاوية³.

ويرى بعض المؤرخين أن نية ضرب أهل المدينة كانت مبيته منذ أوصى معاوية ابنه يزيد بأن يولي مسلم بن عقبة قيادة الجيش لضرب أهل المدينة إذا خرجوا عليه⁴.

وأخيراً رأى آخرون أن السبب كان سوء الإدارة من قبل الولاة الذين مارسوا كل قبيح، الأمر الذي دفع الناس إلى كره بني أمية ثم الرغبة في التخلص منهم⁵.

ولا بد من القول ان هناك عدداً من المؤرخين ممن ذكروا أكثر من عامل من العوامل أنفة الذكر في رواياتهم ليدعموا موقفهم وتوجهاتهم، السياسية والفكرية حتى يعطوا صورة

¹ البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص337، ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق ، ص207-208، الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص28، ابن الجوزي، امصدر سابق ، ج6، ص12. القضاءي، محمد بن سلامة (454هـ) عيون المعارف وفنون اخبار الخلفاء، تحقيق نشأت بن كمال المصري، ط1، مصر: البدر، 2008، ص422. شحادة نزيه، من التاريخ الإسلامي من 1-132هـ، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 1998، ص272.

² ابن سعد، الطبقات، ج7، ص70، الطبري، مصدر سابق ، م3، ص353، ابن عساکر، مصدر سابق ج27، ص429، الذهبي، سير، ج3، ص429، الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 61-80هـ)، ص27، ابن كثير النمشقي، مصدر سابق ، ج5، ص726.

³ اليعقوبي، مصدر سابق ، ج2، ص174 ، أبو العرب، مصدر سابق ، ج1، ص64. الامامه والسياسة مصدر سابق ، ج1، ص165-166.

⁴ خليفة، مصدر سابق ، ص148، الطبري، مصدر سابق ، م3، ص359، ابن عدي ربه، مصدر سابق ، ج5، ص136-137، ابن عساکر، مصدر سابق ، ج58، ص202-203.

⁵ المسعودي، مروج، ج3، ص79، ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق. ص110، ابن عساکر، مصدر سابق ، ج4، ص24.

واضحة لسلوكيات أهل المدينة ومبرراتهم، ونبدأ بأكثر الإخباريين عدداً للروايات وأكثرهم عمقاً في تناولهم أحداث الحرّة منذ بدايتها وحتى نهايتها وهو محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ/822م).

أورد الواقدي أربع روايات تناولت أسباب خروج أهل المدينة، الرواية الأولى أشارت إلى أن السبب في ذلك عائد إلى ابن الزبير، بينما أشارت الروايتان الثانية والثالثة إلى أن سلوك يزيد وتعديه حدود كتاب الله كان الدافع وراء ذلك، أما الرابعة فتؤكد أن العامل الاقتصادي هو العامل المركزي الذي جعل أهل المدينة يقومون بطرد بني أمية من المدينة وخلع يزيد عن الحكم.

في الرواية الأولى، ربط الواقدي بين خروج أهل المدينة على يزيد بحركة ابن الزبير، واعتبر الأخير هو المحرك الذي يقف وراء أحداث الحرّة فقال: "ولما قتل عبد الله بن الزبير أخاه عمرو بن الزبير فذكر يزيد بن معاوية فقال: يزيد الخمر ويزيد الفجور ويزيد الفهود ويزيد القروذ ويزيد الكلاب ويزيد النشوات ويزيد الفلوات، ثم دعا الناس إلى إظهار خلعه وجهاده، وكتب على أهل المدينة بذلك، فاجتمع أهل الحجاز على أمر ابن الزبير وطاعته. وأخذ البيعة له على أهل المدينة عبد الله بن مطيع العدوي، فكتب يزيد إلى عثمان بن محمد عامله أن يوجه وفداً ليستمع لمقالتهم ويستميل قلوبهم، فأوفد إليه المنذر بن الزبير وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، وعبد الله بن حنظلة في آخرين من الإشراف، فلما قدموا إليه أكرمهم ووصل لكل واحد منهم 50 ألف درهم، ووصل المنذر بـ100 ألف درهم ثم انصرفوا من عنده، فلما وردوا المدينة قالوا: قدمنا من عند رجل فاسق يشرب الخمر ويضرب الطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب، فعاقدوا الناس على خلعه وولوا أمرهم عبد الله بن حنظلة الغسيل"¹

أما الرواية الثانية والمتعلقة بسلوك يزيد فقد ساقها الواقدي على لسان عبد الله بن حنظلة الغسيل حيث قال: "يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت فيه بلاءً حسناً، فتواثبت الناس يومئذ من كل النواحي"².

¹البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص337-338.

²ابن سعد، مصدر سابق، ج7، ص70 (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، الطبري مصدر سابق، م3، ص353، ابن عساکر، مصدر سابق، ج27، ص429، ترجمة عبد الله بن حنظلة، الذهبي، سير، ج3، ص429، (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، الذهبي، تاريخ (حوادث وفيات 61-80هـ)، ص27، ابن كثير، دمشق، مصدر سابق، ج5، ص726، بدون اسناد، مصدر سابق، تاريخ الخلفاء، ص166، ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج1، ص70، دون اسناد، العاصمي المكي، مصدر سابق، ج3، ص202.

أما الرواية الثالثة والمتعلقة بالسبب نفسه فقد ذكرها الواقدي على لسان معقل بن سنان الأشجعي أحد قادة أهل المدينة يوم الحرّة، والذي لقي مسلم بن عقبة المريّ وبعد أن آنسه وجالسه قال له: "إني خرجت كرهاً ببيعة هذا الرجل، وقد كان من القضاء والقدر خروجي إليه، رجل يشرب الخمر وينكح الحرم ثم نال منه...". ثم قال لمسرف¹: أحببت أن أضع ذلك عندك، فقال مسرف: أما أن أذكر ذلك لأمير المؤمنين فلا، ولكن الله عليّ عهد وميثاق ألاّ تمكني يداي منك ولي عليك مقدرة إلاّ الذي ضربت فيه عيناك...².

وهنا يجب الإشارة إلى أن الذهبي في تاريخ الإسلام عندما ذكر الرواية الثانية للواقدي والتي تشير إلى أن يزيد يشرب الخمر ذكر أن يزيد يشرب الخل، ولم يذكر الخمر والفرق كبير جداً بين المشروبين، وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين فتاوى فقهاء أهل العراق، وبين فتاوى فقهاء أهل المدينة فيما يتعلق بنوع المشروبات المتداولة في تلك الفترة فقد اعتبر فقهاء أهل المدينة أن النبيذ والخل حرام شرعاً، وهما مسكرين وساقوا أدلة على ذلك وهذا بعكس الفتاوى الصادرة من فقهاء العراق الذين أكدوا أن الخل والنبيذ غير مسكر وأن عمر بن الخطاب قد شرب النبيذ وهو الأجدر والأكثر معرفة منهم جميعاً في تمييز الحلال من الحرام³. وذكر أبو العرب في كتابه "المحن" رواية بإسناد جمعي عن الواقدي وأبو معشر يشير فيها إلى أن العامل الاقتصادي هو سبب الخلاف والتوتر، وتقول الرواية: "أول ما هاج أمر الحرّة أن ابن مينا، وكان عاملاً على صوافي المدينة لمعاوية ابن أبي سفيان وبالمدينة يومئذ صواف كثيرة كان معاوية يجد بالمدينة وأعراضها ألف وسق وخمسون ألف وسق تمر⁴ ويحصد مائة ألف وسق حنطة، فلما ولي يزيد بن معاوية عزل الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان عن المدينة وكان معاوية استعمله عليها، وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان على المدينة، وأن ابن مينا أقبل يشرح له من الحريرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية فلم يزل يسوفه ولا يصرفه عنه أحد حتى انتهى إلى بلحارث بن الخزرج فنقب النقيب فيهم فقالوا: ليس ذلك إليك هذا حدث وضرر علينا، فمكثوا على ذلك شهراً يغدو ابن مينا ويروح بعماله، فمرة يعمل فيه ومرة يأبون عليه، ومرة لا يجد أحداً يريد أن يبيني فيعمل حتى يمسي ومرة أخرى يجتمعون فلا يضرب بمعول ولا بمسحاة حتى يمسي، فلما طال ذلك عليه كلم الأمير عثمان بن محمد وأعلمه بما لقي منهم، فأرسل الأمير إلى ثلاثة نفر من بلحارث بن الخزرج ومحمد بن (له)⁵ بن يزيد وزهير بن أبي مسعود ومحزر بن النعمان بن بشير فأجابوا إلى أن يمروا به حيث أراد فدعى ابن مينا بعماله فعل شيئاً ثم تداعوا فمشى المسور بن مخرمة فأخبره بما أجابوا

¹مسرف: المقصود به مسلم بن عقبة المريّ وأطلق المؤرخون عليه مسرف لأنه أسرف في قتل أهل المدينة يوم الحرّة.

²ابن عساکر، مصدر سابق، ج5، ص364 (ترجمة معقل بن سنان الأشجعي)، الذهبي، سير، ج2، ص577 (ترجمة معقل بن سنان) دون إسناد.

³أبو العرب، مصدر سابق، ج1، ص64، حيث أشار أن عمر بن الخطاب شرب النبيذ وهو يئزف قبل موته، أنظر أيضاً الشيباني، مواقف المعارضة من خلافة يزيد، ص388-389.

⁴الوسق: ستون صاع وهو وحدة وزن عند أهل المدينة والحجاز، راجع الإمامة والسياسة، ج1، ص165-166.

⁵وردت في الأصل هكذا له، وبعد الإطلاع على مجمل الكتاب تبين أن اسم عبد الله يكتب (له).

إليه وقال: أراك عجلت على القوم، فغدا ابن مينا بعماله فعمل شيئاً ثم تداعوا فمشى المسور بن مخرمة (ورحمن)¹ بن قاري (ورحمن)² بن الأسود بن عبد يغوث (وله)³ بن مطيع (ورحمن بن له)⁴ بن أبي ربيعة إلى هؤلاء النفر فشردهم وقالوا: لا تدعوه ينقب في حكم إلا بطيب نفس منكم، فلما كان الغد غدا ابن مينا في أعوانه فذاوهم عن العمل فرجع إلى عثمان بن محمد فأعلمه بذلك فغضب وقال: اجمع لهم من قدرت عليه من مواليكم وبعث معه بعض ما عنده من جنده وقال: مروا به ولو على بطونهم فإن الله لا يدعهم حتى يحل بهم عقابه فغدا ابن مينا بمن معه وغدت الأنصار وردفتهم قريش فذبوهم حتى تفاقم الأمر فرجع ولم يعمل شيئاً⁵.

ويضيف الواقدي "دخل على عثمان بن محمد عشرة من قريش ونفر من الأنصار فكلموه فيما عمل ابن مينا وما جمع عليهم، فوجدوه هو الذي قواه على ذلك واغلظ لهم وأغلظوا له فقال: لأكتبن إلى أمير المؤمنين بسوء آرائكم وما تخفون عليه من الأضغان القديمة والأحقاد التي لا تبلى في صدوركم، فافترقوا على مودة منهم، واجتمعوا على منع ابن مينا وكف ابن مينا عن العمل، وكتب عثمان بن محمد بخبرهم إلى يزيد بن معاوية، فلما قدم كتاب عثمان على يزيد وقد شنع فيه تشنيعاً كثيراً من القول غضب يزيد غضباً شديداً، فكتب يزيد كتاباً يأمره أن يقرأه عليهم فقدم الكتاب وعثمان خائف منهم فقرأه عليهم فإذا فيه أما بعد: فإني لبستكم حتى أخلقتكم ورفعتمكم حتى اخلقتكم ورفعتمكم على رأسي ووضعتمكم على بطني والله لئن ترث بكم لأضعنكم تحت رجلي ثم لأطئنكم وطأة أقل فيها عددكم وأترككم أحاديث لشبح كأحاديث عاد وثمود وإيم الله ما أرى أن يأتيني أقل من خلافتكم ولا يأتكم مني أقل من عقوبتي إياكم ولا أفلح من ندم، فلما قرأ هذا الكتاب تكلم عبد الله بن مطيع وإبراهيم بن نعيم النحام ومحمد بن أبي جهم ومعقل بن سنان الأشجعي كلاماً قبيحاً... وتشاوروا أن يخرجوا بني أمية فأخرجوا آل مروان عن بني أمية ولم يحركوا أحداً من آل عثمان⁶، وسوف يتم تناول هذه الرواية عند الحديث عن الجانب الاقتصادي.

ووافق ابن أعمم الكوفي في كتابه (الفتوح) على ما جاء في رواية الواقدي الأولى، في تحميل مسؤولية الحرّة لابن الزبير، وأشار إلى أن الخلاف بين الطرفين نابع من حب السيطرة على كرسي الحكم وتناول البدايات الأولى للصراع بين الزبيريين والأمويين منذ شكل والي المدينة عمرو بن سعيد بن العاص جيشاً بقيادة عمرو بن الزبير من أجل قتال أخيه عبد الله بن

¹ نفس الشيء الرحمن المقصود بها عبد الرحمن.

² عبد الرحمن.

³ عبد الله.

⁴ عبد الرحمن بن عبد الله.

⁵ لي العرب، مصدر سابق. ص 172-174.

⁶ لي العرب، مصدر سابق. ص 174-175.

الزبير، والتقى الأخوة الأعداء ما بين مكة والمدينة واقتتلوا ، وانهزم الجيش الأموي بقيادة عمرو بن الزبير الذي وقع في أسر أخيه قبل أن يقتله¹.

وأضاف ابن أعثم أن عبد الله بن الزبير هاجم جماعة مواليين ليزيد بن معاوية كانوا بالقرب من الطائف وأسرهم، وكان عددهم خمسين رجلاً، ثم قام بقتلهم جميعاً، وبعد ذلك اتخذ من دار البلاط بمكة داراً لإمارته، وهرب من كان يوالي بني أمية خوفاً منه، وبعد أن علم أهل المدينة أن أهل مكة والطائف وسائر الحجاز قد بايعوا عبد الله بن الزبير قام أهل المدينة بالوثوب على عاملهم عمرو بن سعيد بن العاص فأخرجوه من المدينة ومن معه من بني أمية وبايعوا عبد الله بن الزبير، الذي قام بتولية عبد الله بن حنظلة الغسيل والياً له على أهل المدينة².

أشار أبو مخنف إلى أن العامل السياسي كان يقف وراء إخراج بني أمية ومواليهم من المدينة، ولكن لم يوضح ذلك كما فعل الواقدي وابن أعثم الكوفي، وأكد أن أهل المدينة بايعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد بن معاوية متفقاً مع ابن أعثم دون أن يشير صراحة إلى دور ابن الزبير وذلك حين قال: "إن أهل المدينة لما بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن في المدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش فكانوا نحو ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم..."³ وهنا اختلف مع ابن أعثم في تحديد اسم والي المدينة آنف الذكر.

وقد كان لأبي مخنف مقاصد سياسية وأيديولوجية عندما تطرق إلى خلع يزيد بن معاوية، وإخراج بني أمية من المدينة، وكان متعمداً أن لا يذكر أي دور لابن الزبير في هذه الأحداث حتى يسوق لنا روايته الثانية التي تفيد أن يزيد لم يواجه أية معارضة سياسية، كما ذكر بقية الرواة والمؤرخين، وإنما هو رجل ضعيف في حكمه ولا يصلح أن يكون خليفة، ويقود أمة لأن ولاته على الأقاليم لا يمتثلون لأوامره، ولا يحسبون له حساباً وقد جاءت روايته الثانية على النحو التالي: "ولما بلغ يزيد خلع أهل المدينة له وتوليتهم ابن الغسيل أمرهم، كتب إلى ابن زياد في حمل المنذر بن الزبير إليه فكره ابن زياد ذلك لأنه كان ضيفه وهناك صداقة قديمة تربط بينهما، فكذب زياد بن أبيه على الخليفة يزيد بن معاوية وكتب إليه: إنه إنما صار إليّ متبرئاً من أصحابه مخالفاً لقولهم وفعلهم، ثم أمر منذر أن يستأذنه على رؤوس الناس في إتيان الحجاز وقد كتم ابن زياد أمر الكتاب، فلما فعل أذن له اللحاق بأهله،

¹ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص 207-208.

² ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص 209-210.

³ الطبري، مصدر سابق، م 3، ص 352.

فلما صار إلى الحجاز قال في يزيد مثل قول الوفد وقال: إن يزيد اجازني بـ 100 ألف درهم، وما يمنعني ذلك من أن أخبركم خبره، والله أنه ليسكر من الخمر حتى يدع الصلاة"¹. ويلاحظ هنا أن أبا مخنف أراد من هذه الرواية أيضاً تحميل عبيد الله بن زياد قسماً من المسؤولية عن أحداث الحرّة عندما سمح للمنذر بن الزبير بمغادرة العراق والتوجه إلى المدينة ليؤكد قول الوفد الذي قال في يزيد ما قاله .

ويفهم من رواية ابي مخنف أن أهل المدينة لا يتحملون مسؤولية أحداث الحرّة ، لأنهم سمعوا عن خليفتهم- الذي جاء إلى الحكم بغير إرادتهم - كلاماً لا يرضي الله ، لذا فثورتهم على السلطة الشرعية في المدينة هي غضبٌ لله ورسوله .

واتفق جويزيه بن أسماء في إحدى رواياته مع توجهات الواقدي وابن أعثم وأبي مخنف من أن العامل السياسي كان وراء إخراج أهل المدينة لبني أمية عندما قال: "فلما وثب أهل المدينة أيام الحرّة أخرجوا عثمان بن محمد وبنو أمية فأجلوهم عنها إلى الشام..."². وقال في رواية ثانية نقلاً عن أشياخ أهل المدينة: "إن ممن وفد على يزيد بن معاوية عبد الله بن حنظلة الغسيل مع ثمانية من بنيهِ فأعطاه مائة ألف وأعطى بنيهِ كل رجل عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملاتهم، فلما قدم عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا: ما وراءك؟ قال: أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، قالوا: فإنه بلغنا أنه أجزاك وأكرمك. قال: قد فعل وما قبلت منه إلا أن أتقوى به عليه وحض الناس فبايعوه"³.

أما المدائني فقد كان أكثر وضوحاً حين فصل طريقة خلع يزيد، فقد اتفق مع المؤرخين الذين قالوا إن هناك دوراً لابن الزبير في حركة أهل المدينة، وتطرق إلى ما دار في المسجد وما قام به كل شخص هناك ذكراً الأسماء والأفعال" وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومال إليه أكثر الناس، فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله ابن حنظلة، وأتوا المنبر فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة: خلعت يزيد كما خلعت عمامتي ونزعها عن رأسه، وقال: إني لا أقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكن عدو الله سكير وخمير. وقال آخر: خلعت كما خلعت نعلي، وقال آخر: خلعت كما خلعت خفي حتى كثرت النعال والعمائم والخفاف وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك"⁴.

أما أبو معشر فقد ربط قيام أهل المدينة بإخراج بني أمية بسبب تعيين وال جديد عليهم من قبل الخليفة يزيد بن معاوية "وأمر عثمان بن محمد بن أبي سفيان على المدينة وأخرجوا

¹البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص338. أنظر أيضاً ابن كثير الدمشقي، مصدر سابق ، ج5، ص726 دون اسناد.

²ابن سعد، مصدر سابق ، ج7، ص43، (ترجمة مروان بن الحكم)، ابن الأثير، الكامل، م4، ص111، ابن تغري يروي، مصدر سابق ، ج1، ص160.

³خليفة، مصدر سابق ، ص148، الطبري، مصدر سابق ، م3، ص359، ابن عساکر، مصدر سابق ، ج11، ص436. (ترجمة الحارث بن عبد الله بن حنظلة)،

ج27، ص427، (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، الذهبي، سير، ج3، ص322 دون اسناد، (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 61-80هـ) ص24.

⁴الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص28، ابن الجوزي، مصدر سابق ، ج6، ص12.

من كان بالمدينة من بني أمية فكانت الحرّة¹ دون أن يوضح أكثر من ذلك، وجاءت روايته التي يفهم من خلالها أن هناك أجواء مشحونة وصراعاً سياسياً قائماً في المدينة تنتظر حدثاً معيناً ليكون مبرراً لإخراج بني أمية دون أن يشير إلى ابن الزبير ودوره في تهيج مشاعر أهل المدينة على الخليفة يزيد.

أما أبو اليقظان النسابة فقد أشارت روايته إلى أن هناك أبعاداً سياسية تقف وراء طرد بني أمية من المدينة دون أن يوضح ذلك بشكل مباشر، وذلك عندما ذكر أن الوالي الجديد وهو عثمان بن محمد "قد أوفد وفداً إلى يزيد بن معاوية... في رجال من قريش فقدموا المدينة فأخذوا بشتم يزيد والبراءة منه وخلعوه"² ويفهم من روايته أن هناك خلافات حادة بين أهل المدينة وأمير المؤمنين يزيد لم يستطع هذا اللقاء أن ينهيها، حيث انتهت بخلع الخليفة والبراءة منه، ومن ثم قاموا بطرد أبناء عمومته ومن والاهم من المدينة التي أصبحت خارج نطاق سيطرة الدولة الأموية.

أما المسعودي فقد ذكر أسباباً سياسية واجتماعية ودينية تقف وراء طرد بني أمية من المدينة وخلع الخليفة عن الحكم، ويلاحظ أنه كان متحاملاً على يزيد وعماله، حين وصفهم بالظلمة والفسقة وبالمجرمين القتلة، وقارن بين حكم يزيد بن معاوية وحكم فرعون مصر الذي ادعى الألوهية، وخلص إلى أن فرعون أعدل من يزيد في الحكم، وفي المقابل لم يستثن ابن الزبير فقد ذكره بالسوء، أيضاً، ويشير إلى أنه أدعى الألوهية وأنه تتسك في الكعبة³.

ورواية المسعودي هذه تتفق مع ما ذكره ابن أعمش الكوفي في إحدى رواياته المتعلقة بجور عمال يزيد، إذ أورد ابن أعمش حديثاً دار بين رجل من أهل المدينة يدعي مسلم وبين القيادي من أهل المدينة عبد الله بن حنظلة الغسيل ونص الرواية: "أيها الأمير مهلاً على بني أمية فإن معاوية أكرمك وأجلسك معه على سريره، ورد عليك صدقة أبيك ثم قضى حوائجك وأمر لك بمائة ألف درهم، ثم أنك قصدت ابنه يزيد فأجلك على سريره وأكرمك، فلا والله ما كافيت معاوية ولا ابنه يزيد، مالك وبني أمية تشتمهم وتظهر عيهم، وأنت لا تدري ما يكون في عاقبة هذا الأمر؟ فقال له عبد الله: أسكت ويحك يا مسلم فوالله ما خرجت بسيفي وطردت بني أمية عن المدينة حتى كنت أصدع إلى سطح بيتي في جوف الليل فأخاف أن يرجموني بالنجوم مما أرى من كثرة بني أمية وجورهم وأعمالهم القبيحة ولا أقدر أن أغيرها"⁴.

وهذه إشارات تدل على وجود حقد طبقي واجتماعي وحسد أعمى من قبل قادة أهل المدينة على بني أمية ومن يساند حكمهم في الحجاز وبقيّة الأمصار، ويظهر أنهم استغلوا

¹ ابن عساکر، مصدر سابق، ج4، ص24.

² خليفة، مصدر سابق، ص147.

³ المسعودي، مروج، ج3، ص79.

⁴ ابن أعمش الكوفي، مصدر سابق، ص110.

فرصة وفاة معاوية وتولية يزيد وما أعقبها من مشكلات سياسية في العراق أدت إلى مقتل الحسين بن علي وخروج ابن الزبير في مكة وخروج نجده بن عامر الحنفي في اليمامة على يزيد¹ ظانين أنهم سوف ينهون الحكم الأموي الذي اتخذ من دمشق مقراً له، ويمكن أن يكون هدفهم إعادة الحكم إلى عاصمة الرسول والخلفاء الثلاثة الأوائل المدينة المنورة حتى يعود لها ولأهلها العزة والمكانة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية كما كانت قبل مجيء بني أمية للحكم.

ومما يؤكد صحة هذا التوجه ذلك اللقاء الذي جمع أحد قادة موقعة الحرّة لاحقاً وهو محمد بن عمرو بن حزم بمعاوية بن أبي سفيان في محاولة منه لثني معاوية عن تعيين ابنه يزيد ولياً للعهد، وسمع منه معاوية قولاً بحق يزيد: "إن يزيد بن معاوية أصبح غنياً إلا من كل خير... وأصبح غنياً بالمال وأن الله سائل كل راع عن رعيته، وأنك مسؤول عن رعيته، فانظر عباد الله من تولى أمرهم ثم استغفر"².

هذه دلالات تشير إلى أن ابن حزم وهو أنصاري لم يكن راضياً عن استبداد بني أمية في الحكم وحصر الخلافة فيهم في دمشق وبلاد الشام، ويفهم أيضاً وجود طموح ورغبة حقيقية لدى جماعة من الأنصار التي تريد لعب دور سياسي في نظام الحكم الإسلامي بعد وفاة معاوية، وهذا ما فهمه أيضاً ابن الزبير حين قام بمجاعة الأنصار من أجل كسب ودهم ضد بني أمية وعين أحد أبنائهم وهو عبد الله بن حنظلة الغسيل والياً على المدينة بعد طرد والي بني أمية.

وعند العودة إلى الرواية يلحظ أن رد معاوية على عمرو بن حزم الأنصاري جاء في قوله: "إنما بقي ابني وأبناؤهم وابني أحق من أبنائهم... ثم سأل حوائجهم فأعطاهم ما سألهم وزاد"³.

ومن هنا يظهر أن هناك ملامح ظاهرة بدت في الحجاز وبقية الولايات الإسلامية تشير إلى المتاعب التي سيواجهها يزيد بن معاوية عند توليه الحكم، فهل حاول يزيد أن يتدارك الأمر وأن يلبس ثوب الحكمة ويمسك بشعرة والده معاوية من أجل احتواء المعارضين له؟؟ أم كانت ظروف الأمصار والبقاع الإسلامية السياسية والفكرية والأمنية أكبر من أن يحتويها شخص غير مجرب كيزيد بن معاوية؟.

حاول يزيد بن معاوية ذلك وتشير إحدى الروايات التي ساقها جويرية بن أسماء نقلاً عن أشياخ من أهل المدينة أن يزيد وبعد وفاة معاوية مباشرة كتم خبر الوفاة عن العامة، وبعث إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يطلب منه أن يأخذ البيعة من كبار

¹ ابن كثير الدمشقي، مصدر سابق، ج5، ص725-726.

² ابن عساکر، مصدر سابق، ج55، ص5-6.

³ ابن عساکر، مصدر سابق، ج55، ص5-6.

المعارضين لحكمه في المدينة وهم عبد الله بن الزبير والحسين بن علي بن أبي طالب، وكان مروان بن الحكم بحضرة الوالي عندما استدعى ابن الزبير والحسين حيث رفض ابن الزبير أن يبايع يزيد متذرعاً أنه سوف يبايعه بالعلن أمام الناس وليس سراً كما طلب منه الوالي وقد أدرك مروان بن الحكم أن ابن الزبير يحاول أن يراوغ في البيعة، ولهذا طلب مروان من الوالي أن لا يسمح لهما بالمغادرة قبل إعطاء البيعة، وعلى أثر هذا الاقتراح تعرض مروان للشتم والتحقيق من قبل ابن الزبير الذي استطاع أن يقنع الوالي بالسماح لهما بالخروج، وفي الليل خرجا من المدينة إلى مكة رافضين البيعة ليزيد، وتشير الرواية إلى أن ابن الزبير هو من حرص الحسين بن علي للخروج على يزيد، وأن يتوجه إلى أنصاره في الكوفة وقال له: "ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك، فوالله لو أن لي مثلهم ما وجهت إلا إليهم"¹.

وهذه الرواية تجزم أن ابن الزبير كان يسعى للوصول إلى الحكم حين رفض البيعة ليزيد، وحرص الحسين بن علي على ذلك، وحين حثه على الخروج إلى الكوفة وهو موقن أن أهل الكوفة سبق وأن خذلوا علي بن أبي طالب من قبل، وأنهم سوف يخذلون الحسين، وسوف يقتلونه حتى تبقى الساحة مهياًة له من أجل الوصول إلى الخلافة بعد أخذ البيعة من الناس، لاعتقاده أنه الأولى في تولي الخلافة بعد مقتل الحسين، إذ لا يمكن له أن يطرح نفسه خليفة طالما أن الحسين بن علي موجوداً، لذا دبر هذه المكيدة للنيل منه لكي يحقق مآربه.

واتفق صاحب الإمامة والسياسة مع جويزيه بن أسماء في مضمون هذه الرواية، واختلف معه في تحديد اسم الوالي حين أشار إلى أن والي المدينة زمن وفاة معاوية هو خالد بن الحكم، وأن يزيد طلب منه أخذ البيعة من ابن الزبير والحسين وعبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب، وأشار إلى هروب ابن الزبير والحسين إلى مكة² تاركين أجواء المدينة في حالة توتر شديد بين الخصوم السياسيين والخليفة الجديد.

لم ينفذ صبر يزيد بن معاوية على ما قام به ابن الزبير، من رفض البيعة له وهروبه إلى مكة وذكره إياه بالسوء، فأرسل إليه وفداً من عشرة رجال بينهم الحصين بن نمير السكوني، وكان الوفد يحمل رسالة من يزيد إلى ابن الزبير وحاول الوفد أن يقنع ابن الزبير بالعدول عن موقفه ولكنه فشل فشلاً ذريعاً في مهمته، وقبل أن يغادر الوفد مكة حذر ابن الزبير من الاستمرار في التطاول على يزيد، وقال أحد أعضاء الوفد لابن الزبير: "أرأيت تلك الحمامة البيضاء. قال ابن الزبير: نعم، قال له: والله لو أنها شهدت زوراً على يزيد بأنه يشرب الخمر لقتلتها"³، ومعنى هذا أن كلام ابن الزبير بحق خليفة المسلمين يزيد بأنه يشرب الخمر ويدع الصلاة إنما هو كلام من باب الدعاية ومجرد كذب لا سند له.

¹ ابن العساکر، مصدر سابق، ج28، ص202-203.

² الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص164-165.

³ الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص26-27. دون اسناد.

وانتفتت رواية هشام بن عروة التي نقلها عن أبيه مع رواية الأصفهاني حول ابن الزبير، وأنه تتأقل عن طاعة يزيد وأظهر شتمه، ولهذا أشارت الرواية إلى أن صبر يزيد بدأ ينفذ في تحمل ابن الزبير، حتى أنه أقسم بالله أن لا يتركه يأتي وحده إليه، بل سوف يحضره مغلولاً لكي يضع حداً له، وهنا شعر بعض الغيورين على عدم إراقة الدماء أن الأمور أصبحت تسير باتجاه الصدام بين الطرفين، وحاولوا التوسط لدى ابن الزبير من أجل أن يبر بقسم أمير المؤمنين يزيد واقترحوا على ابن الزبير أن يضع أغلالاً من فضة يلبس عليها الثوب حتى لا يرى وهو مغلول، ولكنه رفض الوساطات وأصر على موقفه. وتشير الرواية إلى أن ابن الزبير واجه هذا التصعيد بمثله حين دعا لنفسه بالخلافة¹، قيل أن يقوم أهل المدينة بطرد عامل يزيد وبني أمية من المدينة، وقبل أن يوجه يزيد الجيش لقتال ابن الزبير وأهل المدينة.

وهنا لا بد من العودة إلى الروايات التي ساقها الواقدي، والتي تشير إلى أن سبب الخروج على حكم يزيد هو سلوكه وتعديه حدود كتاب الله بالسكر وإضاعة الصلاة، فقد أورد عوانة بن الحكم رواية تؤكد أن مثل هذه الأقوال كانت متداولة بين العامة في المدينة، وتذكر الرواية أن المسور بن مخرمة وهو من سكان المدينة وأحد قادة موقعة الحرّة قد وفد إلى يزيد قبل ولاية عثمان بن محمد، وعندما رجع إلى المدينة شهد على يزيد بالفسق وشرب الخمر، ولهذا أمر يزيد عامله على المدينة بضرب مسور الحد² لأنه شهد شهادة زور على الخليفة دون أن يقدم دليلاً على أقواله.

وقد أراد عوانة من روايته هذه أن يؤكد أن أهل المدينة قد سمعوا أن يزيد يشرب الخمر، وأنهم يتداولون ذلك في مجالسهم، وهذا ما أغضب يزيد منهم، وبعد أن جلد المسور بن مخرمة شعر أهل المدينة أنه لا بد من التوجه إلى الخليفة يزيد لتقديم الاعتذار له على ما سمعه من بعض أهل المدينة³. وجاءت رواية عوانة الثانية لتؤكد أن وجهاء أهل المدينة ذهبوا إلى الوالي عثمان بن محمد بن أبي سفيان وطلبوا منه أن يوفد جماعة منهم إلى الشام من أجل الاعتذار للخليفة.

وتؤكد الرواية أن الوفد نزل بحوارين عند الوليد بن عتبة وأقاموا عشرة أيام، وبعد ذلك قابل يزيد الوفد واعتذر لهم عن تأخره عنهم، وكان ماداً رجله على سريره بسبب مرض النقرس، وتقول الرواية أن يزيد تلقاهم ببشر وقال لهم: "لم أزل وجعاً من رجلي إن الذباب ليسقط عليها فيخيل إليّ أن صخرة سقطت عليها"⁴ وقد قدم أحدهم واتكأ على رجل يزيد فقطب

¹ ابن عساکر، مصدر سابق، ج28، ص229.

² البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص338.

³ ابن عساکر، مصدر سابق، ج26، ص259 (ترجمة العباس بن سهل) وانظر أيضاً رواية الواقدي عند نفس المصدر، ج5، ص285 (ترجمة حميد بن عبيد الله بن أبي الجهم)

⁴ ابن عساکر، مصدر سابق، ج26، ص259.

من شدة الوجد وقد سأله عشرين حاجة، وفي نهاية الرواية أمر يزيد الوفد برفع حوائجهم فلم يسألوا حاجة إلا قضاها، ثم وصلهم بعد قضاء حوائجهم، وأذن لهم بالإنصراف، فرجعوا ذامنين له مجمعين على خلعه وشهدوا عليه أنه يشرب الخمر ويدع الصلاة¹.

ومن خلال روايات عوانة السابقة نستنتج أن يزيد كان يعلم بقدم وفد المدينة إليه لتقديم الاعتذار له، فهل من المقبول منطقياً أن يقوم يزيد بشرب الخمر أمام الوفد؟ وكيف للخليفة أن يشرب الخمر أمام رعيته، وقد أعطى أمراً لوالي المدينة بإقامة الحد على مسور بن مخرمة لأنه اتهم يزيد بشرب الخمر.

إن الوفد الذي ذهب لمقابلة يزيد واطّلع على النواحي العسكرية والصحية والنفسية هناك، شعر بضعف يزيد صحياً، وشعر أن بعض الولاه لا يمتثلون لأوامره، ولم يكن الوفد متخيفاً أن يسمح الخليفة بمهاجمة مدينة رسول الله، واعتقدوا أن يزيد سيُعزل عن كرسي الخلافة ويتولى رجلٌ آخر مكانه، لذا عاد الوفد بعد وصول المدينة إلى الحديث عن سكر يزيد وتركه الصلاة، وحض الناس على الخروج واعتبار ذلك واجباً شرعياً.

ولعل ما شجعهم على ذلك اعتقادهم أن مكة والطائف وبقية الحجاز باستثناء المدينة قد خضعت لابن الزبير، وأن اليمامة وبلاد العراق تشهد اضطرابات سياسية ولم يبق للأمويين سوى دمشق والشام، فإذا سقطت المدينة اهتز عرش بني أمية ووجب إعلان خلافة أخرى. ولكن هل كان جميع أهل المدينة على قلب رجل واحد في رفض خلافة يزيد بن معاوية؟ وماذا كان موقف كبار فقهاء أهل المدينة من عملية خلع يزيد من الحكم بعد أن بايعوه بالخلافة؟ وهل وافق كبار آل البيت وعبد الله بن عمر بن الخطاب على سلوك قيادة أهل الحرّة؟ وما هو موقفهم من ابن الزبير فهل اعتبروه صادقاً في توجهاته وأنه غيور على الدين والعقيدة؟ وهل كان جميع أهل المدينة والحجاز يؤيدون ابن الزبير في طلب الخلافة؟

لقد أورد المدائني رواية تفيد أن كبار فقهاء المدينة قد رفضوا الخروج على حكم يزيد بن معاوية بعد أن بايعوه بالخلافة، ويقول المدائني أن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية قد امتنعوا عن الخروج على يزيد، ويضيف أنه جرى بين ابن الحنفية وأصحاب عبد الله بن الزبير قول كثير، وأنهم أرادوا إكراهه بالقوة حتى ينضم إليهم، ولكنه رفض ذلك وهرب منهم، ومن ثم رفض البيعة لابن الزبير الذي سجنه وكاد أن يحرقه بالنار حياً داخل السجن².

¹ ابن عساکر، مصدر سابق، ج26، ص259.

² الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص29، انظر الحوار الذي دار بين ابن الحنفية وبين قادة أهل المدينة يحاولون اقناعه بالانضمام إليهم حيث رد على اتهاماتهم ليزيد بالدليل القاطع مؤكداً أنه رافقه عن قرب وما رأى منه إلى كل خير وأنه يقيم الصلاة ويجالس العلماء والفقهاء وأن الاتهامات التي تشير إليه أنه يسكر هي كذب واقتراء... راجع ابن كثير، دمشق مصدر سابق، ج5، ص746.

ويفهم من رواية المدائني أن أهل المدينة لم يقتنعوا كلهم أن ابن الزبير هو من يملك الحق بالخروج على يزيد ، لأنه استغل العاطفة الدينية لاستمالة الناس إليه ، حتى أن بعض الذين لم يقنعوا بالخروج على يزيد أكرهوا بالخروج وقاتلوا الجيش الشامي .

وتشير بعض الروايات الى أن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو من كبار فقهاء المدينة، ومن ساداتها قد أدرك أكثر من غيره ما يدور في أروقة مسجد المدينة وشوارعها وبيوتها، وأيقن أن جماعة عبد الله بن الزبير يحاولون تجنيد أكبر عدد ممكن من الناس من أجل خلع يزيد ،ولهذا تدارك ابن عمر هذا الأمر وقام بجمع أقاربه وحذرهم من مغبة الخروج على الإمام وحذرهم من عواقب ذلك في الدنيا والآخرة.

وقد أورد ابن سعد رواية مفادها أن عبد الله بن مطيع العدوي وهو ابن عم عبد الله بن عمر وأحد كبار رجال الحرّة وقادتها أراد أن يفر من المدينة حتى لا يعطي البيعة ليزيد، فخرج إليه ابن عمر وقال له: "أين تريد يا ابن عم؟ قال: لا أعطيهم طاعة أبداً، فقال: يا ابن عم: لا تفعل فإني أشهد أنني سمعت رسول الله (ص) يقول: من مات ولا يبيعه عليه مات ميتة جاهلية"¹

ويؤكد ذلك أيضاً رواية هشام بن زيد بن أسلم التي تقول إن ابن عمر دخل على ابن مطيع، فقال الأخير: "مرحباً يا أبا عبد الرحمن، ضعوا له وسادة فقال: إنما جئت لأحدثك حديث سمعته من رسول الله (ص) يقول: من نزع يداً من طاعة فإنه يوم القيامة لا حجة له، ومن مات مفارق الجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية"².

ولم يكن بيت عمر بن الخطاب وحده الذي نأى عن الخروج وأبى خلع يزيد ، بل هناك بيوت كثيرة في المدينة رفضت الخروج على يزيد ومن آل أبي طالب وعبد المطلب خاصة ، كما نجد في رواية منسوبة لأبي جعفر الباقر، ونصها أنه لم يخرج أحد من آل أبي طالب ولا من بيت عبد المطلب أيام الحرّة³.

والممتنع للروايات التي دارت حول خروج أهل المدينة على حكم يزيد يستنتج أن هناك في المدينة من أدرك ما يجول في نفوس القائمين على الخروج، وكان الأكثر وعياً ومعرفة بهذا الأمر هو ابن عمر، وروى الهيثم بن عدي رواية تظهر مدى عمق تفكير هذا الرجل الكبير وفهمه لمقاصد ابن الزبير، وتؤكد الرواية أن الأخير حاول أن يستقطب إلى جماعته كبار الشخصيات المؤثرة في المدينة من رجال ونساء حتى يتمكن من حشد أكبر عدد ممكن من الناس لمبايعته في الخلافة.

¹ ابن سعد، مصدر سابق ، ج7، ص144 (ترجمة عبد الله بن مطيع) ابن كثير الدمشقي، مصدر سابق ، ج5، ص726.

² ابن كثير الدمشقي، مصدر سابق ، ج5، ص747.

³ ابن كثير الدمشقي، مصدر سابق ، ج5، ص747.

وتشير الرواية إلى أن ابن الزبير ذهب إلى صفية بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر، وذكر لها أن خروجه على يزيد كان غضباً لله تعالى ولرسوله والمهاجرين والأنصار، لأن معاوية وابنه وجميع بني أمية قد نهبوا الفياء، وطلب منها أن تبايعه بالخلافة، وعندما حضر زوجها ذكرت له ما ورد بينها وبين ابن الزبير وقد أثنت عليه وعلى اجتهاده، وأكدت لزوجها أنه ما يدعو إلا إلى طاعة الله عز وجل وأكثرت القول في ذلك، فماذا رد زوجها عليها؟ "أما رأيت بغلات معاوية اللواتي كان يحج عليهن الشعب، فإن ابن الزبير ما يريد غيرهن"¹.

لقد فهم ابن عمر ما يدور في المدينة من الناحية الشرعية، فرأى أنه لا يجوز الخروج على الإمام، وأن من مات مفارقاً الجماعة مات ميتة جاهلية، لهذا عدّ الخروج على يزيد باطلاً شرعاً، ورأى أن هدف ابن الزبير ليس نصرته لله ورسوله والمهاجرين والأنصار، وإنما هو مادي ودنيوي، ولهذا أمر ابن عمر زوجه بالالتزام بالجماعة وعدم الخروج على يزيد.

ويعلق ابن كثير الدمشقي على خروج أهل المدينة، حيث يقول عن يزيد: "إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً، وإماماً إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح أقوال العلماء، بل لا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة للفتنة ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام ونهب الأموال..."² فابن كثير يرى أن الإمام حتى لو كان فاسقاً لا يجوز من الناحية الشرعية الخروج عليه، وذكر في رواية أخرى أن أهل المدينة لم يتهموا يزيداً بالزندقة³.

ونقف الآن عند الرواية الرابعة للواقدي التي أشار فيها إلى البعد الاقتصادي الذي عاشته المدينة المنورة في ظل حكم معاوية، وما تمخض عنه من أحداث أدت بمجملها إلى خلع يزيد عن الحكم وطرد بني أمية من المدينة، فقد ذكر الواقدي هذه الرواية، واستفرد بها أبو العرب في كتابه "المحن"، ولم ترد عند بقية المؤرخين على لسان الواقدي، ربما لأن المؤرخين الذين أشاروا إلى العامل الاقتصادي نقلوا رواياتهم دون إسناد، منهم اليعقوبي وصاحب الإمامة والسياسة.

فقد أكد اليعقوبي بشكل قاطع أن العامل الاقتصادي هو ما كان يقف وراء خروج أهل المدينة، ولم يذكر أن هناك عوامل أخرى تقف خلف هذا الموضوع، وقد نقل اليعقوبي روايته عن الواقدي، لكن جاءت بشكل مبسط ومختصر حين أشار إلى أن أهل المدينة منعوا عامل صوافي معاوية ويدعى ابن مينا من أخذ ما كان يأخذه كل سنة من الحنطة والتمر ولهذا فقد بعث والي المدينة عثمان بن محمد إلى رجال المدينة الذين منعوا ابن مينا، ويقول اليعقوبي أنه

¹الأصفهان، الأغاني، ج1، ص28.

²ابن كثير الدمشقي، مصدر سابق، ج5، ص753.

³ابن كثير الدمشقي، مصدر سابق، ج5، ص746.

كلمهم بكلام غليظ ،ولهذا قاموا باخراجه ومن كان معه من بني أمية من المدينة وأضاف إلى رواية الواقدي: ورموهم بالحجارة¹.

وقد وافق صاحب الإمامه والسياسة على رواية الواقدي واليعقوبي في عدّ العامل الاقتصادي أحد أسباب خروج أهل المدينة، وأتى بروايتين تدعمان موقفه ، الأولى منقولة عن الواقدي باختلاف بسيط ومفادها أن أهل المدينة منعوا الرجل القيم على أموال معاويه ويدعى "ابن ميثاء"، وليس ابن مينا كما ذكر. الواقدي، من جمع أموال معاويه الخاصة وهي عبارة عن كروم ونخيل وهي تنتج محصولاً قيمته مائة وستون وسقاً ، وذلك لأن معاويه أكثر عليهم غيرهم في العطاء ، ولم يعطهم درهماً، وقد نالت منهم المجاعة وعضهم الزمان². ويتابع قائلاً: أن الوالي أغلظ لهم في القول وأغلظوا له فكتب إلى يزيد بما حصل له، ولهذا قاموا بمنع ابن ميثاء من الاقتراب من الأراضي وأخرجوا بني أمية والوالي من المدينة³.

وبعد مقارنة الروايتين اللتين جاء بهما اليعقوبي وصاحب الإمامه والسياسة نستنتج أن المصدر الأول لهذه الرواية هو الواقدي ولكن لماذا أصر اليعقوبي أن يقف عند هذه الرواية ولم يشر إلى غيرها؟

الواضح أن رواية اليعقوبي تحمل في ثناياها أهدافاً سياسية وفكرية فهو من جهة يريد أن يظهر أن حكم بني أمية جائر وظالم، وأن أهل المدينة في ظل هذا الحكم الاستبدادي كانوا بأسوأ حال من الناحية الاقتصادية، ولهذا فمن الطبيعي أن يثوروا في وجه حكامها الظالمين عندما تجدهم يستبدون بالحكم ويصادرون أموال الناس وأراضيهم، وهذا ما يتماشى مع توجهات اليعقوبي الفكرية والشيعية القاضية بأن بني أمية اغتصبوا الخلافة من علي، واغتصبوا أيضاً الأراضي من أهلها. ولم يذكر أي دور لأبن الزبير في أحداث المدينة، لأن أهدافه وأفكاره ومبادئه بالخلافة لنفسه تتعارض مع توجهات الشيعة ومطالبهم بالخلافة وحصرها في أولاد فاطمة بنت محمد (ص). وهناك تفسير آخر لما جاء به اليعقوبي يفيد أن المؤرخين يؤكدون أن اليعقوبي في تاريخه اهتم بالجانب الحضاري أكثر من اهتمامه بالجانب السياسي⁴.

أما الرواية الثانية التي ساقها صاحب الإمامه والسياسة وتتصل بإخراج بني أمية من المدينة، فقد ربطها بالبعد الاقتصادي حين أشار إلى أن والي المدينة، ويدعى عمرو بن سعيد

¹ اليعقوبي، مصدر سابق ، ج2، ص174.

² الإمامه والسياسة، مصدر سابق. ج1، ص165-166.

³ الإمامه والسياسة، مصدر سابق ج1، ص166.

⁴ مصطفي، مصدر سابق ، ص250.

قد منع الأعطيات المخصصة لأهل المدينة من بيت المال ، وأنه اشترى بها عبيداً لنفسه¹ في إشارة إلى الفساد الاقتصادي والإداري، ولهذا فإن أهل المدينة قد ثاروا على الوالي وعلى بني أمية وأخرجوهم منها.

وهذه الرواية لا يمكن الأخذ بها لسبب بسيط هو أن والي المدينة عند خروج بني أمية من المدينة كان عثمان بن محمد بن أبي سفيان ،وليس عمرو بن سعيد، علماً أن عمرو بن سعيد كان والياً سابقاً للمدينة، وقد أقبل من قبل يزيد قبل طرد بني أمية منها، وهذا ما أكده أبو مخنف في روايته التي نقلها عن حبيب بن كره حيث ذكر أن عمرو بن سعيد كان عند يزيد عندما وصله رسول بني أمية، وطلب منه يزيد أن يقود الجيش ويتوجه إلى المدينة، إلا أنه رفض ذلك قائلاً: "قد كنت ضببت لك البلاد وأحكمت لك الأمور، فأما الآن إذا صارت انما هي دماء قریش تهراق بالصعيد، فلا أحب أن أكون أنا أتولى ذلك يتولاها منهم من هو أبعد منهم مني"².

وهذه اشارة تدل على مدى التزام عمرو وخوفه على دماء قریش وهم أقاربه وعشيرته فكيف يقوم بحبس الأعطيات من أجل شراء عبيد لنفسه؟ وكيف لم يحاسبه أحد على ذلك؟ ولماذا لم يذكر هذا الخبر غير صاحب الإمامة والسياسة من المؤرخين؟ ثم من هو مصدر هذه الرواية؟، فجميع الدلائل تشير إلى أنها موضوعة وغير دقيقة ولا يمكن الأخذ بها.

أما روايات الواقدي المتعلقة بالجانب الاقتصادي، فقد أورد أربع منها تحمل ثلاثة أسباب مختلفة، قال إنها هي سبب إخراج بني أمية وخلع يزيد عن الحكم، فقد اهتم بسند الرواية ونقلها لنا كما هي وترك المجال للدارس لأخذ الرواية الأكثر واقعية ، ثم إن بقية المؤرخين الذين أخذوا عن الواقدي اهتموا بالجانب السياسي، وبدور عبد الله بن الزبير وما نقله على لسان عبد الله بن حنظلة من أقوال بحق يزيد، ولم ينقل أحد من المؤرخين الذين تم الرجوع إليهم رواية الواقدي الاقتصادية وهذا يقود إلى نتيجة مفادها أن المؤرخين لم يقنعوا بهذا السبب وعدّوه الشعرة التي قصمت ظهر البعير بين يزيد وأهل المدينة، ولم يورد هذه الرواية إلا أبو العرب في كتابة المحن في إشارة إلى أن هناك خلافتان ما بين الوالي وبعض رجال أهل المدينة على الأراضي والصوافي.

ومن المرجح أن الخلاف بين أهل المدينة ويزيد بن معاوية لم يكن على قطعة أرض أو ثمار، ولو كان خلافاً مادياً لكان حله سهلاً، ولما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه لأن جميع الروايات السابقة تؤكد أن يزيد كان كريماً جداً في عطائه، وأنه كان يعطي الوافدين إليه بدون حساب خاصة أهل المدينة وعشيرته وأهله، وهذا واضح في الروايات التي ذكرت مقدار

¹الإمامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص186.

²الطبري، مصدر سابق ، م3، ص352 (رواية أبو مخنف)

العطاء الذي أعطاه لوفد أهل المدينة فكيف يُفسر عطائه لهم مبالغ مالية كبيرة جدا تصل إلى مئات الألوف من الدنانير دون حساب، ومن ثم يريد أن يأخذ ما يملك من أراضٍ وصوافٍ؟ لذا فإن العامل الاقتصادي وما قيل فيه لا يمكن الأخذ به، ولا يمكن قبوله مبرراً وحيداً أدى إلى إخراج بني أمية من المدينة.

وهل يعقل أن يقوم معاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين بشراء أراضي أهل المدينة وهم أقاربه وأبناء عمومته ومن قبيلته ويتركهم يتضورون جوعاً؟ أين مصلحة معاوية في ذلك! وهو الخليفة الذي يملك بيت مال المسلمين ويتصرف به كيفما يشاء وتدين له البلاد والعباد بالطاعة، وهو المعروف عنه الحنكة والذكاء والدهاء السياسي، وهو القائل: لو كان يبني وبين الناس شعرة لما انقطعت؟ ألم يدرك معاوية أن سلب أراضي الناس وقطع أرزاقهم سيجعلهم يثورون على أي نظام حكم مهما كانت قوته وجبروته، فلماذا لم يثوروا على معاوية إذن؟ ألم يذكر ابن عساکر رواية تفيد زيارة محمد بن حزم الأنصاري لمعاوية يطلب منه عدم تولية ابنه يزيد الحكم، وأن معاوية حاوره في ذلك، وفي نهاية اللقاء أعطاه كل حوائجه، وزاد أكثر من ذلك في العطاء؟¹ فأى حنكة وأي دهاء سياسي أكثر من ذلك؟

ربما كانت هناك ظروف سياسية بالدرجة الأولى لها علاقة بابن الزبير قبل كل شيء، ولا علاقة لها بأبناء المهاجرين والأنصار القاطنين في الحجاز من أجل إعادة الحكم إلى المدينة لتعود كما كانت عاصمة الرسول (ص) والخلفاء الذين جاءوا من بعده. والادعاء أن سلوك يزيد كان يقف خلف خلعه وطرد بني أمية ما هي إلا مبررات واهية قصد منها نزع الغطاء الشرعي عن خلافة يزيد وتهيج العامة والبسطاء من الناس حتى تشاركهم ثورتهم للقضاء على حكم بني أمية.

هكذا نجد أن الروايات التي تناولت أسباب خروج أهل المدينة على يزيد قد انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات تمثل وجهات نظر متباينة في الغايات والأهداف وهي الروايات الحجازية والروايات العراقية والروايات الشامية.

فالروايات الحجازية التي مثلها جويرية بن أسماء الذي نقل روايات مباشرة عن شيوخ مجهولين من أهل المدينة وكذلك أبي معشر السندي (190هـ/806م) وأبي اليقظان النسابة (190هـ/806م) والواقدي (207هـ/822م) يظهر فيها البعد الديني والتركيز على سلوكيات يزيد التي سبق ذكرها في غير موضع علماً أن ظاهر رواياتهم يشير إلى البعد السياسي، الذي يقف خلفه ابن الزبير، إلا أن الطابع العام لروايات أهل المدينة تظهر البعد الديني السلوكي ليزيد باستثناء رواية واحدة للواقدي أشارت إلى البعد الاقتصادي عند أبي العرب في المحن.

¹ ابن عساکر، مصدر سابق، ج 55، ص 605.

أما الروايات العراقية فيمثلها أبو مخنف (157هـ/774م) واليعقوبي (292هـ/905م) والمسعودي (346هـ/957م) وابن أعثم الكوفي (314هـ/926م) فهي تحاول أن تظهر مدى الظلم والاضطهاد والاستبداد والعنف الذي مارسته دولة بني أمية بحق رعيته، والتي بمجملها أدت إلى ثورة الناس ضد نظام الحكم، ويقولون أن يزيد بدأ حياته بقتل الحسين في كربلاء وأنهاها بموقعة الحرّة. ولم يتناول أصحاب هذه المدرسة سلوكيات يزيد، وأنه يشرب الخمر وغير ذلك لأنهم لم يجرموا النبيذ والطلاء كما فعل فقهاء أهل المدينة، ولهذا أعرضوا عن تناول الجانب السلوكي والديني ليزيد، ويجمع هذه الفئة مع بعضهم بعضاً ميولهم للشيعه، ولذلك فهم ينطلقون في آرائهم من حقدهم على يزيد بسبب موقعة كربلاء، واغتصاب الخلافة على حد قولهم.

أما الروايات الشامية فيمثلها عوانة بن الحكم (147هـ/764م) المتهم بميوله للأمويين حين أظهر يزيد بصورته التي تليق به كأمر للمؤمنين من حيث تسامحه وكرمه وحسن استقباله لرعيته وصبره وجلده رغم ما كان يعانيه من مرض، وقام بتكذيب كل الروايات الحجازية التي أشارت إلى أن يزيد كان يسكر، وذلك من خلال نقله أجواء الاجتماع الذي ضم وفد أهل المدينة مع يزيد، والذين رجعوا إلى المدينة واقسموا أنه يشرب الخمر ويترك الصلاة، وأراد أن يقول في النهاية أن دولة بني أمية كبقية دول العالم تريد فرض القانون العام وحفظ النظام وتوفير الأمن للرعية، لذا تحارب كل من يفكر بالخروج عليها حفاظاً على دولة الخلافة الإسلامية.

الفصل الثالث

مجريات الواقعة

- تجهيز الحملة الشامية وخط سيرها.
- استعدادات أهل المدينة لمواجهة الجيش الشامي.
- اقتحام المدينة والقضاء على الثورة.

تجهيز الحملة العسكرية وخط سيرها

اختلفت الروايات التاريخية في كثير من التفاصيل التي تناولت الكيفية التي جهزت بها الحملة العسكرية الأموية الموجهة إلى الحجاز (المدينة ومكة) ،وتباينت وجهات نظر الإخباريين والمؤرخين في ذلك، فمنهم من تناول هذا الموضوع باستفاضة كالمدائني الذي أعطى صورة مهمة، حيث وصف لنا أحوال بني أمية المطرودين من المدينة، وما لحق بهم من الذل والقهر والرعب والابتزاز الذي مورس عليهم من قبل "صبيه أهل وسفلة القوم"¹ على حد تعبيره قبل أن يدخل في تفاصيل تجهيز الحملة العسكرية.

ومنهم من دخل في صلب الموضوع مباشرة دون مقدمات كأبي مخنف² وأبي معشر³ وأبي اليقظان النسابة⁴ وغيرهم. ونبدأ بأقدم الروايات التي وصلت بهذا الخصوص، وهي لأبي مخنف (157هـ/774م) الذي بدأ رواياته حين طرد أهل المدينة بني أمية من المدينة، وأشار إلى أن مروان بن الحكم ومن معه قاموا بإرسال كتاب إلى يزيد بوساطة حبيب بن كره حيث قدم الرسول إلى يزيد وسلمه الكتاب، ثم وصف الحالة الصحية التي كان يعيشها يزيد المصاب بالنقرس، وكان يضع رجليه في الماء من شدة الألم⁵.

ثم أن يزيد سأل حبيباً عن عدد بني أمية الموجودين بالمدينة "أما كان بنو أمية ألف رجل؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار؟"⁶ وتقيد الرواية أن يزيد قرأ الكتاب على "عمرو بن سعيد الأشدق وعرض عليه أن يسير إلى المدينة فرد عليه قائلاً: "قد كنت ضببت لك البلاد وأحكمت الأمور وأردت أن أطف للرجل فأخذه في رفق أو أقتله بحيلة، فأما الآن فإنني لا أحب هراقه دماء قريش"⁷.

أرسل يزيد الكتاب إلى مسلم بن عقبة المريّ فجاء إليه وقال مثل مقولة يزيد "ما أعجب هذا أما قدروا وهم ألف رجل أن يقاتلوا عن أنفسهم ساعة واحدة"⁸ وأمره يزيد بالاستعداد للتوجه إلى الحجاز وأن يعطي الجند أعطيائهم كاملة على أن يعان كل منهم بمائة دينار⁹.

ويقول أبو مخنف أن يزيد جهز جيشاً مكوناً من "اثني عشر ألف مقاتل حيث ركب فرساً وتقلد سيفاً وتكب قوسه وأقبل يتصفح الخيل وهو يقول:

1 البلاذري، أنساب، ج5، ص340، الطبري، مصدر سابق، م3، ص353. ابن الاثير، الكامل، م4، ص113.

2 الامامة السياسية، مصدر سابق، ج2، ص185-186.

3 ابن عديريه، مصدر سابق، ج5، ص137-138.

4 البلاذري مصدر سابق، ج5، ص340، قارن الطبري، مصدر سابق، م3، ص353.

5 البلاذري مصدر سابق، ج5، ص340

6 البلاذري مصدر سابق، ج5، ص340

7 البلاذري مصدر سابق، ج5، ص340

8 البلاذري مصدر سابق، ج5، ص340

9 البلاذري مصدر سابق، ج5، ص340

وأشرف القوم على وادي القرى
أم جمع يقظان إذا حث السرى
مخادع في الدين يقفو بالفري¹

أبلغ أبا بكر إذا الجيش انبرى
أجمع سكران من الخمر ترى
واعجباً من ملحد واعجبا

وبعد ذلك أوصى يزيد مسلم بن عقبة بأمور عدة "إن حدث بك حدث فأمير الجيش الحصين بن نمير السكوني فإن وردت المدينة فادع الناس ثلاثاً فإن أجابوك والآن فقاتلهم، فإن ظهرت عليهم فأبجها ثلاثة فما بها من مال أو رثة أو طعام فهو للجند فإن مضت الثلاث فأكفف عن الناس واستوص بعلي بن الحسين خيراً وأذن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخل الناس فيه² وأعلم أنك تقدم على قوم ذوي جهالة واستطالة قد أفسدهم حلم أمير المؤمنين معاوية وظنوا أن الأيدي لا تتألم فلا تردن أهل الشام عما أرادوا بهم³ وذكر أبو مخنف إن مسلم بن عقبة لقي بني أمية بمنطقة يقال لها وادي القرى، وطلب من عمرو بن عثمان بن عفان أن يخبره عن أحوال أهل المدينة، فرفض ذلك ليمينه الذي حلفه لأهل المدينة، فزجره مسلم قائلاً: "لولا أنك ابن عفان لضربت عنقك والله ما أقلتها قريش بعدك"⁴.

وأكد أبو مخنف أن مروان بن الحكم قدّم ابنه عبد الملك ليخبره عن أهل المدينة ولم يقدم نفسه خوفاً من حنث اليمين فسأله مسلم فأخبره عنهم وكيف يؤتون فأعجب مسلم بعبد الملك "لله درك يا ابن مروان لقد رأى بك أبوك خلفاً منه في حياته"⁵.

كما تناول أبو مخنف في رواياته محاولات يزيد بن معاوية الهادفة إلى تني أهل المدينة، عما قاموا به، وأرسل بطلب النعمان بن بشير الأنصاري ليقوم بالوساطة مع الأنصار في المدينة من أجل أن يرجعوا عن غيهم ، فتوجه النعمان إليهم "واستنهاهم عن أنفسهم وحذرهم جنود أهل الشام ، ورجبهم في بيعة يزيد"⁶.

ولم يذكر أبو مخنف أن أحداً من الأنصار قد وقف في وجه النعمان بن بشير، بل أكد أن الذي واجهه هو عبد الله بن مطيع، وهو من أبناء المهاجرين وقريب عمر بن الخطاب قائلاً "قد جنّت بأمر تريد به تفريق جماعتنا وإفساد ما قد أصلح الله من أمرنا"⁷ ولكن النعمان كان أكثر دراية بهذا الرجل من غيره حيث رد عليه "كأنني بك على بغلتك تضرب جنبها ثم تلحق

¹ البلاذري، مصدر سابق. ج5، ص340.

² البلاذري، أنساب، ج5، ص340-341، الطبري، مصدر سابق ، م3، ص353 ابن الأثير، الكامل، م4، ص113.

³ البلاذري، أنساب، ج5، ص341.

⁴ البلاذري، مصدر سابق. ص341.

⁵ البلاذري، مصدر سابق. ص341. قارن مع الطبري ص354 والحوار الكامل بين مسلم وعبد الملك الذي وضع الخطة العسكرية للجيش الشامي لمواجهة أهل المدينة وسوف تمر معنا في هذا الفصل عند الحديث عن اقتحام المدينة وإنهاء الثورة.

⁶ البلاذري، مصدر سابق. ص341.

⁷ البلاذري، مصدر سابق. ص341.

بمكة وتتركّن هؤلاء المساكين من الأنصار يقتلون في سكنهم ومساجدهم، فلم يلتفت إلى قوله أحد¹ وهذا ما حصل في نهاية المعركة.

وقد نقل النعمان بن بشير لأهل المدينة كتاباً من يزيد جاء فيه: "من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى أهل المدينة أما بعد: فقد أنظرتكم حتى لا نظرة، ورفقت بكم حتى عجزت عنكم، وحملتكم على رأسي ثم على عيني ثم على نحري، وإيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أجعلكم بها أحاديث تؤثر مع أحاديث عاد وثمود وتمثل بهذين البيتين

أظن الحلم دَلَّ عليّ قومي
ومارست الرجال وما رسوني
وقد يستضعف الرجل الحليم
فمعوَجُّ عليّ ومستقيم²

، وقبل الانتهاء من روايات أبي مخنف عند البلاذري، يجب الإشارة إلى أن الأخير أورد رواية جاءت بصيغة "يقال" بعد أن ذكر روايات أبو مخنف أشار فيها أن يزيد وبعد أن عرض جنده أمامه، كتب إلى ابن الزبير رسالة، ويقال إنه لم يكتب، بل قال قولاً ظاهراً جاء فيها

استعد ربك في السماء فإنني
ورجال كلب والسكون ولخمها
أدعو إليك رجال عكّ وأشعر
وجذام تقدمها كتائب حمير
كيف النجاة أبا خبيب منهم
وأشار إلى أن الشاميين يقولون إنما قال:

إجمع رجال الأبطحين فإنني
أدعو إليك رجال عكّ وأشعر³

واختلفت روايات أبي مخنف عند الطبري مع مثيلاتها عند البلاذري، مع أنها للإخباري نفسه في أمور عدة، حيث ذكر الطبري أن يزيد بن معاوية قال بعد أن تسلم كتاب بني أمية من حبيب بن كره: "لقد بدلوا الحكم الذي في سجيّتي، فبدلت قومي غلظة بليان⁴، وهذا لم يذكر عند البلاذري، ويظهر الاختلاف أيضاً من خلال تناول موقف مسلم بن عقبة المريّ من بني أمية المطرودين من المدينة حيث ذكر الطبري على لسان أبي مخنف أن مسلم قال ليزيد "ليس هؤلاء بأهل أن ينصروا حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم وعز سلطانهم"⁵ ثم جاء حتى دخل على يزيد فقال: يا أمير المؤمنين لا تنصر هؤلاء فإنهم الأذلاء، أما استطاعوا أن يقاتلوا يوماً واحداً أو شطره أو ساعة منه! دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم وعز سلطانهم، وسيتبين لك من يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليك

¹البلاذري، مصدر سابق. ص 341.

²البلاذري، مصدر سابق ص 339.

³البلاذري، مصدر سابق ص 341.

⁴الطبري، مصدر سابق. ص 353. قارن مع البلاذري، مصدر سابق، ج 5، ص 339-341 (روايات أبو مخنف).

⁵الطبري، مصدر سابق. ص 353.

ويصبر عليك أو يستسلم"¹. فقال له يزيد: "ويحك إنه لا خير في العيش بعدهم، فاخرج فأنبئني
وسر بالناس"².

أما الأمر الثاني فإنه يتصل بعلي بن الحسين فقد ذكر الطبري والبلاذري أن يزيد قال
لمسلم بن عقبة أثناء تقديم وصيته "وعليّ أتاني كتابه وعلي لا يعلم بشيء مما أوصي به يزيد
بن معاوية مسلم بن عقبة، وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشام آوى إليه
ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفان وهي أم أبان بن مروان"³.
كما يوجد اختلاف واضح في كلمات أبيات الشعر التي وردت على لسان يزيد عند البلاذري
مع الطبري فوردت عند الطبري على النحو التالي:

أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى وهبط القوم على وادي القرى
عشرون ألفاً بين كهل وفتي أجمع سكران من القوم ترى
ام جمع يقظان نفي عند الكرى يا عجباً من ملحد يا عجا
مخادع بالدين يقفو بالعرى⁴

ولا بد من الإشارة إلى أن الطبري أورد رواية مقطوعة عن شخص يدعى المغيرة ،
قال فيها "كتب يزيد إلى ابن مرجانة إن أغز ابن الزبير فقال: لا أجمعها للفاسق أبداً، أقتل ابن
بنت رسول الله واغزو البيت"⁵ ويفهم من هذه الرواية أن الطبري أراد القول إن يزيد بن
معاوية قد عرض قيادة الجيش على أكثر من واحد ليقوم بهذه المهمة قبل أن يطلب من مسلم
بن عقبة التوجه إلى الحجاز.

ويلاحظ هنا أن أبيات الشعر التي جاء بها البلاذري أقرب للواقع والمنطق من التي
جاء بها الطبري لعدة اعتبارات منها أنها موزونة ومكتملة ثلاثة أبيات كاملة بينما عند الطبري
ثلاثة أبيات وشطر البيت وكأن هناك شطراً قد أضيف لاحقاً ثم إنه لا يعقل أن يقول يزيد إنني
أرسل إليك عشرين ألف مقاتل بين كهل وفتي كما ذكر الطبري، إلا إذا كان ذلك من باب
الإستعراض العسكري بينما حدد البلاذري على لسان أبي مخنف أن الجيش الشامي كان عدده
اثني عشر ألف مقاتل سواء أكان هذا الرقم صحيحاً أم فيه مبالغة كبيرة، إلا انه جاء بهذا
النص، وسوف يظهر لاحقاً في إحدى الروايات أن متوسط أعمار مقاتلي الجيش الشامي كان
ما بين العشرين والخمسين من العمر.

¹ الطبري، مصدر سابق. ص 353.

² الطبري، مصدر سابق. ص 353.

³ الطبري، مصدر سابق. ص 353.

⁴ الطبري، مصدر سابق، ص 353.

⁵ الطبري، مصدر سابق ، م 3، ص 353.

كما لم يذكر الطبري تلك الرواية التي جاء بها البلاذري والتي جاءت بصيغة (يقال) ولم يذكر أبيات الشعر التي نسبت إلى يزيد، فربما لأنه لم يقتنع فيها أصلاً، ولم يقتنع بأن يزيد قالها، وسوف يظهر في الروايات اللاحقة أن الشيعة والمعارضين للحكم الأموي قد حرفوا كلمات أبيات الشعر وجعلوا قائلها الخليفة يزيد وكأنه يتحدى الذات الإلهية. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت روايات أبي مخنف مقبولة ومنصفة لتاريخ يزيد وتاريخ مسلم بن عقبة في هذا الجانب من رواياته.

وعندما نعود إلى روايات أبي مخنف عند البلاذري والطبري، يظهر من تلك التي نقلها البلاذري أنها كانت مختلفة وناقصة بعض الشيء عن الروايات التي جاء بها الطبري، فلماذا لم يذكر البلاذري أن يزيد قد عرض قيادة الجيش على ابن مرجانة؟ ولماذا لم يذكر موقف مسلم بن عقبة من نصره بني أمية المطرودين، وقوله فيهم كما ذكر الطبري؟ ولماذا لم يشر إلى المراسلة التي تمت بين الحسين بن علي مع يزيد، علماً أن جميع ما ذكره الطبري جاء برواية أبي مخنف الشيعي، فما هو السر وراء عدم ذكر البلاذري لهذه الأمور؟ ربما يعود ذلك إلى اختلاف المصادر، حيث نقل الطبري عن مصدر مختلف عن الذي نقل عنه البلاذري، ويظهر من خلال الروايات التي جاء بها الطبري أن مسلم بن عقبة كان غير راغب في تولي قيادة الجيش ونصرة بني أمية الذين وصفهم بالأذلاء، لأنهم لم يقاتلوا، ولم يدافعوا عن أنفسهم وعن عز سلطانهم، كما أظهر الطبري وبشكل واضح موقف يزيد بن معاوية من علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وطبيعة العلاقة التي كانت تربطهما.

أما رواية أبي معشر السندي فقد اختلفت بشكل واضح في ثناياها حول الكيفية التي استعد بها الحكم الأموي لمواجهة أهل المدينة، ولم يذكر شيئاً مما ذكره أبو مخنف، بل تناول الموضوع من زاوية مختلفة مسلطاً الضوء على مسلم بن عقبة المري ولقائه مع معقل بن سنان الأشجعي أحد قادة مقاتلي أهل المدينة يوم الحرّة.

وبدأ روايته بموقف يزيد حين علم أن أهل المدينة قاموا بإخراج بني أمية منها "حيث خرج بعد العتمة ومعه شمعتان: شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: يا أهل الشام فإنه كتب إليّ عثمان بن محمد أن أهل المدينة أخرجوا قومنا فوالله لئن تقع الخضراء¹ على الغبراء² أحب إليّ من هذا الخبر³. ويضيف أبو معشر في روايته أن معاوية قد أوصى يزيد "إن رابك من قومك ريب أو تنقض منهم أحد

¹الخضراء: هي السماء.

²الغبراء: الأرض.

³الإمامه والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص185-186.

فعليك بأعور بني مرة فاستشره"¹. ويكمل روايته بالقول إن يزيد سأل عن مسلم بن عقبة، وطلب منه أن يعبئ ثلاثين ألفاً من الخيل²

وهنا يظهر الاختلاف واضحاً بين أبي معشر وأبي مخنف بشأن رسول الأمويين إلى يزيد حيث ذكر أبي مخنف أن رسول مروان إلى يزيد هو حبيب بن كره في حين لم تشر رواية أبي معشر إلى اسم الرسول، وقال إن الكتاب الذي وصل إلى يزيد كان من عثمان بن محمد، ورواية أبي مخنف أقرب إلى المنطق ، إذ إن مروان بن الحكم هو كبير بني أمية في المدينة وهو رجل كبير في السن وله باع طويلة في مقارعة أهل المدينة، فلا يعقل أن ينتظر الوالي الجديد الشاب اليافع غير المجرب ليقوم بإرسال رسالة إلى يزيد، كما لم يتطرق أبو معشر في روايته إلى أن يزيد طلب من عمرو بن سعيد أن يقود الحملة، بل أشار بشكل مباشر إلى وصية معاوية لابنه يزيد، وكأنه أراد القول إن معاوية في قبره يتحمل سفك دماء أهل المدينة، كما لم يتطرق إلى وصية يزيد لقائد جيشه، وإلى اللقاء الذي جمع بين مسلم وبني أمية المطرودين، ولم يذكر الوساطات التي جرت ، ولا دور النعمان بن بشير الأنصاري وغيره. واختلف مع أبي مخنف بعدد الجيش الأموي، فقد ذكر الأول رقماً كبيراً جداً وهو اثنا عشر ألفاً، في حين أشار الثاني إلى أن عدد الجنود ثلاثون ألفاً من الخيل.

ويذكر أبو معشر في روايته أن معقل بن سنان كان ضيفاً في تلك الفترة على مسلم بن عقبة فأخبره بالأمر، فطلب معقل من مسلم أن يرفض الأمر "فقال له: لا، قال: إركب فيلاً أو فيلة"³ بمعنى أن يتباطأ في الأمر، وفي تلك الأثناء مرض مسلم قبل خروجه إلى الشام فعاده يزيد وعندما رآه على حاله قال له: "قد كنت وجهتك لهذا البعث وكان أمير المؤمنين معاوية قد أوصاني بك وأراك مدفناً ليس فيك سفر"⁴.

ويضيف أبو معشر أن مسلم أخذ يناشد يزيد بالسماح له القيام بهذه المهمة وقال: "أنشدك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله إليّ إنما أنا امرؤ وليس بي بأس"⁵.

واكمل أبو معشر روايته أن مسلم رغم مرضه الذي لم يستطع منه ركوب الخيل فقام جنده بوضعه على سرير وحملوه على أعناقهم، إلا أنه استمر بمواصلة المسير قاصداً أهل المدينة ماراً بمكان يقال له البتراء، حيث رفض أن يقيم جنده في هذا المكان، وأنزلهم مكاناً آخر لم يشر إلى اسمه⁶.

¹الإمامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص185-186.

²الإمامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص185-186.

³الإمامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص185-186.

⁴الإمامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص185-186.

⁵الإمامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص185-186.

⁶الإمامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص185-186.

وتشير الرواية إلى أن يزيد أرسل كتاباً لأهل المدينة حملة قائد الجيش مسلم بن عقبة جاء فيه "أنتم العشيرة والأهل فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا، فإن لكم عندي في عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنة عطاء في الصيف وعطاء في الشتاء، ولكم عندي عهد الله وميثاقه أن أجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا، والحنطة يومئذ سبعة آصع بدرهم وأما العطاء الذي ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعليّ أن أخرجكم لكم"¹.

ويظهر الاختلاف جلياً بين الروایتين حيث أشار أبو مخنف أن مسلم بن عقبة قد تباطأ في قبوله أن يتوجه إلى الشام لنصرة الأذلاء حسب وصفه لهم بينما ظهرت رواية أبي معشر أنه قام بمناشدة الخليفة حتى يسمح له القيام بهذه المهمة "أنشدك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله إليّ"، كما اختلفت الروایتان أيضاً بتلك الرسالة التي قام يزيد بإرسالها إلى أهل المدينة، فرواية أبي مخنف تشير إلى أن الذي حمل الرسالة هو النعمان بن بشير الأنصاري، وكانت تحمل في طياتها التهديد والوعيد لمن يخالف الخليفة بينما أشارت رواية أبي معشر أن الذي حمل رسالة يزيد هو مسلم بن عقبة وحملت في ثناياها خطاباً يدل على الرقة واللين والمودة والرجاء من الخليفة إلى أهل المدينة واعداء إياهم بمزايا وعطاءات لم يسبق لأحد أن أخذها من خليفة سابق.

والواقع أن رواية أبي معشر تتناقض بدايتها مع نهايتها ، فهي غير متجانسة وغير موضوعية مقارنة مع رواية أبي مخنف الأقرب إلى الحدث زماناً من أبي معشر.

أما أبو اليقظان النسابة فقد اتفق مع أبي معشر على أن والي المدينة عثمان بن محمد أرسل كتاباً إلى يزيد، واختلف معه في نص الكتاب ومضمونه حيث اتفق مع أبي مخنف في مضمون ما جاء في الكتاب واختلف معه في نصه ، وبحسب رواية أبي اليقظان فقد بدأ الكتاب بالبسملة وبذكر آية من القرآن الكريم "بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال"². وأكمل روايته بالقول "وإني قد لبستكم فأخلفتكم ورفعتمكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأترككم بها أحاديث تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود"³ ولم يشر أبو اليقظان إلى اسم الشخص الذي حمل هذا الكتاب على عكس الإخباريين الذين سبقوه، وقد اتفق مع أبي معشر عندما أشار إلى أن يزيد وليّ مسلم قيادة الجيش وهو يشتكى واتفق أيضاً مع أبي مخنف عندما تناول جزءاً من وصية يزيد "إن حدث بك حدث فاستعمل حصين بن نمير"⁴.

¹الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص185-186.

²ابن عبد ربه، مصدر سابق ، ج5، ص137.

³ابن عبد ربه، مصدر سابق ، ج2، ص137-138.

⁴ابن عبد ربه، مصدر سابق. ج2، ص137-138. خليفة، مصدر سابق ، ص149.

وأشار أبو اليقظان إلى أن يزيد استعد للمعركة حيث "أمر بقبة، فضربت له خارجاً عن قصره وقطع البعوث على أهل الشام فلم يمضِ ثلاثة حتى توافدت الحشود، فتقدم عليهم مسلم بن عقبة المريّ فتوجه إليهم"¹ واتفق مع أبي مخنف الذي أشار إلى أن يزيد ركب فرساً وتقلد سيفاً وتكب قوساً وتصفح الخيل"². أما بقية التفاصيل التي جاء بها أبو مخنف في رواياته فإن أبا اليقظان لم يتطرق إليها بتاتاً.

وقد وردت رواية لوهب بن جرير أشار فيها إلى أن يزيد قطع البعوث على أهل الشام مع مسلم بن عقبة، وفي اليوم الثالث عرض عليه الكتائب، وقال بيتاً ونصف بيت من الشعر الذي ذكره أبو مخنف، وهي رواية تتفق في مضمونها مع بعض ما ذكره أبو مخنف مع اختلاف بسيط في كلمات أبيات الشعر التي جاءت عند البلاذري وعند الطبري، ويبدو أن وهب بن جرير قد نقل روايته عن أبي مخنف واختصرها بطريقته الخاصة، ونسبها لنفسه في إحدى مؤلفاته.

أما الواقدي فقد أورد له المؤرخون أربع روايات تناول فيها تجهيز الحملة العسكرية الأموية وأشار في الرواية الأولى إلى أن يزيد عندما علم بما فعله أهل المدينة بأقاربه قام على الفور ووجه مسلم بن عقبة إليهم في جيش كثيف، وأشار إلى أن مسلم بن عقبة كان في التسعينيات من العمر³.

وتطرق إلى وساطة عبد الله بن جعفر لدى يزيد، وهذا لم يسبق أن ذكره أحد قبله من الإخباريين، وقد أفادت الرواية أن ابن جعفر بذل كل ما في وسعه لكي يجنب أهل المدينة لقاء الجيش الشامي وقال ليزيد: "إنما تقتل بهم نفسك" في إشارة إلى أنهم أقاربه وأبناء قبيلته وأنصار رسول الله (ص) فرد عليه يزيد بالقول "أجل اقتل بهم نفسي"⁴ ولكن يزيد استجاب لطلب عبد الله بن جعفر أخيراً قائلاً له: "أمر مسلم أن يتخذ المدينة طريقاً فإن هم تركوه ولم يعرضوا له ولم ينصبوا الحرب تركهم ومضى إلى ابن الزبير فقاتله وإن هم منعه أن يدخلها ونصبوا له الحرب بدأ بهم فناجزهم القتال فإن ظفر بهم قتل من أشرف له وانهبها ثلاثاً ثم مضى إلى ابن الزبير"⁵.

وينقل الواقدي على لسان عبد الله بن جعفر أنه رأى هذا فرجاً كبيراً، وكتب بذلك إلى أهل المدينة، وأمرهم أن لا يعرضوا لجيشه إذا مر بهم حتى يصلوا إلى مبتغاهم. واختتم

¹ ابن عبد ربه، مصدر سابق. ج5، ص138.

² البلاذري، مصدر سابق. ص240. الطبري، مصدر سابق. ص353.

³ ابن سعد، مصدر سابق، ج6، ص473 (ترجمة عبد الله بن الزبير) ابن عساکر، مصدر سابق، ج57، ص106 (ترجمة مسلمة بن عقبة المري).

⁴ ابن سعد، مصدر سابق. ص473، ابن عساکر، مصدر سابق. ص106.

⁵ ابن سعد، مصدر سابق. ص473.

الواقدي روايته بوصية يزيد لمسلم بن عقبة بالقول "إن حدث بك حدث فحسين بن نمير على الناس"¹.

أما الرواية الثانية فقد اتفقت مع الرواية الأولى في مضمونها، ولكن الواقدي حدد فيها أسماء الرجال الذين خاطبهم عبد الله بن جعفر وهم من قریش "عبد الله بن مطيع وإبراهيم بن نعيم النحام، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة وكان أهل المدينة قد صيروا أمرهم إلى هؤلاء"².

وهذه المعلومات لا يمكن لشخص أن يحصل عليها إلا إذا كان من سكان المدينة كالواقدي إذ يظهر أن له مصادره الخاصة في الحصول على معلومات المدينة، واختلف بشكل كلي مع الإخباريين الذين سبقوه، وبخاصة ما جاء في روايته الثالثة حين أشار إلى أن يزيد قد طلب مشورة من حوله حتى يختار قائداً لهذه المهمة "من رجل له عزم وطاعة؟ فأجمعوا على مسلم بن عقبة المري فبعث إليه"³، وتشير الرواية إلى أن مسلم بن عقبة كان حينها في فلسطين ولم يكن بجوار الخليفة كما ذكر أبو مخنف وأبو معشر وأبو اليقظان "فبعث إليه وكان عاملاً له على فلسطين، فبعثه في الجيوش إلى المدينة"⁴ وهنا لم يتطرق الواقدي إلى الحوار الذي دار بين مسلم ويزيد، ولم يذكر موقف مسلم من قيادة الجيش، بل استرسل في روايته مؤكداً أن يزيد أوصى مسلم قائلاً: "إذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها أن نصب لك حرباً فالسيف السيف، لا تبق منهم، وأجهز على جريحهم، واقتل مدبرهم وإياك أن تبقي عليهم، وإن لم يتعرضوا لك فامض إلى ابن الزبير إمض على بركة الله"⁵.

ويظهر هنا مدى الاختلاف ما بين الإخباريين ورواياتهم إذ لم يذكر مهلة الأيام الثلاثة التي سوف يمنحها لأهل المدينة، ولم يتطرق إلى وصيته بخصوص علي بن الحسين، ولم يذكر أنه راسله كما ذكر أبو مخنف. وتابع الواقدي روايته الرابعة بالقول "فلما لقيهم مسلم بن عقبة بوادي القرى قال مروان لابنه عبد الملك" ادخل عليه لعله يجترئ بك مني"⁶ وهنا اختلف الواقدي مع أبي مخنف الذي ذكر أن مروان طلب من عبد الملك أن يدخل على مسلم خوفاً من حنث اليمين الذي قطعه لأهل المدينة، ويتابع الواقدي روايته مبيناً فيها أن عبد الملك قد أخبر مسلم خبر أهل المدينة وكيف يؤتون ومن أين يدخل عليهم وأين ينزل"⁷.

¹ ابن سعد، مصدر سابق. ص 473.

² ابن سعد، مصدر سابق. ص 473.

³ ابن سعد، مصدر سابق، ج 2، ص 175.

⁴ ابن سعد، مصدر سابق ج 2، ص 175.

⁵ ابن سعد، مصدر سابق ج 2، ص 175.

⁶ أبو العرب، مصدر سابق، ج 2، ص 175.

⁷ ابن عساکر، مصدر سابق، ج 37، ص 127 (ترجمة عبد الملك بن مروان).

ولم يتطرق الواقدي إلى دور النعمان بن بشير كما تناوله أبو مخنف، ولكنه أشار إلى عبد الله بن جعفر وهو من قريش الذي قام بالدور نفسه، وهنا يظهر أن الواقدي قد أخذ معلوماته من مصادر مغايرة كلياً عن مصادر أبي مخنف، حيث أعطت رواياته مجتمعة صورة أوضح لمجريات الأحداث.

ويبدو أن هناك من كتب في إحدى المؤلفات التاريخية عن دور عبد الله بن جعفر، وربما كان ابن جعفر قد كتب ما حصل معه عندما كان عند يزيد في كتاب خاص، ومع مرور الوقت لم يصلنا هذا الكتاب الذي أخذ عنه الواقدي روايته، والتي رويت على لسان عبد الله بن جعفر، والذي يدعم هذا التوجه أن هناك كتاباً خاصاً بابن جعفر، وهو ما نقله صاحب الإمامة والسياسة الذي جاء برواية أكثر شمولية من روايات الواقدي، إذ جاء برواية واحدة شملت تفاصيل ما جرى بين يزيد وعبد الله بن جعفر.

وبدأ صاحب الإمامة والسياسة روايته حيث ذكر أن عبد الله بن جعفر كان ضيفاً عند يزيد حين طرد بني أمية من المدينة، وأكد أن الذي قام بإرسال كتاب بني أمية هو "عثمان بن محمد بعد هدأة الليل، وقد كنت انصرفت من عند يزيد فلم يلبث أن جاءني رسوله فدخلت عليه والشمعة بين يديه وهو مغمض قد حسر عن ذراعيه والكتاب بين يديه فقال: دونك يا أبا جعفر هذا الكتاب فاقرأه"¹.

ويؤكد ابن جعفر القول "فرأيت منه تحريضاً بأهل المدينة وتحريضاً ثم قال: والله لأطأنهم وطأة آتي منها على أنفسهم. قال ابن جعفر: فقلت له إن الله لم يزل يعرف أباك في الرفق خيراً فإن رأيت أن ترفق بهم وتتجاوز عنهم فعلت، فإنما هم أهلك وعشيرتك وإنما تقتل بهم نفسك إذا قتلتهم، قال: اقتل واشفي نفسي، فلم أزل ألح عليه فيهم وأرفقه عليهم وكان لي سامعاً ومطيعاً"².

ويضيف صاحب الإمامة والسياسة أن يزيد قد امتثل لقول ابن جعفر وقبل وساطته ولكن على طريقته الخاصة به، فهو لا يريد أن يظهر أمام أهل المدينة أنه رجل ضعيف ولا يستطيع أن يرسل جيشاً إلى المدينة أو أنه مريض وغير قادر على اتخاذ قرار من هذا النوع، وبخاصة أن ما قام به أهل المدينة من طرد لبني أمية جاء مباشرة بعد عودة وفد أهل المدينة من زيارة يزيد، وكان وقتها مريضاً حسب ما ذكر عوانة عند ابن عساكر. حيث قال يزيد لابن جعفر "إن ابن الزبير الموجود في مكة قد نصب لبني أمية الحرب، ولهذا سوف أبعث إليه الجيوش وأمر صاحب أول جيش أبعثه أن يتخذ المدينة طريقاً وأن لا يقاتل، فإن أقروا بالطاعة ونزعوا عن غيهم وضلالهم فلهم علي عهد الله وميثاقه أن لهم عطاءين في كل عام مالا أفعله بأحد"³.

¹ ابن عساكر، مصدر سابق، ج3، ص126. (ترجمة عبد الملك بن مروان)

² الامامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص167.

³ الامامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص167.

ويتابع صاحب الإمامة والسياسة روايته بالقول إن معاوية سبق وأن أوصى ابنه يزيد بضرب أهل المدينة على يد أعور بني مرة إذا رابه منهم ريب أو انتفضوا عليه، وهو ما يتفق مع ما ذكره أبو معشر في روايته التي نقلها صاحب الإمامة والسياسة في الجزء الثاني من الكتاب نفسه¹، أما الشيء الجديد الذي جاء به في هذه الرواية ولم يذكره أبو معشر فهو موقف مسلم بن عقبة من قيادته للجيش، فقد سبق وأن قال في الرواية التي جاء بها أبو معشر "أنشدك الله أن لا تحرمني من أجر ساقه الله إلي"² بينما أضاف صاحب الإمامة والسياسة على هذا القول "فإني رأيت في النوم شجرة غرق³ تصيح أغصانها يا ثارات عثمان فأقبلت إليها وجعلت الشجرة تقول: إلي يا مسلم بن عقبة فأتيت فأخذتها فعبرت ذلك أن أكون أنا القائم بأمر عثمان والله ماصنعوا إلا أن الله أراد بهم الهلاك فقال يزيد: فسر على بركة الله فأنت صاحبها"⁴.

ويظهر أن واضع هذه الرواية سواء كان صاحب الإمامة والسياسة، أو الذي أخذ عنه أراد القول: إن سبب ضرب أهل المدينة على يد الجيش الشامي الأموي هو بسبب مقتل عثمان بن عفان في المدينة على يد أهلها، وأن بني أمية قد استغلوا هذه الفرصة وأرادوا أن يثاروا لدم عثمان ابن عمهم، وهذا مجاف للحقيقة وربما أن هذه الرواية دست من قبل المناوئين للحكم الأموي الذين شوها تاريخ يزيد ومسلم والجيش الشامي بشكل خاص وتاريخ بني أمية بشكل عام.

توضح الروايات السابقة جميعها كيف حاول يزيد أن يتدارك الأمر، وذكر أبو مخنف وهو المعروف بتشييعه أن يزيد طلب من النعمان بن بشير أن يتوسط لدى أهل المدينة حتى يتراجعوا عن موقفهم، وذكر الواقدي (المتهم بالتشيع) أن يزيد قبل وساطة النعمان بن بشير حتى ينهي الأمر دون سفك الدماء، وذكر صاحب الإمامة والسياسة أيضاً وأبو معشر أن يزيد حاول جاهداً أن ينهي حركة أهل المدينة، وأنه عرض عليهم عطاءات لم يسبق لأحد أن عرضها على شعبه، ولكن كانت نتيجة كل الوساطات الفشل بسبب رفض قادة مقاتلي أهل المدينة ذلك، وإصرارهم على قتال جيش يزيد.

ويكمل صاحب الإمامة روايته أن مسلم عرض الأجناد وتناول أعمار الجند الذين خرجوا معه حيث قال "لم يخرج معه أصغر من عشرين ولا أكبر من خمسين كما تناول وصية يزيد لقائد الجيش "إن حدث بك حدث فأمر الجيش إلى الحصين بن نمير، فانهض باسم الله إلى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقاً إليه فإن صدوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثاً"⁵.

¹ الإمامة والسياسة، مصدر سابق. ج2، ص185-186.

² الإمامة والسياسة، مصدر سابق. ج2، ص185-186.

³ شجرة الغرق: (مفردها غردقة والغردق شجر شائك بالحجاز).

⁴ الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص168.

⁵ الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص168.

وهناك تناقض في هذه الرواية، فصاحب الامامة والسياسة يقول أن مسلم أراد قتل أهل المدينة لأنهم قتلوا عثمان، ثم يأتي على وصية يزيد التي يقول بها "فانهض إلى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقاً"، فكيف ذلك؟ هل توجه الجيش الشامي لقتال ابن الزبير أم أنه ذهب إلى المدينة للأخذ بثأر عثمان؟

وينهي صاحب الإمامة والسياسة روايته بالافتراءات على مسلم حين ذكر أنه قال ليزيد: "أصلح الله الأمير لست بأخذ من كل ما عهدت به إلا حرفين قال يزيد: ما هما؟ قال: أقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصي، فقال يزيد: حسبك، ولكن البيان لا يضرك والتأكد ينفحك فإذا قدمت المدينة، فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك الحرب، فالسيف السيف أجهز على جريحهم، وأقبل على مدبرهم، وإياك أن تبقي عليهم، وإن لم يتعرضوا لك فأمض إلى ابن الزبير"¹.

وهذا القول لمسلم لم يرد في روايات الاخباريين السابقين وسوف يظهر بطلانه عندما نتناول اقتحام المدينة وإنهاء التمرد والثورة ليظهر جلياً كيف تعامل الجنود الشاميون مع أهل المدينة وكيف حافظوا على رباطة جأشهم وعلى كل من لم يرفع السلاح عليهم.

أما المدائني فقد جاء متأخراً بعض الشيء عن الإخباريين السابقين، مما أتاح له الحصول على مادة تاريخية وفيرة يستطيع من خلالها تناول المواضيع بشكل أوسع وأشمل من الذين سبقوه، فقد جاء بأربع روايات تختلف عن بعضها، علماً أنه استقى بعض المعلومات في رواياته من أسلافه الإخباريين السابقين.

وجاءت روايته الأولى تستعرض أحوال بني أمية المطرودين من المدينة، فذكر أن مروان بن الحكم قد عرض على عبد الله بن عمر بن الخطاب أن يضم إليه عياله خوفاً من مكروه قد يلحق بهم، ولكن الأخير رفض ذلك، فعرض الأمر نفسه على علي بن الحسين فوافق على ضم عيال مروان² ويضيف المدائني أن أحد سكان المدينة، ويدعى حريث رقااصه وهو من عامة الناس قد تعرض لنقل مروان، وهنا يظهر مدى الاستهتار الذي لحق بني أمية وهم داخل المدينة، فما كان من ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب إلا إن قامت بضرب حريث، معبرة عن موقفها ورفضها لما آلت إليه أحوال بني أمية³.

وأشار المدائني إلى أن أهل المدينة قد منعوا مروان الصلاة بالناس، وسمحوا له بالصلاة ببني أمية فقط، قبل أن يقوموا بطردهم من المدينة، وقد انزعج أحد أبناء بني زهرة عندما شاهد مصير بني أمية حين قام عبد الرحمن بن أزهر الزهري، وعرض على مروان حمايته من الغوغائيين، ولكن مروان رفض ذلك كي لا يسبب الأذى له، وقد ندم ابن عمر

¹الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص168.

²الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص30.

³الأصفهاني، مصدر سابق، ج1، ص30.

على فعله لأنه لم يناصر بني أمية، وقال عنهم "أنهم قد ظلموا" بعد أن اتبعهم العبيد والصبية والسفلة يرمونهم بالحجارة¹.

وذكر المدائني أن بني أمية قد أرسلوا حبيب بن كره إلى يزيد ، وأن أهل المدينة قد لحقوا بهم، ولحق بهم حريث رقاصة الذي قام بنخس مروان بقضيب كان يحمله، وفر بنو أمية من أمامهم حتى وصلوا إلى منطقة يقال لها ذي خشب².

نستنتج من هذه الرواية مدى القهر والظلم الذي لحق بمروان وبني أمية، فمروان كان والياً على المدينة لفترات طويلة زمن معاوية، ويعد الرجل الأول فيها ويمثل الخليفة والسلطة الشرعية والمركزية، وعندما يصل المرء إلى هذا المنصب ، فإن معظم أهل المدينة يطلبون رضاه وينشدون محبته، فهو اليوم يتعرض من قبل الصبية والسفلة للطرد والإهانة وهذا الأمر ترك في نفسه شيئاً من السخط على من قام بهذا العمل.

وبالنظر في موقف ابنة عاصم وابن الزهري وابن عمر الذي ندم لعدم نصرته بني أمية يتضح أن هناك عائلات وقبائل لم ترض عما حلّ ببني أمية على يد المعارضين من أهل المدينة ، الأمر الذي يفيد أن الجبهة الداخلية في المدينة لم تكن متماسكة ، بل ضعيفة لا تقوى على مواجهة جيش الشام.

أما رواية المدائني الثانية فهي مكملة لروايته الأولى، إذ تناولت الحديث الذي دار بين حبيب بن كره ويزيد بن معاوية، وهي بالمجمل تتفق مع ما ذكره أبو مخنف، ولكن الشيء الجديد في رواية المدائني أن يزيد قد أمر على الناس صخر بن أبي الجهم لقيادة الجيش، وأشار إلى أن الأخير قد مات قبل أن يخرج الجيش، فأمر مسلم بن عقبة، وأشار المدائني إلى أنه يسمى مسرفاً.

واختلف المدائني عن الآخرين عندما تناول الحوار الذي دار بين يزيد بن معاوية ومسلم بن عقبة حين أشار إلى أن مسلم قال ليزيد: "ما كنت مرسلأً أحداً إلى المدينة إلا قصر، وما صاحبهم غيري إني رأيت في منامي شجرة غرقند (كبار العوسج) تصيح على يدي يا مسلم فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول: "أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان"³ وهذا يتفق مع ما ذكره أبو معشر وصاحب الإمامة والسياسة، وقد اختلف الزبير بن بكار مع المدائني في روايته هذه عندما قال أن صخر بن عبيد بن أبي الجهم من أهل المدينة وهو من بني لؤي كان عند يزيد بن معاوية حين خالف أهل المدينة يزيد، وأخرجوا بني أمية فجهز إليهم مسرف بن

¹الأصفهاني، مصدر سابق. ص30-31.

²الأصفهاني، الاغاثي. ص30-31.

³الأصفهاني، الاغاثي، ج1، ص31-33 البستاني (ت354هـ) مصدر سابق ، ص26 دون إسناد.

عقبه فكلمه صخر وثناه عن ذلك بجهده وقال: قومك وعشيرتك، فلم يعرج على كلامه فلم يحضر صخر بن أبي الجهم الحرّة¹.

وهذا يدل على أن الروايات تتناقض ما بين إخباري وآخر، ويفهم من رواية المدائني أن صخر قد وافق على قيادة الجيش إلا أنه مات قبل خروجه، بينما أشارت رواية الزبير إلى معارضة صخر تسيير حملة عسكرية إلى المدينة وحاول ثني يزيد عن ضرب أهله وعشيرته، وأضاف أنه لم يخرج إلى الحرّة ولم يشارك فيها ولم يتطرق إلى أنه توفي أثناء ذلك.

أما الرواية الثالثة للمدائني فقد أشار فيها إلى أن مسلم بن عقبة قد توجه إلى المدينة في اثني عشر ألف رجل، ويقال في سبعة وعشرين ألف رجل (اثني عشر ألف فارس وخمسة عشر ألف راجل)، وأضاف أن الأعطيات التي أخذها الجند مقدارها أربعين ديناراً للرجل² مختلفاً بذلك مع أبي مخنف الذي قال إن عدد الجند اثنا عشر ألف فارس فقط دون أن يذكر وخمسة عشر ألف راجل، ومختلفاً أيضاً في مقدار الأعطيات، إذ ذكر أبو مخنف أن الأعطيات مائة دينار³.

وقد أضاف المدائني شيئاً جديداً في هذه الرواية عندما تناول التشكيلة العسكرية للجيش الأموي، فذكر أنه كان على أهل دمشق عبد الله بن مسعد الفزاري، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السكوني، وعلى أهل الأردن حبيش بن دلجة القيني، وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجذامي أو شريك الكناني، وعلى أهل قنسرين طريف بن الخشخاش الهلالي، وعليهم جميعاً مسلم بن عقبة المريّ الغطفاني⁴، وقد تطرق المدائني في هذه الرواية إلى دور النعمان بن بشير الأنصاري، وأشار إلى أنه أخو عبد الله بن حنظلة لأمه، وقال إن النعمان هو من توجه إلى يزيد قائلاً له: يا أمير المؤمنين وجهني أكفك قال: ليس لهم إلا هذا القسيمة، والله لا أقبلها بعد إحساني إليهم قال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين في عشيرتك وأنصار رسول الله (ص)⁵.

وهنا يظهر التناقض مع ما ذكره أبو مخنف الذي أشار إلى أن يزيد هو الذي طلب من النعمان بن بشير أن يتوسط لديهم حتى يثنيهم عما قاموا به⁶ في إشارة إلى أنه لا يريد إراقة دماء أهل المدينة، وأنه يفضل حل المسألة بطريقة هادئة، بينما رواية المدائني تظهر أن يزيد قد رفض وساطة النعمان، وأصر على أن يرسل الجيش إلى المدينة لقتل أهلها، وهذا اختلاف كبير بين روايات القرن الثاني للهجرة وروايات القرن الثالث.

¹ ابن عساکر، مصدر سابق، ج 23، ص 374.

² ابن عساکر، مصدر سابق، ج 23، ص 24 (ترجمة طريف بن حابس بن خشخاش)

³ انظر للمقارنة البلاذري، مصدر سابق، ج 5، ص 240، رواية أبو مخنف، الطبري، مصدر سابق، ج 3، ص 353 (رواية أبو مخنف).

⁴ ابن عساکر، مصدر سابق، ج 24، ص 478 (ترجمة طريف بن حابس بن خشخاش الهلالي).

⁵ ابن عساکر، مصدر سابق، ص 478.

⁶ انظر للمقارنة، البلاذري، مصدر سابق، ج 5، ص 341 (رواية أبو مخنف).

وتابع المدائني روايته التي تضمنت وساطة عبد الله بن جعفر والحديث الذي دار بينه وبين يزيد متفقاً بذلك مع ما ذكره الواقدي¹ في مضمون أجزاء من الحوار حين قال له: "يا مسلم: إذا دخلت المدينة ولم تصد عنها وسمعوا وأطاعوا فلا تعرض لأحد إلا بخير وامنض إلى الملحد ابن الزبير، وأن صدك عن المدينة فأدعهم ثلاثة أيام، فإن لم يجيبوا فاستعن بالله فقاتلهم" وأضاف المدائني شيئاً جديداً لم يذكره الواقدي ولا صاحب الإمامة والسياسة وهو قوله "فستجدهم أول النهار مرحاً وآخره صبراً سيوفهم بطيخة، فإذا ظهرت عليهم فإن كان بنو أمية قتل منهم أحدٌ فجرد السيف واقتل المدبر واجهز على الجريح وانهبها ثلاث أيام..." ، واتفق مع الواقدي عندما تطرق إلى وصيته بعلي بن الحسين، وأن يحسن معاملته وأضاف "وشاور حصين بن نمير فإن حدث بك حدث فوله أمر الجيش"².

ينهي المدائني روايته الثالثة بشيء جديد أيضاً حين ذكر أسماء القادة العسكريين الذين اعتمد عليهم مسلم بن عقبة حوله على الميمنة والميسرة وعلى الخيل وعلى الرجالة وقال: "فسار مسلم بن عقبة على تعبته على ميمنته عمرو بن محرز الأشجعي، وعلى ميسرته محارب الكلبى، وعلى الخيل وافد الإلهاني، وعلى الرجالة الزبير ابن خزيمة الخثمي"³ ووقف لهم يزيد على فرس حتى مروا ثم انصرف وهو يقول: أبلغ ابا بكر...⁴

أما رواية المدائني الرابعة، فقد نقلها عن أبي مخنف بتفاصيلها، مع اختلاف بعض كلماتها لكنها تحمل الدلالة نفسها، ونسبها لنفسه وحتى أن المداخلة التي ذكرها الطبري للمغيرة أثناء استعراض رواية أبي مخنف، فقد نقل المدائني المداخلة نفسها، ولكن لم يشر إلى أن صاحبها هو المغيرة كما ذكر الطبري علماً أن هذه المداخلة تقول: "وكتب يزيد إلى ابن مرجانه (عبيد الله بن زياد) أن اغز ابن الزبير فقال: لا والله لا أجمعها للفاسق أبداً أقتل ابن بنت رسول الله وأغزو البيت"⁵

وخلاصة القول إن المدائني الذي جاء متأخراً نسبياً عن الإخباريين السابقين قد نقل عنهم بعض رواياتهم وأضاف إليها أشياء لم تكن موجودة في الروايات السابقة، كما أنه طوع بعض ما جاء في الروايات السابقة وجعلها تتماشى مع فكره وأهدافه، وأصبحت كأنها لم تذكر بالسابق إلا عنده.

¹ ابن سعد، مصدر سابق ، ج6، ص473 (ترجمة عبد الله بن الزبير)، ابن عساکر، مصدر سابق ، ج57، ص106 (ترجمة مسلم بن عقبة).

² أنظر ابن عساکر، مصدر سابق ، ج24، ص474-475، الذهبي، سير ، ج3، ص323، الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 61-80هـ) ص25، ابن كثير، مصدر

سابق ، ج5، ص730، ابن تغري، مصدر سابق ، ج1، ص161 (دون اسناد) العالمي الملكي، مصدر سابق ، ج3، ص202.

³ ابن عساکر، مصدر سابق ، ج24، ص474-479 (ترجمة طريف بن حابس).

⁴ الطبري، مصدر سابق ، ج3، ص353. (رواية أبو مخنف).

⁵ أنظر ابن الجوزي، مصدر سابق ، ج6، ص13، نقلاً عن أبو مخنف أنظر للمقارنة البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص340 والطبري، مصدر سابق ، ج3،

ص353.

أما جويريه بن أسماء فلم يتطرق إلى ذكر أي شيء قاله الإخباريون واكتفى بالقول أن مسلم بن عقبة قد توجه إلى المدينة وأخذ يسأل بني أمية المطرودين عن (المدينة) وعن أهلها وأن مروان بن الحكم هو من أرشده وحرصه عليهم مختلفاً بذلك مع أبي مخنف¹ والواقدي² اللذين أشار إلى أن مروان قدّم ابنه عبد الملك ليرشد مسلم، وأخيراً وبعد أن أنهى عبد الملك إرشاده لمسلم دخل مروان عليه.

ويضيف ابن أسماء أن مسلم قد خير بني أمية بين أن يرجعوا معه إلى المدينة، أو يمضوا إلى أمير المؤمنين، فكان ردهم أنهم يريدون المضي إلى أمير المؤمنين باستثناء مروان بن الحكم الذي رجع معه مؤازراً ومعيناً على أهل المدينة³.

وعليه فإن جويرية بن أسماء لم يتناول موقعة الحرّة إلا في رواية واحدة ذكر فيها أبرز عناوين الموقعة بشكل موجز، وأخذ عنه بعض المؤرخين حين اقتطعوا بعض أجزاء روايته ووظفوها في كتاباتهم التاريخية.

أما الدينوري (282هـ/895م) في كتابه الذي حمل عنوان "الأخبار الطوال" فقد تناول موقعة الحرّة، وتجهيز الحملة العسكرية الأموية، وأشار في روايته وبشكل واضح إلى أن يزيد بعث الجيش لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن علم أن أهل تهامة والحجاز قد بايعوه بالخلافة، وذكر أسماء القادة العسكريين الذين تولوا قيادة الجيش الأموي الذي يرأسه مسلم بن عقبة المري وفي ذلك دلالة على أن الدينوري قد استقى روايته من المدائني الذي سبق وأن ذكر أسماءهم.

كما ذكر الدينوري أن يزيد قام بمرافقة الجيش حتى وصل إلى بئر ماء يقال له "وبره" وهي أقرب مياه الشام إلى الحجاز، وهي إشارة لم ترد عند الإخباريين المؤرخين السابقين. واختتم الدينوري روايته بوصية يزيد لمسلم بن عقبة التي تتفق بمجملها مع ما ذكره الإخباريون والمؤرخون السابقون "واجعل طريقك إلى أهل المدينة ..."⁴.

أما اليعقوبي (ت 292هـ/905م) فقد أخذ روايته التي تناولت هذا الموضوع من مصدرين هما: الواقدي والمدائني، وقد أخذ عن الواقدي أن مسلم بن عقبة كان موجوداً في فلسطين⁵ وكان مريضاً فبعث إليه يزيد وأدخله منزله وقص عليه القصة، وأضاف اليعقوبي كلاماً لم يسبق أن ذكره الواقدي، ولا غيره على لسان مسلم بن عقبة حين قال ليزيد: "يا أمير

¹البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص431. الطبري، مصدر سابق، م3، ص345 (رواية أبو مخنف).

²ابن عساکر، مصدر سابق، ج37، ص126 (وترجمة عبد الملك بن مروان).

³ابن سعد، مصدر سابق، ج7، ص43 (ترجمة مروان بن الحكم).

⁴الدينوري، مصدر سابق، ص264-265.

⁵ابو العرب، مصدر سابق، ج2، ص175 (رواية الواقدي).

المؤمنين وجهني إليهم، فوالله لأدعن أسفلها أعلاها يعني مدينة رسول الله (ص)¹ وهذه إضافة وضعت على لسان مسلم من قبل اليعقوبي المعروف بولائه الشيعي.

وقد أورد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314هـ/926م) في كتابه الفتوح أخباراً عن تجهيز الحملة العسكرية الأموية، واتفقت روايته مع ما جاء به الإخباريون، باستثناء ذكره لإسم والي يزيد على المدينة عندما طُرد بنو أمية فهو عنده (عمرو بن سعيد بن العاص) بينما أشار معظم الإخباريين إلى أن والي المدينة حينها كان عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

وذكر أيضاً أن يزيد طلب من الضحاك بن قيس الفهري قيادة الجيش، وأمره أن يسير إلى المدينة ومكة لقتال ابن الزبير، ولكن الضحاك رفض ذلك قائلاً له: "لا والله يا أمير المؤمنين لا أحب أن أكون أول من أراق دم قريش فادع لهذا الأمر غيري"².

ويلاحظ هنا أن أبا مخنف قد أورد مضمون هذه العبارات مختلفاً مع ابن أعثم في أن يزيد طلب من عمرو بن سعيد بن الأشدق أن يسير إلى المدينة فرد عليه "...فإني لا أحب هراقة دماء قريش"³ وأبو مخنف أقرب للحدث زماناً ومكاناً، وروايته أدق من رواية ابن أعثم في هذا الأمر.

ويضيف ابن أعثم الكوفي أن يزيد ترك الضحاك بن قيس، وطلب مسلم بن عقبة وكان وقتئذ شيخاً كبيراً فكلمه يزيد وأمره بالخروج إلى عبد الله بن الزبير. ويضيف ابن أعثم أن مسلم قد اعتذر عن القيام بهذا الواجب متذرعاً أنه رجل كبير، إلا أن يزيد رد عليه قائلاً: لا بد لك من ذلك فإن أبي أوصاك بحفظي من بعده ولا أحد يقوم بذلك سواك، وهذا شيء جديد يتعارض كلياً مع ما ذكره الإخباريون سواء الذين قالوا أن مسلم هو من طلب قيادة الجيش كالمدائني أم الذين أوردوا في رواياتهم موقف مسلم بعدم نصره بني أمية الأذلاء حسب وصفه لهم كما ذكر أبو مخنف وغيره.

أما وصية يزيد لقائد جيشه مسلم فإنها تتفق مع الروايات السابقة حين أوصاه بأن يجعل طريقة على المدينة، فإذا وجد أحداً من بني أمية قد قتل، فعليه أن يدخلها بالسيف وإراقة الدماء فيها ثلاثاً، وإذا لم يجد أحداً مقتولاً فلا يتعرض لهم إلا بكل خير⁴.

أما فيما يخص عدد الجيش فمن الواضح أن ابن أعثم قد اعتمد رواية المدائني، فذكر أن عددهم عشرون ألف فارس وسبعة آلاف رجل، واختلف عن المدائني وغيره بمقدار الأعطيات إذ روى أن يزيد أعطى كل فارس مائتي دينار، وكل رجل مائة دينار، وأمرهم

¹ اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص175 دون اسناد.

² ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص211 دون إسناد.

³ البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص340. الطبري، مصدر سابق، م3، ص353 (رواية أبو مخنف).

⁴ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص211.

بالمسير مع ابن عقبة ورافقهم إلى موقع يقال له البثنية وهذا الموقع لم يذكره أحد من المؤرخين.

وقد نقل ابن أعمش الكوفي أبيات الشعر التي قالها يزيد أثناء استعراض جيشه كما جاءت على لسان أبي مخنف عند الطبري (أبلغ أبا بكر...) ويضيف ابن أعمش أن مسلم سار بجيشه يريد مكة، وعندما اقترب من المدينة لقيه بنو أمية مطرودين من المدينة، فسألهم هل قتل منكم أحدًا فردوا بالنفي، وقالوا: ولكن أخرجنا من المدينة مطرودين فطلب منهم العودة معه حتى يقاتل ابن الزبير وفق ما طلب منه يزيد، ورجع معه بنو أمية، ويضيف أن مسلم نزل والمدينة على يساره، وأنه مضى نحو الساحل لكي يخرج إلى مكة ونزل في بعض المنازل القريبة من المدينة فتطرق عسكريه ووقعة الصيحة فسأل مسلم عن الأمر فقبل له أن سفهاء المدينة خرجوا يتطرقون عسكر الشام، ويريدون الغارة عليه، ولهذا طلب يزيد من جيشه أن يرجع إليهم لكي يؤدبهم، فرجع القوم إلى موقع يقال له حرة واقم¹.

يظهر مدى الاختلاف في رواية ابن أعمش الكوفي عن غيره من المؤرخين، فقد ذكر جوهر بن أسماء أن بني أمية مضوا في طريقهم إلى الخليفة، ولم يرجعوا مع مسلم بينما أشار ابن أعمش إلى أنهم رجعوا معه لقتال ابن الزبير في مكة، ويبدو أن جوهرية كان أقرب للمنطق من ابن أعمش الكوفي إذ إن بني أمية المطرودين من المدينة لم يدافعوا عن أنفسهم عند طردهم، ولم يستطيعوا رد الأذى عن أنفسهم من الصبية وسفلة القوم حسب ما ذكر المدائني، فكيف بهم وهم يحملون متاعهم وأولادهم ونساءهم أن يرافقوا الجيش الشامي المتوجه إلى مكة لقتال ابن الزبير، ثم هل كان معهم السلاح من أجل ذلك؟ لذا فمن المنطقي أن لا يرجعوا إلى المدينة أو إلى مكة للقتال، لأنهم مهزومون نفسياً ومادياً، ورواية ابن أسماء أقرب للمنطق.

أما بقية رواية ابن أعمش فلم يذكرها أحد غيره من الإخباريين وهي تتوافق مع وصية يزيد لقائد جيشه، إذ لم يجد أحداً من بني أمية قد قتل، ولهذا فإن مسلم بن عقبة المخلص ليزيد ولمعاوية من قبله أدرك أنه لا يوجد مبرر لضرب المدينة لولا تحرش بعض رجال المدينة بالجيش الشامي ومسلم في هذه الحالة لا يريد أن يظهر بالرجل الضعيف، فلماذا قام بضربهم بعد أن أنذرهم ثلاثة حسب وصية يزيد.

أما المسعودي فقد اختلف عن المؤرخين السابقين في تناوله لتجهيز الحملة العسكرية وذكر دون مقدمات أن يزيد سير إلى أهل المدينة الجيوش من أهل الشام بقيادة مسلم بن عقبة المري وقال المسعودي: أن مسلم أخاف مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسماها ننتة، وأن الرسول قد سبق وأن سماها طيبة، في إشارة إلى وجود نقيضين في التسمية ما بين رسول الله

¹ ابن أعمش الكوفي، مصدر سابق، ص 111-112.

(صلى الله عليه وسلم) ومسلم وقد قام المسعودي بلعن مسلم ووصفه (بمجرم ومسرف)، وتابع المسعودي روايته التي أخذها عن أبي مخنف بذكر جزء من أبيات الشعر التي وردت عند الطبري والبلاذري أبلغ أبا بكر...

ولم يكتف المسعودي بلعن مسلم ووصفه بالمجرم والمسرف، بل قال أبياتاً ونسبها إلى يزيد ثم أرسلت إلى عبد الله بن الزبير وهي الأبيات نفسها التي ذكرها البلاذري، ولكن الجديد فيها أنه حرّف بعض كلماتها فجاءت لتدل على أن يزيد قد تحدى الله عز وجل بجيشه حين خاطب ابن الزبير قائلاً:

أدعو إليك رجال عكّ وأشعر	إدعُ إلهك في السماء فإنني
فاحتلّ لنفسك قبل أتى العسكر ¹	كيف النجاة أبا حبيب منهم
	بينما وردت عند البلاذري بصيغة "يقال"
أدعو إليك رجال عكّ وأشعر	استعد ربك في السماء فإنني
وجدام تقدمها كتائب حمير	ورجال كلب والسكون ولخمها
فاحتلّ لنفسك قبل أتى العسكر ²	كيف النجاة أبا حبيب منهم

وكلمة استعد تدل على العداء، أي أن يزيد قال لابن الزبير أنك اعتديت واستعديت على حقوق الله بأن خرجت على الخليفة ولهذا فإنني سوف أرسل إليك أبناء القبائل التي وردت في أبيات الشعر لكي تقااتك لأنك خرجت عن شرع الله.

وهكذا وبعد دراسة الروايات التي تناولت استعدادات يزيد بن معاوية لمواجهة ما قام به أهل المدينة، وقيامه بتجهيز الحملة العسكرية التي توجهت إلى الحجاز، يظهر بشكل جلي أن معظم الإخباريين والمؤرخين الذين تناولوا في رواياتهم ومؤلفاتهم التاريخية هذا الأمر إما أن يكونوا من الشيعة، أو أنهم متهمون بالتشيع، وعلى الرغم من ذلك فقد اختلفت وجهات نظرهم في كيفية استعدادات يزيد، وتجهيز الحملة العسكرية منذ أن توارد إلى مسامعه ما قام به أهل المدينة، فهناك من حاول أن يصور لنا يزيد لحظة سماعه خبرهم بأنه رجل انفعالي متهور يتخذ القرارات التي ينقصها الحكمة والدراسة والمعرفة حين أشاروا إلى أنه جهز جيشاً قوياً لضرب أهل المدينة، بينما رأى قسم آخر منهم عكس ذلك وأكدوا أن يزيد قد انزعج من تصرف بعض رجال أهل المدينة تجاه أقاربه وعشيرته ومن والاهم، وأراد أن يؤدب من قام بهذا العمل³، ولكنه قبل الوساطات التي عرضت عليه لإنهاء هذا الموضوع بشكل ودي بعيداً

¹ المسعودي، المروج، ج3، ص79-80.

² البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص341 (يقال)

³ طقوش، محمد سهيل، التاريخ الإسلامي الوجيه، بيروت: دار النفائس، 2002، ص119.

بعيداً عن القوة، بل ذهب قسم من مؤرخي الشيعة ليؤكدوا أن يزيد هو من بادر لإرسال الوسايط، وأنه عرض على أهل المدينة عروضاً سخية لم يسبق أن عرضها خليفة قبله، تتمثل بأن يعطي أهل المدينة عطاءين صيفاً وشتاءً، وأن يجعل سعر الحنطة عندهم كما هي في بلاد الشام، وأن يرد اليهم جميع الأعطيات التي منعت عنهم فترة خلافة والده معاوية. ويلحظ أيضاً أن الأخباريين والمؤرخين اختلفوا حول تجهيز الجيش الموجه للحجاز، فقد أشار قسم منهم إلى أن يزيد أرسل جيشه لقتال ابن الزبير في مكة وأوصى قائد جيشه أن يمر بطريقه إلى المدينة، فإن رأى أهل المدينة قد نصبوا له العداً أمرهم أن يدعوا الناس ثلاثة أيام حتى يرجعوا عن غيهم، بينما أشار قسم من المؤرخين إلى أن يزيد قد وجه جيشه لقتال أهل المدينة مباشرة دون أن يذكروا وصيته لقائد جيشه التي تتضمن أن يعطي الناس مهلة ثلاثة أيام، وأن لا يتعرض للحسين بن علي الذي راسل يزيد بن معاوية مؤكداً له أنه في حل وبراءة مما قام به أهل المدينة.

والملاحظ أن هناك مبالغت بين الإخباريين والمؤرخين في حديثهم عن عدد الجيش الشامي، فقد ذكر بعضهم أن الجيش تكون من 12 ألف ورأى قسم آخر أن عددهم كان 20 ألفاً، وقيل 30 ألفاً بين راجل وراكب، وربما اعتمد هؤلاء المؤرخون على بعض الأبيات الشعرية التي نسبت ليزيد والتي ذكر فيها أنه مرسل جيشاً لقتال ابن الزبير قوامه 20 ألف مقاتل، في حين أكد المسعودي أن عدد الجيش الشامي هو 5 آلاف مقاتل، وذكر التقسيمة العسكرية لهذا الجيش وعدد فرقه الخمس، وذكر اسم البلاد التي انطلقت منها كل فرقة مع ذكره اسم قائدها. واختلف الرواة والإخباريون حول شخصية قائد الجيش، وكيف تم اختياره، فمنهم من ذكر أن مسلم بن عقبة كان الخيار الوحيد للخليفة يزيد كقائد لهذا الجيش، بينما أكد آخرون أن يزيد قد عرض على أكثر من شخص قيادة الجيش ولم يفلح في ذلك، وأخيراً كلف مسلم بن عقبة بهذه المهمة.

وتباينت وجهة نظر الإخباريين أيضاً في تناولها لواقع بني أمية، وهم مطرودون من المدينة وقد تجاهل مؤرخو الشيعة ذكر ذلك، بينما ركز المدائني على تلك الحالة، وصور لنا وضعهم المزري وما لحق بهم من ذل وهوان، وكان هناك تباين بحجم الأعطيات التي منحها يزيد لأفراد الجيش ما بين 40 إلى 100 إلى 200 دينار كي يحثهم على القتال.

وأخيراً نلاحظ أن بعض المؤرخين جاءوا بعبارات قيلت على لسان مسلم بن عقبة لم تذكر عند الإخباريين الأوائل فقد ذكر اليعقوبي أن مسلم قال ليزيد عندما كلفه التوجه إلى الحجاز عبارة: (والله لأدعن أسفلها أعلاها) ،ويقصد بذلك المدينة المنورة، وكذلك المسعودي أيضاً عندما ذكر بعض أبيات الشعر التي نسبها ليزيد أظهره فيها بأنه يتحدى الذات الإلهية وهذا الشيء لم يذكر عند الإخباريين الأوائل سواء كانوا من الشيعة أم من سواهم، ويقصد من

هذا القول التشهير بشخص مسلم وتشويه سمعته وتاريخه وتصويره بأنه مجرم حرب وكافر، وهذا يتماشى مع أفكار وتوجهات المؤرخين الشيعة، الذين يكونون العداء والكره والبغضاء لتاريخ يزيد بشكل خاص وتاريخ بني أمية بشكل عام. وبذلك يكون الجانب المسيئ في الكتابات التاريخية حول الحرة يعود الى الشيعة الذين يكونون الكثير من الكره ليزيد ووالده خاصة لأنهم أحبوا آمال الشيعة في الوصول الى السلطة منذ تنازل الحسن بن علي لمعاوية ومقتل الحسين بن علي في كربلاء، وهي في النهاية منطلقات حزبية .

استعداد أهل المدينة لمواجهة الجيش الشامي

اتخذ أهل المدينة اجراءات ميدانية عدة لمواجهة الجيش الشامي، واختلفت الروايات فيما بينها في ذكر هذه الإجراءات والاستعدادات. وأقدم الروايات التاريخية التي وصلت حول هذا الموضوع هي رواية عوانة بن الحكم (147هـ/764م) حيث اكتفى بذكر أسماء قادة أهل المدينة فقط وقال: "إن عبد الله بن مطيع كان على قریش من أهل المدينة وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ومعقل بن سنان على المهاجرين"¹.

أما روايات أبي مخنف (157هـ/774م) فقد أعطت صورة أكثر وضوحاً من رواية عوانة عندما تناول بعض الإجراءات التي قام بها أهل المدينة، فأشار إلى أن أهل المدينة قد وثبوا على واليهم عثمان بن محمد ومن فيها من بني أمية بالإضافة إلى من عرف بالميل إليهم من قریش، وكانوا زهاء ألف رجل، وحاصروهم في دار مروان بن الحكم، وقد وصف أبو مخنف هذا الحصار بأنه كان حصاراً ضعيفاً نظراً لعدم وصول أخبار من بلاد الشام تشير إلى أن هناك جيشاً قادماً إليهم، ولكن وبعد ورود أخبار الجيش الشامي قام أهل المدينة بتشديد الحصار على بني أمية وقالوا: "لا نكف عنهم حتى يوثقوا لنا بالعهد أنا إذا جلبناهم من المدينة لا يبيغونا غائلة ولا يدلوا لنا على عورة ولم يظهروا علينا أحداً"، ويضيف أبو مخنف أن بني أمية استجابوا لطلب المحاصرين قبل أن يخرجوهم بأثقالهم وأموالهم إلى الشام² ويكمل أبو مخنف روايته التي انفرد بها الطبري "وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان إلى الطائف فمرت بعلي بن الحسين وهو بمال له جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيئاً من أمرهم، فقال لها احلمي ابني عبد الملك معك إلى الطائف فحملته إلى الطائف"³.

وهذه الرواية التي جاءت على لسان أبي مخنف إن صحت لها مدلولها التاريخي والسياسي، فهي توضح مدى العلاقة التي كانت سائدة في مجتمع المدينة بين بني أمية وبيت علي بن أبي طالب، وسوف تظهر لنا الروايات اللاحقة أن علي بن الحسين هو من رد المعروف بمثله عندما قبل وحمل حريم مروان بن الحكم وأطفاله بعد أن رفض عبد الله بن عمر ذلك، مع وجود ملاحظات على هذه الرواية سوف نناقشها عندما نتناول رواية المدائني بهذا الخصوص.

أما الرواية الثانية لأبي مخنف فقد جاءت على النحو التالي: "وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقاً من جانب المدينة، ونزله جمع منهم عظيم وكان عليه عبد الرحمن بن زهير بن عبد

¹ الطبري، مصدر سابق، م3، ص355، الذهبي، سير، ج3، ص322 (دون إسناد)

² البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص339-340، الطبري، مصدر سابق، م3، ص354.

³ الطبري، مصدر سابق، م3، ص354.

عوف ابن عم عبد الرحمن بن عوف الزهري وكان عبد الله بن مطيع على ربيع آخر من جانب المدينة وكان معقل بن سنان الأشجعي على ربيع آخر من جانب المدينة وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً¹.

وهنا يظهر أن أهل المدينة قد حفروا خندقاً، وهذا شيء جديد جاء به أبو مخنف الذي اختلف مع عوانة في ذكر أسماء قادة أهل المدينة حيث أشار عوانة أن التقسيمة العسكرية لأهل المدينة جاءت على أساس قبلي بينما أشار أبو مخنف إلى أن التقسيمة جاءت حسب متطلبات الخندق العسكرية والذي قسم إلى أربعة أقسام. وأشار عوانة إلى أنه كان هناك ثلاثة قادة لأهل المدينة بينما نفى أبو مخنف ذلك مؤكداً أن ابن حنظلة الغسيل هو أمير جميع القادة الموجودين حول الخندق في محاولة منه إلى إظهار أهل المدينة وكأنهم على قلب رجل واحد ولا يوجد بينهم خلاف حول من يقود المعركة، كما أورد البلاذري رواية جاءت بصيغة (يقال) جاء فيها: "إن كل قوم خندقوا على ربعمهم وكان ابن الغسيل وابن مطيع على الأنصار ومعقل على المهاجرين وكان على الموالي يزيد بن هرمز..."².

ويظهر من هذه الرواية أن البلاذري حاول التوفيق بين رواية عوانة التي أكد أن التقسيمة العسكرية جاءت على أساس قبلي، ورواية أبي مخنف الذي أشار فيها إلى أن التقسيمة جاءت حسب المقتضى العسكري للخندق دون أن يشير إلى الدور القبلي، ولكنه أضاف في هذه الرواية أمرين لم يذكرهما أحد من قبل، لم يذكر أن قريش شاركت في الخندق، وأشار إلى أن ابن مطيع وابن الغسيل كانا على الأنصار، ثم إنه أضاف عنصراً آخر في قيادة الخندق وهو يزيد بن هرمز، وهذا لم يذكر سابقاً.

وتابع البلاذري روايته بأبيات من الشعر نسبت إلى موسى الشهوات وهو مولى لبني تميم قائلاً:

لضرباً يسوء ذا النشوات	إن بالخندق المكلل بالمجد
يا مضيع الصلاة للشهوات	لست منا وليس خالك منا
في بلاد الوحوش بالفلوات	برقع الدب وأحمل القرد وأنزل
واتركن الصلاة والجمعات ³	فإذا ما غلبتنا فتنصر

¹ الطبري، مصدر سابق ، م3، ص355 (رواية أبو مخنف)، البلاذري، مصدر سابق ج5، ص342 (قالوا).

² البلاذري، مصدر سابق. ص342، (يقال)

³ البلاذري، مصدر سابق. ص342.

ويظهر من هذه الأبيات أن قائلها يهاجم بها يزيد بن معاوية ولكن جاء الرد على هذه الأبيات من أحد رجال قبيلة كلب المواليين للأمويين حيث قال ليزيد:

أنت منا وليس خالك منا
يا مجيب الصلاة للدعوات¹

واختلف وهب بن جرير عن عوانة وأبي مخنف والبلاذري في تحديد أسماء قادة أهل المدينة، فقد جاءت روايته لتؤكد أن هناك أميرين لأهل المدينة حين قال: "إن ابن عباس سأل عن قادة الثوار وهو بالطائف ف قيل له استعملوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة على الأنصار فقال: أميران؟؟ هلك القوم."²

وأورد المؤرخون روايتين لأبي اليقظان النسابة، الأولى نقلها عن عوانة في تحديد أسماء قادة أهل المدينة وأضاف إليها "...وأخرجوا عثمان بن محمد بن محمد بن أبي سفيان من المدينة ومن كان بها من بني أمية"³.

أما الرواية الثانية فقد نقلها عن وهب بن جرير، وهي قول ابن عباس هلك القوم⁴ ولم يشر المؤرخون إلى أن أبا اليقظان نقل رواياته عن عوانة ووهب بل نسبوا هذه الرواية له. أما جويرية بن أسماء فقد أشار في روايته "...وأخذوا عليهم الأيمان إلا يرجعوا إليهم، وإن قدروا أن يردوا هذا الجيش الذي قد وجهه مسلم بن عقبة أن يفعلوا...."⁵ ويظهر من هذه الرواية أنه اتفق مع أبي مخنف في بعض الإجراءات التي قام بها أهل المدينة لكي يمنعوا الجيش الشامي من الوصول إليهم، ولكنه أضاف شيئاً جديداً لم يذكره أحد من قبل حيث قال: "وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبوا فيه زقاً من قطران وعوروه فأرسل الله السماء فلم يستقوا بدلو، حتى وردوا المدينة فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وبهيئة لم ير مثلها..."⁶

أما الواقدي فقد أورد المؤرخون له ثماني روايات أشار في الأولى إلى بعض قادة أهل المدينة من قريش الذين كتب إليهم عبد الله بن جعفر كتاباً يحذرهم فيه من مغبة التعرض للجيش الشامي ويقول: "فكتب عبد الله بن جعفر إلى ثلاثة نفر من قريش عبد الله بن مطيع وإبراهيم بن نعيم النحام وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أهل المدينة قد صيروا أمرهم

¹البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص342 (رواية المدائني).

²خليفة، مصدر سابق ، ص149.

³خليفة، مصدر سابق، ص148. الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 61-80هـ) ص24.

⁴ابن عبد ربه، مصدر سابق ، ج5، ص137، قارن بينها وبين رواية وهب عند خليفة.

⁵ابن سعد، مصدر سابق ، ج17، ص43 (ترجمة مروان بن الحكم، ابن عساكر، مصدر سابق ، ج57، ص224-260) (ترجمة مروان).

⁶خليفة، مصدر سابق ، ص148-149، الطبري، مصدر سابق ، م3، ص355، ابن عساكر، مصدر سابق ، ج58، ص102 (ترجمة مسلم بن عقبة) ابن الأثير،

الكامل، م4، ص113، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات 61-80هـ) ص24 (وقال غيره).

إلى هؤلاء الثلاثة¹ ويظهر من خلال هذه الرواية أن الوساطة التي قام بها عبد الله بن جعفر إلى قادة أهل المدينة كانت مقتصرة فقط على قادة قريش، ولم يظهر أنه خاطب قادة الأنصار بسبب وجود النعمان بن بشير الأنصاري الذي قام بهذا الدور. وهنا لا بد من التساؤل لماذا خاطب عبد الله بن جعفر ثلاثة أشخاص من قريش وليس شخصاً واحداً يمثلهم؟ وهل كانت قريش منقسمة على نفسها؟

ويجيب الواقدي في روايته الثانية على ذلك حيث يقول: "تنافست قريش أن تجعل منها أميراً وفيهم يؤمئذ ما لا يعد من السن والشرف، عبد الله بن مطيع وإبراهيم بن نعيم ومحمد بن أبي الجهم وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة..."² وأشار في الرواية الثالثة إلى أن قريش أسندوا أمرهم إلى عبد الله بن مطيع فكان الذي قام بهذا الأمر³.

أما الرواية الرابعة للواقدي فقد أخذها عن جويرية بن أسماء وتتضمن تلك الإجراءات التي قام بها أهل المدينة تجاه بني أمية حين أخذوا عليهم العهد والمواثيق بأن لا يدلوا على عوراتهم⁴ وكذلك الأمر في الرواية الخامسة التي أخذها عن أبي مخنف، والتي تتضمن قيام أهل المدينة بحفر الخندق حيث قال: "ولما أيقن أهل المدينة بالجيش تشاوروا بالخندق وقالوا: قد خندق رسول الله (ص) فخذقوا وشكوا المدينة بالبيان من كل نواحيها، وقال عبد الله بن حنظلة: من بايعنا فلبايعنا على الموت..."⁵ واختلف الواقدي بروايته عن أبي مخنف في أمور عدة منها: أن أهل المدينة خندقوا اقتداءً بسنة الرسول (ص) يوم معركة الخندق بالإضافة إلى عدم ذكره أسماء القادة الذين نزلوا الخندق، وذكر أيضاً قول عبد الله بن حنظلة، وطلبه من الناس المبايعه على الموت، وجميع هذه الأمور لم يذكرها أبو مخنف، وهو الأقرب للحدث زماناً من الواقدي.

أما الرواية السادسة فقد أكد الواقدي من خلالها أن الأنصار ولوا أمرهم عبد الله بن حنظلة الغسيل، وذكر أيضاً أن الجيش الشامي قد قدم إلى المدينة وعسكر بحرة واقم، وأضاف في رواية أمراً سبق ذكره، وهو أن ابن الزبير قام بإخراج بني أمية ومواليهم من مكة والمدينة حيث أورد بيتين من الشعر بهذا الخصوص لشاعر يدعى ابن قيس الرقيات حيث قال:

رهِطُ إِبْنَ عَفَانَ وَالْمَسْجِدُ
فَعَسْفَانَ فَالْحَجْرَ الْأَسْوَدُ⁶

لِيَبِكَ الْبَقِيْعَ وَدَوْرَ الْبِلَاطِ
فَمَرَوْهُ فَالْسَنَحَ بِيَكِيهِمْ

¹ ابن سعد، مصدر سابق ، ج7، ص145 (ترجمة عبد الله بن مطيع)

² ابن سعد، مصدر سابق ، ج7، ص145، (ترجمة عبد الله بن مطيع).

³ ابن سعد، مصدر سابق. ج7، ص145.

⁴ ابن عساکر، مصدر سابق ، ج27، ص126 (ترجمة عبد الملك بن مروان)، بينما ذكر ابن سعد في طبقاته هذه الرواية ولكنه لم ينسبها للواقدي بل قال: وذكر غير محمد بن عمر وذكر الرواية راجع الطبقات، ج7، ص222 (ترجمة عبد الملك بن مروان).

⁵ أبو العرب، مصدر سابق ، ج2، ص175-176.

⁶ البيلادري، مصدر سابق ، ج5، ص345-346.

ويتابع الواقدي روايته بالقول: "إن بني أمية خرج منهم أربعة آلاف فيما يزعمون، فلما صاروا بوادي القرى، أمرهم مسلم بالرجوع معه فنفذت من وجوههم إلى يزيد جماعة ورجع سائرهم"¹.

وجاءت الرواية السابعة لتعطينا صورة واضحة عن الدور الحماسي الذي قام به قادة أهل المدينة وتحديداً كل من ابن حنظلة الغسيل وإبراهيم بن نعيم النحام ومحمد بن عمرو بن حزم إذ لبسوا الدروع الحربية، وأخذوا يدخلون إلى المسجد ويخرجون منه إلى الشوارع في حالة استنفار واستعراض عسكري، وعندما علم أحد الصحابة الموجودين هناك ويدعى جابر بن عبد الله بهذا الإستعراض قال: "ستذهب هذه الوقعة بخيار الناس فلا يبقى منهم إلا الغبرات"².

وأخيراً جاءت الرواية الثامنة للواقدي، والتي تعد أكثر الروايات تداولاً بين المؤرخين لتسلط الضوء على عبد الله بن حنظلة ودوره في قيادة أهل المدينة في مواجهة الجيش الشامي، وتقول الرواية "... إن أهل المدينة أجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه، فبايعهم على الموت وقال: اتقوا الله وحده لا شريك له فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرْمى بحجارة من السماء... وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيت إلا المسجد، وما كان يزيد على شربة من سويق يفطر عليها إلى مثلها في الغد يؤتى بها في المسجد يصوم الدهر وما رئي رافعاً إلى السماء أخبثاً، فأخذوا يشتمون مروان ويقولون: الوزع ابن الوزع فقال: إن الشتم ليس بشيء ولكن أصدقوهم اللقاء والله ما صدق قوم قط إلا حازوا النصر بقدرة الله... واستقبل القبلة وقال: اللهم إنا بك واثقون، بك آمنة وعليك توكلنا وإليك ألقانا ظهورنا ثم نزل"³.

أما المدائني فقد وردت له روايتان بهذا الخصوص حيث أشار في الرواية الأولى إلى تلك الإجراءات التي قام بها أهل المدينة من أخذهم العهود والمواثيق على بني أمية بأن يردوا الجيش الشامي إن استطاعوا قبل أن يسمحوا لهم بمغادرة المدينة، وقد سبق لبعض الإخباريين أن ذكر هذا الأمر كجويرية بن أسماء والواقدي ثم المدائني. أما الشيء الجديد الذي ذكره المدائني فهو مناشدة والي المدينة عثمان بن محمد لأهل المدينة بأن لا يخرجوا على الأمير، خوفاً من قدوم الجيش الشامي حيث قال: "أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم، فإن الجنود تأتيكم وتطوكم، واعذر لكم أن لا تخرجوا أميركم أنكم إن ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أيسر

¹ البلاذري، مصدر سابق، ج 5، ص 345-346.

² أبو العرب، مصدر سابق، ج 2، ص 175-176.

³ ابن سعد، مصدر سابق، ج 7، ص 70 (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 27، ص 429-430 (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، الذهبي، سير، ج 3، ص 324 (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، الذهبي، تاريخ، (61-80هـ) ص 27، العاصمي المكي، مصدر سابق، ج 3، ص 202.

شأنى وأقدركم على إخراجي ،وما أقول هذا إلا نظراً لكم أريد به حقن دماكم ولكن أهل المدينة شتموه وشتموا يزيد وقالوا لا نبدأ إلا بك¹.

ويتابع المدائني روايته قائلاً: "فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن إن هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى فضم عيالنا فقال: لست في أمركم وأمر هؤلاء في شيء فقام مروان وهو يقول: قبح الله أمراً وهذا ديناً، ثم أتى علي بن الحسين (عليهما السلام) فسأله أن يقيم أهله وثقله ففعل ووجههم وامراته أم أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعهما ابناه عبد الله ومحمد"².

لقد جاءت رواية المدائني هذه لتتناول طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين بني أمية في المدينة ممثلة بشيخها مروان بن الحكم و علي بن الحسين علماً أن رواية أبي مخنف التي ذكرها الطبري والتي أشار فيها إلى أن عائشة بنت عثمان هي من حملت ابن الحسين بن علي ويدعى عبد الملك بطلب منه إلى الطائف³ بينما جاءت رواية المدائني لتؤكد عكس ذلك وتشير إلى أن مروان هو من طلب من علي بن الحسين أن يقيم أهله وثقله عنده حيث قام علي بتوجيههم إلى الطائف خوفاً من أي أذى قد يلحق بهم. ولكن ما الرواية الأقرب إلى المنطق والواقع: أهي رواية أبي مخنف أم رواية المدائني؟ الواقع يقول إن مكة والطائف وقعتا في حكم ابن الزبير المعارض للحكم الأموي كما أن أهل المدينة قاموا بطرد بني أمية منها، ولهذا فإن استنجد مروان بن الحكم بعلي بن الحسين أقرب للواقع من طلب علي بن الحسين من امرأة مروان وهي بنت عثمان أن يرسل ابنه عبد الملك معها لأن علي بن الحسين وعياله لا يواجهون أي مشكلة مع أهل المدينة حتى وإن رفضوا الإنضمام إليهم في حركتهم ضد يزيد والحكم الأموي، بينما مروان هو الذي يواجه المصاعب ويخاف على عياله ، ولهذا فإن رواية المدائني أقرب للمنطق والحقيقة من رواية أبي مخنف.

ويتابع المدائني روايته ليصور لنا ما لحق بمروان بن الحكم من ذل وهوان جراء تصرف رعا القوم حين قال: "فعرض حريث رقاصة وهو مولى لبني بهز من سليم كان بعض عمال المدينة قطع رجله فكان إذا مشى كأنه يرقص فسمي رقاصة، لتقل مروان وفيه أم عاصم بنت عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فضربته بعضاً كادت تدق عنقه ومضى، وأراد مروان أن يصلي بمن معه فمنعوه وقالوا: لا يصلي والله بالناس أبداً، ولكن إن أراد أن يصلي بأهله فليصل بهم، ومضى وأخرجوا بني أمية"⁴.

¹الأصفهاني، الأغاني، ج 1، ص 29-30.

²الأصفهاني، الأغاني، ج 1، ص 29-30.

³الطبري، مصدر سابق، م 3، ص 354.

⁴الأصفهاني، الأغاني، ج 1، ص 30.

أما الرواية الثانية للمدائني فإنها تحوي ما ذكره كل من عوانة بن الحكم وأبي مخنف وجويرية بن أسماء وأبي اليقظان النسابة، من أن المدائني جاء ببعض الفقرات من روايات الإخباريين المذكورين، وشكل منها رواية خاصة به، وجاءت روايته على النحو التالي: "بعد أن خلع أهل المدينة يزيد قاموا وولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة ثم حاصر القوم من كان بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم"¹.

ويضيف المدائني: "وأقبل مسلم بن عقبة حتى إذا بلغ أهل المدينة إقباله، وثبوا على من معهم من بني أمية فحاصروهم في دار مروان فقالوا: لا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه أن لا تبغونا غائلة، ولا تدلونا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدواً، فأعطوهم العهد على ذلك فأخرجوهم من المدينة، فخرجوا بأنقالتهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى فدعى بعمر بن عثمان..."²

ويتابع المدائني روايته قائلاً "وكانوا قد اتخذوا خندقاً ونزل منهم جماعة، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عوف وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر جنب المدينة، وكان معقل بن سنان الأشجعي على ربع آخر، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً"³.

وأضاف المدائني: "وقيل كان ابن مطيع على قريش وابن حنظلة على الأنصار، ومعقل بن سنان على المهاجرين"⁴، وللحقيقة فإن المدائني في روايته الثانية كان ناقلاً للروايات السابقة، ولم يضيف شيئاً جديداً.

أما الدينوري في كتابه "الأخبار الطوال" فقد جاء برواية عوانة بن الحكم فقط⁵، وأضاف عليها بيتين بن الشعر ذكرهما البلاذري، والتي جاءت بدون إسناد (يقال)⁶ واختلف اليعقوبي عن المؤرخين الآخرين في تناوله استعدادات أهل المدينة فلم يذكر إلا أن كان المدبر لأمر أهل المدينة، والرئيسي في محاربة أهل الشام عبد الله بن حنظلة الغسيل⁷ وأضاف على

¹ ابن الجوزي مصدر سابق، ج6، ص12-14 ابن الأثير، الكامل، م4، ص113، ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص731 (قالوا) قارن ذلك مع رواية أبو اليقظان عند خليفة في تاريخه ص148 وكذلك عند الذهبي في تاريخ الإسلام (61-80هـ) ص24.

² ابن الجوزي، مصدر سابق. ص13، ابن الأثير، الكامل، ص113، ابن كثير، مصدر سابق. ص731 (قالوا)، قارن ذلك مع رواية جويرية بن أسماء عند ابن سعد، ج7، ص43، وابن عساکر، ج57، ص224، عندما تناول شروط أهل المدينة واخذهم العهود على بني أمية لكي يسمحوا لهم بمغادرة المدينة.

³ ابن الجوزي، مصدر سابق. ص13، ابن الأثير، الكامل، ص113، ابن كثير، مصدر سابق. ص731 (قالوا) قارن ذلك مع رواية أبو مخنف عند الطبري، مصدر سابق، م3، ص355 والبلاذري، مصدر سابق، ج5، ص342 (قالوا)

⁴ ابن الجوزي، مصدر سابق. ص13، ابن الأثير، الكامل، ص113، ابن كثير، مصدر سابق. ص731 (قالوا) قارن ذلك مع رواية عوانة بن الحكم عند الطبري، مصدر سابق، م3، ص355، الذهبي، سير، ج3، ص322 (دون اسناد)

⁵ الدينوري، مصدر سابق، ص265، قارن ذلك مع عوانة عند الطبري في تاريخه، م3، ص355، الذهبي، سير، ج3، ص322، دون اسناد.

⁶ انظر، البلاذري، مصدر سابق. ص342 (يقال)

⁷ اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص175 (دون اسناد)

ذلك "وخذق أهل المدينة"¹ وهي دلالة تشير إلى توحد أهل المدينة جميعاً تحت مظلة رجل واحد وهذا الأمر نفاه المؤرخون السابقون.

واتفق أحمد بن أعثم الكوفي مع اليعقوبي في أن المقاتلين من أهل المدينة كانوا تحت قيادة عبد الله بن حنظلة الغسيل، ولكنه أضاف شيئاً لم يسبق أن ذكره أحد قبله وهو "فعباً عبد الله بن حنظلة أصحابه، وجعل على ميمنته يعقوب بن طلحة بن عبيد الله، وعلى مسيرته أبا جهم بن حذيفة العدوي وعلى الجناح عبد الله بن خزيمة بن أبي ثابت الأنصاري"² وهي رواية جديرة بالاهتمام حتى نستطيع أن نتعرف على أسماء القادة الميدانيين الذين كانوا في المعركة، إذ يظهر من خلال هذه الأسماء وجود رجلين من قريش تحت راية عبد الله بن حنظلة الأنصاري وهما يعقوب بن طلحة بن عبيد الله وهو على ميمنته، وأبو جهم بن حذيفة العدوي وكان على مسيرته، فإذا صحت هذه الرواية فمن كان يقاتل خلف عبد الله بن مطيع الذي ولته قريش أمرها؟ وهل كان لخلافات قادة قريش الذين لم يكن منهم من لا يعد من النسب والشرف دور في عدم قتالهم تحت راية عبد الله بن مطيع؟ وهل فضلوا القتال تحت راية عبد الله بن حنظلة الأنصاري؟ فإذا كانت الإجابة على هذه التساؤلات بالإيجاب فهذا دليل واضح على عدم تماسك الجبهة الداخلية للمقاتلين داخل المدينة، وعدم وجود قناعة بقادتهم وهذا ما يفسر هزيمتهم بسرعة فائقة كما سوف نتناوله لاحقاً.

أما صاحب الإمامة والسياسة فقد استقى بعض رواياته عن جويرية بن أسماء والواقدي والمدائني دون أن يشير إلى ذلك، كما أنه أضاف شيئاً جديداً في رواياته حين قال: "وذكر أنه لما قرئ كتاب يزيد إليهم تكلم عبد الله بن مطيع ورجال معه كلاماً قبيحاً فلما استبان لهم أن يزيد باعث الجيش إليهم أجمعوا على خلافهم، واختلفوا في الرئاسة أيهم يقوم بهذا الأمر فقال قائل: ابن مطيع، وقال قائل إبراهيم بن نعيم ثم اجتمع رأيهم أن يقوم أمرهم ابن حنظلة"³.

ويلاحظ هنا أن الخلاف بين أهل المدينة كان خلافاً بين قريش والأنصار حيث إن ابن مطيع وإبراهيم بن نعيم من قريش، وعندما يقول أن رأيهم اجتمع على ابن حنظلة فهذا يدل على أن الخلافات كانت بين قبائل قريش وبين الأنصار، وهذا يتعارض كلياً مع ما ذكره عوانة والواقدي من أن قريش ولت أمرها ابن مطيع⁴.

¹ اليعقوبي، مصدر سابق، ص175.

² ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص212.

³ الامامه والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص167.

⁴ ابن سعد، مصدر سابق، ج7، ص45 (ترجمة عبد الله بن مطيع)، الطبري، مصدر سابق، ج3، ص355، الذهبي، سير، ج3، ص322 (دون اسناد)

ثم يضيف صاحب الإمامة والسياسة قائلاً: "وهرب عثمان بن محمد منهم ليلاً فلحق بالشام، ثم أخذوا مروان بن الحكم وكبراء بني أمية فأخرجوهم من المدينة فقالوا: الشقة بعيدة ولا بد لنا مما يصلحنا، ولنا عيال وصبية، ونحن نريد الشام فقالوا فاستنظروا عشرة أيام فانظروا"¹ وهذا يتعارض مع ما ذكره المدائني الذي أشار فيه إلى أن والي المدينة قد ناشد أهلها بعدم الخروج على يزيد².

وأضاف: "ثم اجتمع رأي أهل المدينة أن يجعلوا كبار بني أمية يقسمون عند منبر رسول الله (ص) لئن لقوا جيش يزيد ليردونهم عنهم إن استطاعوا، فإن لم يستطيعوا مضوا إلى الشام، ولم يرجعوا معهم، فحلفوا لهم على ذلك، وشرطوا عليهم أن يقيموا بذي خشب عشرة أيام³ ويبدو أن هذه الفكرة قد نقلها عن جويرية بن أسماء⁴ ولكن لم يشر إلى ذلك وأضاف قائلاً: "فخرجوا من المدينة فتبعهم الصبيان وسفهاء الناس يرمونهم بالحجارة حتى انتهوا إلى ذي خشب، ولم يتحرك أحد من آل عثمان بن محمد، ولم يخرج من المدينة فلما رأت بنو أمية ما صنع بهم أهل المدينة من إخراجهم منها اجتمعوا على مروان فقالوا: يا أبا عبد الملك ما الرأي؟ قال: من قدر منكم أن يغيب حريمه، فليفعل فإن الخوف على الحرمة، فغيبوا حرمهم، فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك تريد الخروج إلى مكة وتغيب عن هذا الأمر فأحب أن أوجه عيالي معك فقال ابن عمر: أي لا أقدر على مصاحبة النساء، قال: اجعلهم في منزلك مع حرمك، قال: لا آمن أن يدخل على حريمي من أجل مكانكم، فكلم مروان علي بن الحسين فقال: نعم فضم علي إليه وبعث بهم مع عياله"⁵ وهذه الفقرة من الرواية قد أخذت من رواية المدائني، ولكن لم يشر إلى ذلك.

ويتابع صاحب الإمامة والسياسة رواياته التي نقلها عن المدائني بالقول: "ثم ارتحل القوم من ذي خشب على أفبح إخراج يكون، وأسرع خوفاً منهم أن يبذروا القوم في حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك: يا بني إن هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه: وكيف ذلك؟ قال: إذا لم يقتلونا أن يحبسونا فإن بعثوا إلينا بعثاً كنا في أيديهم، وما أخوفني أن يفتنوا لهذا الأمر فيبعثوا في طلبنا فالوحي الوحي النجاة النجاة"⁶.

ثم يضيف في روايته "فلما أيقن أهل المدينة بقدم الجيوش إليهم تشاوروا بالخذق وقالوا: قد خندق رسول الله (ص) فخذقوا المدينة من كل نواحيها"⁷ ثم جمع عبد الله بن حنظلة

¹ الامامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص167.

² انظر للمقارنة الأصفهاني، الاغاثي، ج1، ص29.

³ الامامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص167.

⁴ انظر للمقارنة، ابن سعد، مصدر سابق ت، ج7، ص43، وابن عساکر، مصدر سابق ، ج57، ص224-260.

⁵ الامامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص167-168. قارن ذلك مع رواية المدائني عند الأصفهاني، الاغاثي ، ج1، ص29-30.

⁶ الامامه والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص168 وانظر للمقارنة رواية المدائني عند الأصفهاني، ج1، ص29-30.

⁷ الامامه والسياسة، مصدر سابق. ج2، ص169 وانظر للمقارنة رواية أبو مخنف عند الطبري، م3، ص355 وعند البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص342

(دون اسناد).

أهل المدينة عند المنبر فقال: تبايعوني على الموت وإلا فلا حاجة في بيعتكم فبايعوه على الموت ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما خرجتم غضباً لدينكم فأبأوا إلى الله بلاءً حسناً ليجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل عليكم رضوانه واستعدوا بأحسن عدتكم وتأهبوا بأكمل أهبتكم، فقد أخبرت أن القوم نزلوا بذي خشب ومعهم مروان بن الحكم، والله إن شاء الله مهلكه بنقضه العهود والميثاق عند منبر رسول الله (ص) فتصايح الناس، وأخذوا يسبونهم فقال لهم: إن الشتم ليس بشيء ولكن نصدقهم اللقاء، والله ما صدق قوم قط إلا نصرُوا، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنا بك واثقون وعليك متوكلون وإليك الجأنا ظهورنا ثم نزل، وكان عبد الله بن حنظلة لا يبيت إلا في المسجد الشريف، وكان لا يزيد على شربه من سويق (حنطة يفطر عليها إلى مثلها في الغد)¹

ويظهر أن الرواية التي تتحدث عن الخندق منقولة عن أبي مخنف أما بقية الرواية، فقد نقلت عن الواقدي، وقد اعتمدها العديد من المؤرخين كما هو مثبت في الحاشية.

وهكذا يظهر بشكل واضح أن مؤرخي الشيعة قد أكدوا أن أهل المدينة قد توحدوا تحت قيادة رجل واحد ذاكرين بعض أسماء القادة الميدانيين الذين كانوا تحت قيادة ابن حنظلة الغسيل، في حين خالفهم الرأي معظم المؤرخين الآخرين من غير الشيعة الذين أكدوا أن قيادة أهل المدينة كانت قيادة جماعية تتكون من (قريش والمهاجرين والأنصار والموالي) وليست تحت قيادة رجل واحد، وأن هناك خلافاً كبيراً على رئاسة تلك القيادة، ويجب أن نشير هنا إلى أن الواقدي قد انحاز إلى هذا التوجه، وأكد أن هؤلاء القادة كانوا لا يعدون من كبار القوم أو من ذوي الشرف.

وانفق الواقدي مع المدائني عندما أشار إلى التحذيرات التي وصلت قادة أهل المدينة، إذ أشار الأول إلى أن عبد الله بن جعفر قد حذر قادة أهل المدينة من التعرض للجيش الشامي، أما المدائني فقد أشار إلى أن والي أهل المدينة قد ناشد الناس عدم التعرض للجيش.

¹الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص170 وانظر للمقارنة رواية الواقدي عند كل من ابن سعد، مصدر سابق، ج7، ص70، ابن عساکر، مصدر سابق، ج27، ص429-430. الذهبي، سير، ج3، ص324. الذهبي، تاريخ (60-81هـ) ص27، العاصمي المكي، مصدر سابق، ج3، ص202.

أما الإجراءات الميدانية التي اتخذها أهل المدينة لمواجهة الجيش الشامي، فقد ذكر مؤرخو الشيعة كأبي مخنف أن أهل المدينة قد حفروا خندقاً اقتداءً بسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم الخندق في إشارة منه إلى أن الذين حاصروا أهل المدينة يتشبهون بالذين حاصروا الرسول ومن معه، وأشار بعضهم إلى أن أهل المدينة قد عطلوا الآبار الواقعة بين المدينة وبلاد الشام.

افتحام المدينة وإنهاء الثورة

تعد روايات عوانة بن الحكم من أقدم الروايات التاريخية التي وصلتنا في تناولها لمجريات القتال ما بين الجيش الشامي ومقاتلي أهل المدينة، إذ قدّم وصفاً موجزاً لما دار بين الطرفين.

بدأ عوانة روايته بالوقوف على حالة مسلم بن عقبة الصحية، وخوفاً من أن تؤثر صحته المعلولة على معنويات جيشه قبل بدء القتال، ولكي يشد من أزرهم، أمر جنوده أن يضعوا له سريراً بين الصفيين ثم قال: "يا أهل الشام قاتلوا عن أميركم أو دعوا، ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لربع من تلك الأرباع إلا هزموه ولا يقاتلون إلا قليلاً حتى تولوا"¹

ويظهر من خلال رواية عوانة أن مسلم بن عقبة أدرك أن رأس الحرب لمقاتلي أهل المدينة هو عبد الله بن حنظلة ولهذا فقد أمر مقاتليه أن يشنوا هجوماً كاسحاً عليه لكي يشنت جمعهم ويحقق النصر بأسرع وقت ممكن وبأقل الخسائر"² وأن مقاتلي أهل المدينة لم يكونوا جميعاً متحمسين للقتال كما أنهم انتقدوا إلى التنظيم العسكري، ولم يلتزم كل منهم مع قائده في الميدان، وهذا أدى بالضرورة إلى انهيار جبهتهم الداخلية أمام قوة الجيش الشامي، المنظم والمدرّب على القتال.

كما نقل عوانة في روايته صورة أخرى لواحد من قادة أهل المدينة وهو الفضل بن العباس الذي بذل جهداً كبيراً في القضاء على قائد الجيش الشامي حين "حمل الفضل بن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريدون مسلم بن عقبة ومسلم على سرير مريض فقال: احملوني فضعوني في الصف فوضعه بعدما حملوه أمام فسطاطه في الصف وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه على اولئك حتى انتهى إلى السرير وكان الفضل أحمرأ فلما رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه: إن العبد الأحمر قاتلي، فأين أنتم يا بني الحرائر؟ أشجروه بالرماح، فوثبوا عليه فطعنوه حتى سقط"³.

وأكد عوانة في رواية أخرى له أن مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسي ويحمله

الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل منشداً:

يَوْمَ الْهَبَاتَيْنِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَةِ
وَرُمُّهُ لِلْوَالِدَاتِ مُتَكَلَّةً
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ⁴

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ
كُلُّ الْمُلُوكِ عِنْدَهُ مَغْرِبَلَةٌ
لَا يَلْبِثُ الْقَتِيلُ حَتَّى يَجْدَلَهُ

¹ الطبري، مصدر سابق ، م3، ص356.

² الطبري ، مصدر سابق. ص356، قارن مع البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص344 (يقال)

³ الطبري، مصدر سابق. ص356، قارن مع البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص344 (يقال)

⁴ الطبري، مصدر سابق. ص357.

أما أبو مخنف، فقد كانت رواياته أكثر عمقاً وشمولية من روايات عوانة، وقبل أن يبدأ حديثه بالدخول في تفاصيل الهجوم العسكري الشامي على مقاتلي أهل المدينة، أورد لنا ذلك اللقاء الذي جمع بين بني أمية المطرودين من المدينة وبين الجيش الشامي، فقد طلب مسلم بن عقبة من عمرو بن عثمان بن عفان أن يخبره عن أوضاع أهل المدينة حتى يكون عارفاً أحوالهم قبل أن يتوجه إليهم، ولكنه فوجئ بموقف ابن عثمان عندما رفض الإفصاح عن أية معلومات تخص مقاتلي أهل المدينة متذرعاً بأنهم أخذوا عليه العهود والمواثيق، فانزعج مسلم من هذا الموقف وغضب منه قائلاً: "والله لولا أنك ابن عثمان لضربت عنقك، وأيم والله لا أقبلها قريشاً بعدك"¹ وقد أبلغ عمرو بن عثمان بني أمية ما دار بينه وبين مسلم، ولهذا تدارك الأمر مروان بن الحكم حين طلب من ابنه عبد الملك أن يدخل على مسلم ليخبره خبر أهل المدينة، وكيف يؤتون، فقدم عبد الملك لمسلم بن عقبة خطة عسكرية يستطيع من خلالها أن يسيطر على مقاتلي أهل المدينة بأسرع وقت ممكن مستغلاً بذلك عوامل الطقس والبيئة وعنصر المفاجأة لصالح الجيش الشامي حين قال له: "أرى أن تسير بمن معك فتكبح هذه الطريق إلى المدينة، حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخل بها نزلت، فاستظل الناس في ظله، وأكلوا من صقره، حتى إذا كان الليل أذكيت الحرس الليل كله عقباً بين أهل العسكر، حتى إذا أصبحت صليت بالناس الغداة، ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار، ثم أدت المدينة حتى تأتيهم من قبل الحرّة مشرقاً، ثم تستقبل القوم فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين اكتاف اصحابك فلا تؤذيهم، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرها، ويصيبهم أذاها ويرون ما دتم مشرقين من إئتلاف بيضكم وحرابكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم ما لا ترونه أنتم لشيء من سلاحهم ما داموا مغربين، ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم فإن الله ناصرك، إذا خالفوا الإمام وخرجوا من الجماعة"².

وقد أعجب مسلم بعبد الملك قائلاً له: "الله أبوك أي امرئ ولد إذ ولدك، لقد رأى بك خلفاً"³، وبعد ذلك دخل مروان على مسلم متفاخراً بابنه.

ويضيف أبو مخنف أن مسلم بن عقبة ارتحل من مكانه، ونزل المكان الذي أمره به عبد الملك وتوجه إلى الحرّة من الجهة الشرقية للمدينة. ومن أجل أن ينفذ وصية خليفته يزيد بن معاوية خاطب أهل المدينة "يا أهل المدينة إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل وأنّي أكره إراقة دماكم، وأنّي أوّجلكم ثلاثة فمن، إرعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفتُ عنكم وسرت إلى هذا المُلحد الذي بمكة وأن أبيتكم كنا قد أعذرنا إليكم"⁴.

¹ الطبري، مصدر سابق، م، 3، ص 354.

² الطبري، مصدر سابق م، 3، ص 354.

³ الطبري، مصدر سابق م، 3، ص 354.

⁴ الطبري، مصدر سابق، م، 3، ص 354.

وبعد أن مضت الأيام الثلاثة التي حددها لهم رجع يخاطبهم مرة ثانية لعلمهم قد ارتجعوا عن الرغبة بالقتال، لكنهم أصروا على حربه، ثم دعاهم إلى الانضمام إليه لقتال عبد الله بن الزبير الذي وصفه بالمارق والفاسق، والذي جمع إليه المراق والفساق، ولكنهم رفضوا وأصروا على الدفاع عن مكة وعن ابن الزبير¹.

ومن خلال ما تقدم يظهر جلياً أن مسلم بن عقبة لم يكن يريد قتال أهل المدينة كما زعم بعض المؤرخين، حيث خاطبهم مرتين، وبيّن لهم أنهم أهل الخليفة وأقاربه ورغبتهم في حقن دمائهم، وما عليهم إلا العودة إلى بيوتهم، وأنه تسامح معهم لطردهم بني أمية فلا يريد عقاب أحد منهم فهو يعرف أنهم في حالة انفعالية غير مخطط لها، ولكن جاء ردهم ليؤكد له أن ابن الزبير يقف خلفهم وليظهر له أنهم سوف يقاتلون الجيش الشامي حتى لو لم يرد قتالهم، ولهذا استعد مسلم بن عقبة لقتالهم بعد أن نفذ صبره وقام بتنفيذ وصية يزيد له.

وقد وصف لنا أبو مخنف مجريات القتال الذي دار بين الطرفين فقد صمد مسلم بن عقبة بجميع من معه، فأقبل من قبل الحرّة، حتى ضرب فسطاطاً على طريق الكوفة ثم وجه الخيل إلى ابن الغسيل فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه حتى كشف الخيل حتى انتهوا إلى مسلم بن عقبة فنهض في وجوههم بالرجال فانصرفوا فقاتلوا قتالاً شديداً².

واختلف أبو مخنف مع عوانة بن الحكم في نقل الحالة العسكرية التي كان عليها مقاتلو أهل المدينة، فقد ظهروا في رواية عوانة وكأنهم في حالة من التشتت والفوضى، بينما أظهرت رواية أبي مخنف أن تنسيقاً حصل بين قادة أهل المدينة في مواجهة الجيش الشامي، إذ إن الفضل بن العباس بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله بن حنظلة الغسيل فقاتل في نحو عشرين فارساً قتالاً شديداً حسناً، ثم قال لعبد الله: مر ممن معك فارساً فليأتني، وليقف معي فإذا حملت فليحملوا فوالله لا أنتهي حتى آتي مسلم، فإما أن أقتله وإما أن أقتل دونه، فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار: ناد لي الخيل فلننقف مع الفضل بن العباس، فنأدى فيهم فجمعهم إلى الفضل، فلما اجتمعت الخيل إليه حمل على أهل الشام فانكشفوا، فقال لأصحابه ألا ترونهم كشفاً لئاماً احموا أخرى جعلت فداكم فوالله لئن عاينت أميرهم لأقتلنه أو لأقتلن دونه، إن صبر ساعة معقب سروراً أبداً إنه ليس بصبرنا إلا النصر، ثم حمل وحمل أصحابه معه فانفرجت خيل أهل الشام عن مسلم بن عقبة في خمسين رجلاً جثاء على الركب مشرعي الأسنة نحو القوم، وضرب رأس صاحب الراية وقلق هامته فخر ميتاً وقال له: خذها مني وأنا ابن عبد المطلب، فظن أنه قتل مسلم فقال: قتلت طاغية

¹ الطبري، مصدر سابق. ص355، ابن الأثير، الكامل، م، 4، ص115 (دون إسناده) قارن مع البلاذري، مصدر سابق، ج، 5، ص343 (قالوا).

² الطبري، مصدر سابق. م، 3، ص355.

القوم ورب الكعبة، فقال مسلم: أخطأت إسنك الحفرة، وإنما كان ذلك غلام له يقال له رومي وكان شجاعاً¹.

وقد نقل لنا أبو مخنف أيضاً دور مسلم بن عقبة في قيادة المعركة ومخاطبته لجنده وحثهم على القتال، وكيف استطاع أن يوجه قادة جنوده أثناء المعركة من أجل سد كل الثغرات التي وجدت أثناء القتال رافعاً من معنوياتهم وشاداً من إزرهم حيث صنع نصراً ساحقاً على مقاتلي أهل المدينة وجاءت رواية أبي مخنف لتصف لنا حال الجبهة الشامية في المعركة، فقد أكد أن مسلم بن عقبة حمل الراية بعد أن قُتل الغلام الذي كان يحملها على يد الفضل بن العباس وخطب بالجيش الشامي قائلاً: "يا أهل الشام أهدأ القتال قتال قوم يريدون أن يدافعوا فيه عن دينهم وأن يعزوا به نصره أمامهم! قبح الله قتالكم منذ اليوم! ما أوجعه لقلبي وأغيبه لنفسي، أما والله ما جزأؤكم عليه إلا تحرموا من العطاء وأن تجمروا من أقاصي الثغور"².

ويضيف "ثم إن خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله بن حنظلة الغسيل ورجاله بعده حتى دنوا منه وركب مسلم بن عقبة فرساً له، فأخذ يسير في أهل الشام ويحرضهم ويقول لهم: يا أهل الشام إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابهم وأنسابهم ولا أكثرها عدداً، ولا أوسعها بلداً ولم يخصصكم الله بالذي خصكم به من النصر على عدوكم وحسن المنزلة عند أئمتكم إلا بطاعتكم واستقامتكم، وأن هؤلاء القوم وأشباهم من العرب غيروا فغير الله بهم فتموا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفتح"³.

وبعد ذلك قام بشن هجوم كاسح على عبد الله بن الغسيل حيث أمر الخيل أن تقدم على ابن الغسيل وأصحابه، فأخذت الخيل إذا ثارت على الرجال ثاروا في وجوها بالرماح والسيوف ففرت وذعرت واحجمت فنادى فيهم مسلم بن عقبة: يا أهل الشام ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم يا حصين بن نمير أنزل في جندك فنزل في أهل حمص، فمشى إليهم فلما رأهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن الغسيل الذي قام في أصحابه فقال: يا هؤلاء إن عدوكم قد أصابوا وجهة القتال الذي كان ينبغي أن تقاتلوهم به، وأنني ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم، أما لكم وأما عليكم، أما أنكم أهل البصيرة ودار الهجرة والله ما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم، ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أن لكل امرئ منكم ميتة هو ميت بها والله ما من ميتة أفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله فاغتموها فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها ثم مشى برأيته غير بعيدة ثم وقف⁴.

¹ الطبري، مصدر سابق، م3، ص355.

² الطبري، مصدر سابق، ص355، ابن الأثير، الكامل، م4، ص115-116 (دون اسناد) العاصمي المكي، مصدر سابق، ج3، ص203. البلاذري، مصدر سابق، ص343 (قالوا)

³ الطبري، مصدر سابق، ص355.

⁴ الطبري، مصدر سابق، ص356، قارن البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص344 (قالوا)

ويختتم أبو مخنف رواياته بنقل الفصل الأخير من المعركة حيث أورد فيها الأوامر العسكرية التي أمر بها مسلم بن عقبة لعبد الله بن عضاة الأشعري قائد فرق الرماة بالإجهاز على ابن حنظلة الغسيل، كما أورد في روايته الخطاب الأخير لابن حنظلة في جنده قبل أن يقتل في المعركة مع أبنائه، وكيف يقضي على آخر المقاتلين من أهل المدينة حين قال: "وأمر مسلم بن عقبة عبد الله بن عضاة الأشعري فمشى في خمسمائة رام حتى دنوا من ابن الغسيل وأصحابه فأخذوا ينضحونهم بالنبل، فقال ابن الغسيل: علام تستهدفون! من أراد التعجل إلى الجنة فليلزم هذه الراية، فقام إليه كل مستميت فقال: الغدو إلى ربكم فوالله أني لأرجو أن تكونوا من ساعة قريري العين، فنهض القوم بعضهم إلى بعض فاقتتلوا أشد قتال رأي في ذلك الزمان، ولم تزد عن ساعة من نهار، ثم أخذ يقدم بنيه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه، وابن الغسيل يضرب بسيفه ويقول:

بعداً لمن رام الفساد وطغى
وجانب الحق وآيات الهدى

لا يُبعد الرحمن إلا من عصا¹

وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل، فلما انهزم الناس مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمة فذهب فيمن ذهب من الناس².

أما جويرية بن أسماء فقد كانت روايته أقل عمقاً من رواية أبي مخنف واختلف معه في أمور عدة أثناء تناوله لمجريات القتال حيث بدأ روايته بالقول: "وخرج أهل المدينة بجموع وبهيئة لم ير مثلاً، حتى هابهم أهل الشام وكرهوا قتالهم"³ كما اتفق ابن أسماء مع عوانة عندما تناول أولى الخطوات العسكرية التي قام بها مسلم عندما أمر بقتالهم⁴

أما تعليقه لهزيمة أهل المدينة بهذه السرعة، فقد أشار في روايته إلى أمرين مهمين الأول: الدور الذي قام به بنو حارثة وهم من أهل المدينة عندما أدخلوا فرسان أهل الشام إلى المدينة من جهتهم، والثاني هو أن قائد أهل المدينة عبد الله بن حنظلة كان أثناء المعركة نائماً، وهي إشارة من ابن أسماء يريد منها القول إن أهل المدينة لم يكن لهم قائد ميداني يحركهم ويشرف على قتالهم، أثناء المعركة، وقال: "فسمع الناس التكبير خلفهم في جوف المدينة وأقم عليهم بنو حارثة أهل الشام، وهم على الجد فانهمز الناس، وعبد الله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيه يغط نوماً، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع أمر أكبر بنيه فتقدم حتى قتل فلم يزل

¹ الطبري، مصدر سابق. ص356، ابن الأثير، مصدر سابق. ص116-117 (دون اسناد) قارن البلاذري، مصدر سابق. ج5، ص344.

² الطبري، مصدر سابق. ص357، قارن البلاذري، مصدر سابق. ج5، ص445 (قالوا)

³ خليفة، مصدر سابق خ، ص149، الطبري، مصدر سابق، م3، ص359، ابن عساكر، مصدر سابق، ج11، ص436 (ترجمة الحارث بن عبد الله بن حنظلة)،
وج27، ص433 (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات61-80هـ) ص26، ابن كثير، البداية، ج5، ص733.

⁴ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات61-80هـ)، ص26.

يقومهم واحداً واحداً حتى أتى على آخرهم ثم كسر جفن سيفه وقاتل حتى قتل ودخل مسلم...¹.

وقد عزا ابن أسماء عدد القتلى الكبير الذي وقع لأهل المدينة بسبب وجود الخندق الذي حفروه وذكر أن من قتل بسبب الخندق كان أكثر ممن كان قد قتل على يد الجيش الشامي².

ويفهم من رواية جويرية بن أسماء أن أهل المدينة خرجوا بحالة انفعالية وعاطفية لقتال الجيش الشامي، وقد كانوا بجموع كبيرة جداً، حيث تجاوزوا الخندق الذي حفروه لصد الجيش الشامي وأصبح الخندق خلفهم من جهة المدينة، وعندما سمعوا تكبير الجيش الشامي داخل المدينة خافوا على نسائهم وأولادهم وممتلكاتهم فأسرع كل منهم قاصداً بيته ليطمئن عليه وحصل تدافع أثناء اجتياز الخندق، فتساقط الناس فوق بعضهم البعض، ما أدى إلى وقوع عدد كبير من القتلى في صفوفهم.

أما أبو اليقظان النسابة فقد نقل رواية جويرية بن أسماء بالنص والحرف، ولم يصف عليها شيئاً وقد أوردها ابن عبد ربه في العقد الفريد³ ونسبها إلى أبي اليقظان، علماً أن جميع المؤرخين الذين اعتمدوا الرواية السابقة نسبوها لجويرية، ولم ينسبها أحد إلى أبي اليقظان باستثناء ابن عبد ربه.

أما الواقدي فقد أفاض في رواياته عندما تناول اقتحام المدينة والقضاء على مقاتلي أهلها، حيث بدأ رواياته مسلطاً الضوء على يزيد بن هرمز قائد الموالي يوم الحرّة حيث ذكر: "كان يزيد بن هرمز في موضع ذناب إلى موضع النعم، ومعه الموالي وهو أميرهم ومعه رايتهم وقد صف أصحابه كراديس بعضهم خلف بعض إلى رأس الثنية، فأقبل كردوس لأهل الشام نحوهم فألفوا ناحية ناجية خشية من النبل والحجارة وكان معهم خمسمائة رام فنحوهم فلم يكونوا يطيقون تلك الناحية، فبينما هم كذلك إذ جاءهم الخبر بأن القوم قد دخلوا ناحية بني حارثة"⁴.

وأضاف الواقدي أن قائد الفرقة الشامية التي كانت تقاوم فرقة الموالي (ويُدعى مسروق) حاول جاهداً أن يوقف القتال طالباً من يزيد بن هرمز أن يسحب جنوده خوفاً على سلامتهم، وحتى لا يقع عدد كبير من القتلى، وحاول إقناعه بأن الجيش الشامي دخل المدينة من ناحية بني حارثة، وأن المعركة قد حسمت لصالح الشاميين، وعرض عليه الأمان بعهد الله وميثاقه له ولجنوده وطلب منه أن يغادر الموقع إلى حيث شاء إلا أن ابن هرمز رفض العرض⁵ وهذا

¹الذهبي، تاريخ، مصدر سابق، (حوادث ووفيات 61-80هـ)، ص26. المصدر السابق.

²الطبري، مصدر سابق، ص359، ابن عساکر، مصدر سابق، ج58، ص102، (ترجمة مسلم بن عقبة)، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص118 (دون اسناد) العاصمي المكي، مصدر سابق، ج3، ص203.

³ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج5، ص138.

⁴أبو العرب، مصدر سابق، ج2، ص176.

⁵أبو العرب، مصدر سابق، ج2، ص176.

يدل دلالة واضحة أن قادة الجيش الشامي لم يكونوا متعطشين لسفك دماء أهل المدينة كما يدعي بعض الإخباريين والمؤرخين، بل بذلوا كل جهد حتى لا يحصل قتال بين الطرفين، لأن وجهتهم العسكرية لم تكن أصلاً لأهل المدينة، بل كان إعدادها إلى مكة لقتال ابن الزبير، العقل المدبر لخروج أهل المدينة على يزيد.

ويتابع الواقدي روايته بالقول: "فبينما هم كذلك إذا بأهل الشام قد جاؤوهم من قبل بني أشهل، قد عبروا الخندق، فانفض الناس واختلفوا وافترقوا وقتل وجوه الناس"¹ وهذا يتعارض مع ما ذكره جويرية بن أسماء وأبو اليقظان من أن دخول الجند الشامي إلى المدينة كان بوساطة بني حارثة إذ يؤكد الواقدي أن دخولهم إلى المدينة كان عبر الخندق من جهة بني أشهل، ويضيف أن مسلم بن عقبة دخل المسجد وبعد أن رأى استعدادات أهل المدينة للقتال طلب من مروان بن الحكم أن ينفذ الوعد الذي أخذه على نفسه من أجل السيطرة على المدينة بفترة قصيرة جداً، حيث سبق وأن وعده مروان أثناء لقاؤهما في وادي القرى أن أمراً معيناً قد أعده داخل المدينة حال قدوم الجيش الشامي إليها، ولكنه لم يفصح لقائد الجيش عن هذا الأمر، فتحرك مروان مباشرة إلى بني حارثة وطلب من أحد رجالها أن يفتح للجيش الشامي طريقاً حتى يدخل إلى المدينة مقابل أن يكتب بذلك إلى أمير المؤمنين حتى يخصه بالعتاء والمكافآت المالية، وبالفعل فتح هذا الرجل طريقاً للجيش الشامي حيث دخل المدينة²، وأخذت الخيل تصول وتجول في طرقاتها تطارد المقاتلين وتفرق جمعهم.

وينهي الواقدي روايته هذه مسلطاً الضوء على قادة أهل المدينة، والأماكن التي كانوا متحصنين فيها فيقول: "فاقتحمتها الخيل فجاء الخبر إلى عبد الله بن حنظلة، فأقبل وكان من ناحية الصواري، وأقبل عبد الله بن مطيع، وكان من ناحية نئاب وأقبل ابن أبي ربيعة وكان من ناحية بطحان فاجتمعوا جميعاً فاقتحم عليهم أهل الشام واقتتلوا حتى عابنوا الموت وكثرهم القوم، وقلوا وتفرقوا فقتلوا في كل ناحية"³.

أما رواية الواقدي الثانية فقد سلطت الضوء على قتال أهل المدينة للجيش الشامي، وأتى برواية منقولة عن أحد مقاتلي المدينة ونصها: "وقعت مع قوم مستميتين عند مسجد بني الأشهل منهم عبد الله بن زيد صاحب رسول الله (ص) وقاتل مسيلمة الكذاب ومع عبد الله بن حنظلة ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وإبراهيم بن قارظ وإبراهيم بن نعيم بن النحام وهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لئن يقتل الرجل مقبلاً خيراً له عن أن يقتل مدبراً قال: فاقتتل الناس ساعة والنساء والصبيان يصيحون على قتلاهم، حتى جاءنا مالا طاقة لنا به

¹ أبو العرب، مصدر سابق. ص 176-177.

² أبو العرب، مصدر سابق. ص 177.

³ أبو العرب، مصدر سابق. ص 177.

وجعل مسلم يقول: من جاء برأس فله كذا وكذا ومن جاء بأسير فله كذا وكذا وجعل يغري قوماً لا دين لهم فقتلونا إلا قليلاً وقتلوا ما لا يحصى ولا يعد...¹

وهذه الرواية تؤكد أيضاً أن مركز القتال كان عند مسجد بني الأشهل، وأن معظم قادة أهل المدينة قد تحصنوا في هذا الموقع، فكيف كان حال بقية المواقع الأخرى؟ ومن كان يديرها ويسند الجنود المقاتلين؟ أنها حالة من الفوضى والارتباك كانت تسود بين مقاتلي أهل المدينة وخيول أهل الشام يلاحقونهم في كل مكان.

وقد جاء الواقدي برواية ثالثة تحدد الفترة الزمنية التي وقع فيها القتال، ويحدد أيضاً فترة انتهائه فهي لم تتجاوز أكثر من ست ساعات منذ بداية المعركة وحتى نهايتها، وتناول أيضاً دور قائد أهل المدينة عبد الله بن حنظلة وكيف قاتل حتى قتل ويشير الواقدي "... وَصَبَحَ القوم المدينة فقاتل أهل المدينة قتالاً شديداً حتى كثُرهم أهل الشام، ودخلت المدينة من النواحي كلها، فلبس عبد الله بن حنظلة يومئذ درعين، وجعل يحض أصحابه على القتال فجعلوا يقاتلون، وقتل الناس فما ترى إلا راية عبد الله بن حنظلة ممسكاً بها مع عصابة من أصحابه وحانت الظهر فقال لمولى له: أحمي ظهري حتى أصلي الظهر أربعاً متمكناً، فلما قضى صلاته قال له مولاه: والله يا أبا عبد الرحمن ما بقي أحد فعلام تقيم؟ ولو أوه قائم ما حوله خمسة فقال: ويحك إنما خرجنا على أن نموت²، ثم انصرف من الصلاة وبه جراحات كثيرة، فقتل السيف ونزع الدرع وليس ساعدين من ديباج ثم حث الناس على القتال، وأهل المدينة كالنعام الشرود، وأهل الشام يقتلونهم في كل وجه، فلما هزم الناس طرح الدرع وما عليه من سلاح وجعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه، ضربه رجل من أهل الشام، ضربة بالسيف فقطع منكبيه حتى بدا سمره ووقع ميتاً³، فجعل مسرف يطوف على فرس له في القتلى ومعه مروان بن الحكم فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماد أصعبه السبابة فقال مروان: أما والله لئن نصبتها ميتاً لطلما نصبتها حياً، ولما قتل عبد الله بن حنظلة لم يكن للناس مقام فانكشفوا في كل وجه⁴". وأكد الواقدي أن من قتل ابن حنظلة الغسيل هما مالك الفزاري وسعد بن الجون⁵.

وقد نقل البلاذري رواية عن الواقدي أشار فيها إلى أن مسلم بن عقبة أكن كميناً بالقرب من منازل بني حارثة، وكان مسلم مريضاً بالنقرس فطلب من جماعته أن يحملوه فحمل على الترس، وطلب من جنوده أن يقاتلوا دفاعاً عنه، وبدأ القتال ثم تفاجأ أهل المدينة بالكمين الذي

¹ أبو العرب، مصدر سابق، ص 177-178.

² ابن سعد، مصدر سابق، ج 7، ص 70 (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، ابن عساکر، مصدر سابق، ج 27، ص 432 (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، أبو العرب، مصدر سابق، ص 179.

³ ابن عساکر، مصدر سابق، ج 27، ص 432-433 (ترجمة عبد الله بن حنظلة)، انظر أيضاً الذهبي، سير، ج 3، ص 324، والذهبي، تاريخ الإسلام (61-80هـ) ص 70، أبو العرب، مصدر سابق، ص 178.

⁴ ابن عساکر، مصدر سابق، ج 27، ص 432-433، انظر أبو العرب، مصدر سابق، ص 180.

⁵ ابن عساکر، مصدر سابق، ج 27، ص 432-433.

نصبه مسلم، فانهزموا وقتل عبد الله بن حنظلة وابن عمرو بن حزم الأنصاري وكان يومها قاضياً لأهل المدينة، وهرب عبد الله بن مطيع من المعركة فلقح بابن الزبير¹. ويمكن القول إن البلاذري قد اقتطع أجزاء من روايات الواقدي وصاغها برواية واحدة حتى جاءت على النحو السابق.

كما أورد الواقدي رواية أشار فيها إلى دور عمرو بن حزم الأنصاري، وجاءت الرواية على لسان ابنه محمد، حيث ذكر أن والده صلى الظهر وهو ينزف دماً من شدة الجراح، ثم عاود القتال مرة أخرى، وكان هدفاً للجيش الشامي، وقتل رمياً بالرماح، وانهزم من بقي يقاتل من أهل المدينة بعد قتله².

وأشار في رواية أخرى إلى أن أحد فرسان الشام رأى فتى صغير السن من أهل المدينة في أرض المعركة فعرض عليه الشامي أن يحمله معه على فرسه خوفاً عليه من القتل، وقد ركب الفتى مع الفارس الشامي فشهد راية من رايات أهل المدينة مازالت قائمة بالقرب من دور بني الأشهل وحولها ابن حنظلة الغسيل ما زال يقاتل فنزل الولد والتحق بالمقاتلين وظل يقاتل حتى قتل³.

ولنقف قليلاً عند هذه الرواية حيث أظهرت أن الجنود الشاميين لم يقتلوا كل شخص وجدوه في المعركة كما وأظهرت أن الفارس الشامي قد حافظ على حياة هذا الفتى خوفاً عليه من أي مكروه يصيبه، وهذا يدل على أن الجنود الشاميين لم يقاتلوا، ولم يقتلوا إلا كل شخص رفع السلاح عليهم⁴.

أما المدائني فقد جاء بثلاث روايات تناولت اقتحام المدينة وانتهاء القتال، والرواية الأولى نقلها عن عوانة بن الحكم عندما أشار إلى دور مسلم بن عقبة في المعركة محرضاً أصحابه على القتال أمراً جنده أن يضعوه على سرير بين الصفيين حتى يقاتلوا عن أميرهم، ثم تناول دور عبد الله بن حنظلة الذي شن هجوماً قوياً على خيل الجيش الشامي في بداية المعركة⁵.

أما الرواية الثانية فقد نقلها عن جويري بن أسماء عندما ذكر أن عبد الله بن حنظلة كان في حالة نعاس يوم الحرّة والناس يقتتلون، وعندما أشرف مقاتلو أهل المدينة على الهزيمة استيقظ ابن الغسيل من النوم، فقاتل حتى قتل هو وبنيه السبعة، وهو يقول "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة"⁶،

¹ البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص346.

² أبو العرب، مصدر سابق. ص178.

³ أبو العرب، مصدر سابق. ص178-179.

⁴ انظر أبو العرب، مصدر سابق، ج2، ص19-180.

⁵ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص14.

⁶ ابن عساکر، مصدر سابق، ج27، ص428 (ترجمة عبد الله بن حنظلة الغسيل).

أما رواية المدائني الثالثة فقد نقلها عن أبي مخنف وتتضمن اللقاء الذي جمع بين مسلم بن عقبة، وبنو أمية المطرودين من المدينة بوادي القرى حين أشار عبد الملك على مسلم أن يأتي المدينة من جهة الحرّة¹.

وتابع المدائني روايته كما ذكرها أبو مخنف، فقد أشار إلى تلك المحاولات التي قام بها مسلم بن عقبة مع أهل المدينة من أجل أن يتجنب الصدام العسكري معهم، وذكر أنه أمهلهم ثلاثة أيام حتى يرتجعوا عن موقفهم مقابل إعطائهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وأن لا يتعرضوا لمسيره إلى ابن الزبير في مكة، لكنهم رفضوا كل محاولاته، وأصرّوا على قتاله² وكانهم يرون أن قتال ابن الزبير في مكة هو قتال لهم في المدينة، وأن هناك وحدة بين مكة والمدينة. ويمكن القول إن المدائني لم يأت بشيء جديد في رواياته، بل أنه نقل عن الإخباريين السابقين رواياتهم ونسبها لنفسه.

وهناك ملاحظة لا بُدّ منها، فقد ذكر أحد المؤرخين في ترجمته لابن حنظلة الغسيل رواية لأحد الإخباريين أشار فيها إلى أن ابن حنظلة الغسيل جمع الناس قبل الحرّة وأخذ يطلب منهم البيعة على الموت، وذكرت الرواية أن الصحابي عبد الله بن زيد بن عاصم المازني رفض أن يبايع أحداً بعد رسول الله (ص) على الموت³ وهي إشارة تعطينا دلالة مفادها أن قسماً كبيراً من صحابة رسول الله (ص) قد رفضوا الاشتراك في هذه المعركة ومبايعة ابن حنظلة الغسيل، ومما يؤكد صحة هذه الرواية تلك الرواية التي وردت عن أحد الإخباريين الأوائل حيث أشار في روايته التي تتكلم عن موقعة الحرّة أن بقايا أصحاب رسول الله (ص) قد هربوا من المدينة⁴ فترة الحرّة خوفاً من الاقتتال، وهذا يؤكد أن من قاتل من أهل المدينة هو عدد محدود من الصحابة.

أما الدينوري (282هـ/895م) فلم يتطرق إلى مجريات الأحداث كبقية الإخباريين والمؤرخين، واكتفى بذكر ما جاء به جويرية بن أسماء من أن الجيش الشامي دخل المدينة من قبل بني حارثة وأخذ يقتل أهل المدينة⁵.

وجاءت رواية ابن أعثم الكوفي (314هـ/926م) لتؤكد أن الجيش الشامي قد اقتحم المدينة وأشار في روايته إلى أن الشاميين وأهل المدينة "اختلطوا واقتتلوا فوقعت الهزيمة على أهل المدينة، ودخل أهل الشام إلى المدينة بالسيف وجعلوا يقتلون كل من يقدر عليهم من صغير أو كبير، ثم وضعوا الغارة على أهل المدينة فأغاروا عليها ثلاثة أيام ولياليها"⁶.

¹ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص14.

² ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص14.

³ ابن عساکر، مصدر سابق، ج27، ص428-429 (ترجمة عبد الله بن حنظلة) رواية عمرو بن يحيى.

⁴ ابن عساکر، مصدر سابق، ج28، ص229 (ترجمة عبد الله بن الزبير) رواية هشام بن عروة.

⁵ الدينوري، مصدر سابق، ص265 (دون إسناد).

⁶ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص213.

وعندما تطرق إلى مسلم بن عقبة المريّ لم ينسَ ابن أعثم الكوفي أن يتناوله بسوء فأكد ما ذكره عوانة أن مسلم أمر بوضع سرير له، ولكن لم يذكر ابن أعثم أن السرير وضع قبل بدء القتال بين الفريقين حتى يعطي دفعة معنوية لجنوده، وإنما "وضع على باب المسجد وكل من أتى به ضرب عنقه"¹.

إن رواية ابن اعثم الكوفي مجزوءة وغير دقيقة ومتحيزة وغير موضوعية، فهو لم يطلع على تلك الروايات التي جاء بها أبو مخنف والواقدي وغيرهم، فعندما تناولوا مجريات الأحداث أعطوا صورة واضحة للقارئ رغم أنهم لم يتحرروا من انتماءاتهم المذهبية ومشاعرهم العاطفية، وبخاصة عند ذكرهم تاريخ بني أمية وتحديداً تاريخ الخليفة يزيد، ولكنهم كانوا أقرب للموضوعية من ابن أعثم وقد نفى الواقدي في إحدى رواياته ما ذكره ابن أعثم عندما أشار إلى أن أحد الفرسان الشاميين قد طلب من أحد الفتيان الصغار أن يركب خلفه على الفرس يوم الحرّة خوفاً على سلامة هذا الفتى من أي مكروه²، فكيف يقول ابن أعثم أن الجيش الشامي أخذوا يقتلون كل من يقدرن عليه من صغير وكبير؟ ولماذا لم يتطرق إلى موقف مسلم بن عقبة عندما خاطب أهل المدينة، وأمهلهم ثلاثة أيام طالباً منهم أن يتراجعوا عن قتاله، وبعد انقضاء الأيام الثلاثة خاطبهم مرة ثانية وهذا ما أكدته روايات أبو مخنف أنفة الذكر³.

ثم إن ابن الأعثم يقول إن أهل الشام دخلوا المدينة بالسيف، ولم يتطرق إلى موقف مقاتلي أهل المدينة الذين أصروا على القتال، ويبدو أنه لم يقرأ رواية الواقدي الذي أشار فيها إلى أن أحد قادة الجيش الشامي ويدعى "مسروق" قد طلب من قائد مجموعة الموالي لأهل المدينة، ويدعى يزيد بن هرمز أن ينسحب بجيشه وله أمان وعهد الله وجاء هذا الطلب بعد أن دخلت خيول الجيش الشامي المدينة⁴، فلو كانت ثقافة الجيش الشامي العسكرية تقوم على سفك الدماء وإراقتها لما طلب مسروق من ابن هرمز أن ينسحب من المعركة، وله الأمان ولما طلب مسلم بن عقبة من أهل المدينة أن لا يقاتلوه بعد أن أعطاهم المهلة ثلاثة أيام.

أما اليعقوبي فإن روايته تختلف بعض الشيء عن الروايات السابقة، فقد أشار إلى قوة وبسالة مقاتلي أهل المدينة الذين قاتلوا قتالاً شديداً⁵ مبيناً أنهم كانوا جميعاً على قلب رجل واحد، وتحت لواء قائد واحد وعندما تطرق إلى هزيمة أهل المدينة بعد دخول الجيش الشامي إليها ذكر أن مروان بن الحكم قد خدع بعض أهلها⁶ دون أن يذكر بني حارثه، ولم يتطرق

¹ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص213.

² أبو العرب، مصدر سابق، ج2، ص178-179 (رواية الواقدي).

³ راجع كل من الطبري، مصدر سابق. ص354 (رواية أبو مخنف) ابن الأثير، الكامل، م4، ص110، البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص343.

⁴ أبو العرب، مصدر سابق، ج2، ص176-177 (رواية الواقدي).

⁵ اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص175 (دون اسناد).

⁶ اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص175.

اليقوبي إلى الروايات السابقة التي جاء بها جميع الإخباريين، بل لم تتعدّ حدود كتاباته سطرًا عن هذا الموضوع في مؤلفه.

تناول المسعودي (346هـ/957م) موضوع اقتحام المدينة واكتفى بالإشارة إلى حدوث وقعة عظيمة قتل بها خلق كثير¹ دون الدخول في تفاصيل الأحداث.

أخيراً جاءت روايات صاحب الإمامة والسياسة لتتناغم مع روايات أبي مخنف والواقدي وغيرهم من الإخباريين، فقد اتفق مع أبي مخنف عندما بدأ بتناول هذا الموضوع منذ أن لقي مسلم بن عقبة بن أمية بوادي القرى، واختلف مع أبي مخنف بذلك إذ أشار أبو مخنف إلى أن مسلم طلب بداية من عمرو بن عثمان أن يخبره خبر الناس فرفض عمرو ذلك، ثم طلب مروان من ابنه عبد الملك أن يدخل على مسلم ليخبره عن أحوال أهل المدينة، فدخل عبد الملك وأخبره ووضع له الخطة العسكرية اللازمة لذلك، بينما أشار صاحب الإمامة والسياسة إلى أن الحديث الذي دار مع مسلم كان مع مروان بن الحكم، فقد طلب مسلم من مروان أن يخبره عنهم فذكر مروان "أن عددهم كثير أكثر مما جئت به من الجيوش، ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر، ولكن لا بقاء لهم مع السيف، وليس لهم كراع ولا سلاح، وقد خندقوا عليهم وحصنوا"²

وأضاف صاحب الإمامة والسياسة أن مسلم قال لمروان "هذه أشدها علينا (يعني الخندق) ولكننا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم خندقهم"³ وقد عارض مروان بن الحكم هذه الخطة حين أخبر مسلم أن الخندق "عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندي فيه وجه سأخبرك به"⁴ في إشارة إلى بني حارثة، وقبل أن يتوجه الجيش الشامي جهة المدينة عرض مسلم على بني أمية إحدى خيارين إما أن يرجعوا معه إلى المدينة، وإما أن يكملوا طريقهم إلى يزيد بن معاوية في الشام، وكان رأيهم مجتمعاً أن يكملوا طريقهم إلى الشام باستثناء مروان بن الحكم وابنه عبد الملك حيث قال لهم مروان "أنا والله ماض مع مسلم إلى المدينة، فمدرك ثأري من عدوي وممن أخرجني من بيتي، وفرق بيني وبين أهلي، وإن قتلت بهم نفسي، وكان عبد الملك مجدوراً فجعله خارج المدينة"⁵

هذه الرواية توضح بعض الأمور المهمة، فهي تشير إلى واقع أهل المدينة، فقد خرجوا لأنهم وقعوا تحت تأثير الخطابات الرنانة التي تحرك العواطف، فليس في قيادتهم

¹ المسعودي، مروج، ج3، ص80 (دون اسناد)

² الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص169.

³ الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص169.

⁴ الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص169.

⁵ الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص169.

كبير ولا صاحب شرف ، لأن هؤلاء اعتزلوا القتال كابن عمر وأبو سعيد الخدري وعلي بن الحسين وإبن الحنفية وغيرهم من سادة المدينة وفقهائها .

وتشير هذه الرواية أيضا إلى أن عدد الجيش الشامي يفوق مقاتلي أهل المدينة الذين لم يشترك جميعهم في القتال ، وهذا يؤكد ما روي عن عبد الله بن مطيع أحد قادة أهل المدينة الذي أكد ان "من كان معنا يوم الحرّة ألفا رجل كلهم نو حفاظ، فما استعظنا أن نحبسهم يوماً إلى آخر الليل"¹.

هذه الرواية يمكن قبولها واعتمادها فعدد المقاتلين من أهل المدينة كان ألفي رجل، وليس كما ذكر أحد المؤرخين حين أورد رواية مفادها أنه كان بالمدينة عشرة آلاف رجل²، وقت الحرّة، وربما كان يريد القول إن سكان المدينة في تلك الفترة عشرة آلاف نسمة، وليس عشرة آلاف رجل.

فإذا كان عدد مقاتلي أهل المدينة ألفي رجل، وأن مروان قال لمسلم أن عددهم أكثر من عدد الجيش الذي جنّت به فكم كان عدد الجيش الشامي؟ هل كان عددهم عشرين ألفاً كما ذكر أبو مخنف في روايته السابقة³ . أو كان اثني عشر ألف فارس كما ذكر البلاذري والطبري على لسان أبي مخنف⁴ أو كان ثلاثين ألفاً كما ذكر أبو معشر في روايته⁵ أو كان سبعة وعشرين ألفاً كما ذكر المدائني⁶. وقد كانت أقل الأرقام تقديراً لعدد الجيش الشامي ما جاء به اليعقوبي⁷ حين ذكر أن عدد الجيش الشامي بقيادة مسلم بن عقبة كان خمسة آلاف مقاتل، والرواية أخذها عن المدائني حين ذكرها أحد المؤرخين نقلاً عن المدائني، وفيها أن عدد الجيش الشامي الذي توجه إلى المدينة لقتال ابن الزبير بلغ خمسة آلاف مقاتل⁸.

ويمكن القول إن عدد مقاتلي أهل المدينة قارب ألفي مقاتل، في حين يمكن اعتماد ما ذكره المدائني أن عدد الجيش الشامي خمسة آلاف، وبخاصة أنه استطاع أن يتناول أسماء قادة الجيش حيث خرجوا من خمسة أقطار، كل قطر خرج منه ألف رجل كما مر ذكره.

أما بقية رواية صاحب الإمامة والسياسة فتذكر أن الجيش الشامي اقترب من المدينة وعسكر بمنطقة يقال لها "الجرف"⁹ ثم قام مسلم بن عقبة بإرسال بعض جنوده للقيام بعملية استطلاع حين وصلوا المدينة، وأخذوا يطوفون حول الخندق دون أن يتكلم أحد منهم، فشهدوا أهل

¹الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج1، ص177.

²الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج1، ص174.

³الطبري، مصدر سابق. ص353 (رواية أبو مخنف).

⁴البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص340، الطبري، مصدر سابق ، م3، ص353 (رواية أبو مخنف).

⁵الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص185-186 (رواية أبو معشر).

⁶ابن عساکر ، مصدر سابق ، ج23، ص24 (ترجمة طريف بن حابس بن خشخاش).

⁷اليعقوبي، مصدر سابق ، ج2، ص175 (دون إسناد).

⁸ابن عساکر ، مصدر سابق ، ج24، ص478.

⁹موقع على ثلاث أميال عن المدينة نحو الشام .

المدينة في حالة استعداد للمعركة وبجهوزية تامة، ويبدو أن أهل المدينة تعرفوا عليهم فأخذوا يرمونهم بالحجارة والنبيل من فوق الهضاب والتلال¹.

وعندها طلب مسلم من مروان أن يفصح له عن خطته التي أخفاها عنه في وادي القرى فخرج مروان حتى جاء بني حارثة، واستطاع أن يقنع أحد رجالها بفتح طريق للخيل "افتح لنا طريقاً، فأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين ومتضمن ذلك عنه شطر ما كان بذل لأهل المدينة من العطاء وتضعيفه"².

وتشير الرواية أن الخيل اقتحمت المدينة فعلم بالخبر ابن حنظلة الغسيل، وكان من ناحية الطورين، فأقبل وأقبل أنصار عبد الله بن مطيع وكان من ناحية ذناب³ كما أقبل ابن أبي ربيعة فاجتمعوا بمن معهم، وقاتلوا جند الشام حتى عاينوا الموت ثم تفرقوا⁴. كما أورد صاحب الإمامة والسياسة رواية الواقدي الثانية التي أشار فيها إلى أن مركز القتال في المدينة كان عند دور بني الأشهل حين اجتمع معظم قادة أهل المدينة هناك، وأخذوا يحثون الناس على القتال من أجل الشهادة⁵.

ثم يكمل بقية رواياته عن اقتحام المدينة متناولاً دور عبد الله بن حنظلة الغسيل ومحمد بن عمرو بن حزم وغيرهم⁶ وجميع هذه الروايات موجودة عند أبي العرب في كتاب المحن. وأضاف صاحب الإمامة والسياسة رواية لم يذكرها الواقدي أو غيره من الإخباريين أن قصر بني حارثة كان أماناً لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه وكان بنو حارثة آمنين، ما قتل منهم أحد وإن كل من نادى باسم الامان إلى أحد من بني حارثة أمنوه رجلاً كان أم امرأة واستمر هذا الحال لمدة ثلاثة أيام⁷.

خلاصة

وهكذا، فقد اختلف الإخباريون والمؤرخون في نقلهم وتدوينهم لمجريات القتال، حيث جاء عوانة بن الحكم أقدم الإخباريين بصورة حية تناولت مجريات القتال بين الفريقين المتقاتلين، ولم يظهر تحيز عند عوانة لجهة ما، مختلفاً بذلك عن أبي مخنف الذي حمل مروان بن الحكم مسؤولية قتل أهل المدينة عندما وضع ابنه عبد الملك الخطة العسكرية لمسلم بن عقبة، وقد أكد هذا التوجه اليعقوبي الذي قال عن مروان أنه غدر بأهل المدينة.

¹الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص170 (قال)

². الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص170.

³ذناب واد لبني مروة بن عوف بن كثير كثير النخيل غزير المياه (معجم 7/3)

⁴ذناب واد لبني مروة بن عوف بن كثير كثير النخيل غزير المياه (معجم 7/3) مصدر سابق.ج2، ص170 .

⁵الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص170 قارن مع رواية الواقدي عند العرب، مصدر سابق. ص177.

⁶الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص170-171 قارن أبو العرب، المحن، ج2، ص177-178 (روايات الواقدي)

⁷الإمامة والسياسة، مصدر سابق ، ج2، ص171.

جاء أبو مخنف ببعض الروايات التي أكد فيها أن مسلم بن عقبة قد حاول جاهداً أن لا يقع قتال، وناشد أهل المدينة أن يعودوا إلى بيوتهم، ولكنهم رفضوا ذلك، وأصرروا على قتال الجيش الشامي معتقدين أنهم يدافعون عن حرمة الكعبة من تدنيس الشاميين ومدافعين عن قائدهم في مكة ابن الزبير، وعندما تطرق أبو مخنف إلى مجريات القتال أظهر تماسك مقاتلي أهل المدينة تحت قيادة ابن حنظلة الغسيل، كما أظهر صلابة مسلم بن عقبة وخطاباته القوية والمؤثرة في نفسية جنده، وأنهم يقاتلون أهل المدينة من أجل حماية الدين ونصرة خليفة المسلمين ذاكراً أيضاً أن مقاتلي أهل المدينة يقاتلون تحت إمرة ابن حنظلة الذي حرص جماعته على القتال حتى ينالوا رضا الله ويدخلوا الجنة.

واختلف جويرية بن أسماء مع أبي مخنف الذي أكد عدم تماسك مقاتلي أهل المدينة، لأن قائدهم ابن حنظلة كان منهك القوى، وفي حالة نعاس شديد، وقد أبرز جويرية دور بني حارثة في إنهاء المعركة بسرعة كبيرة، مؤكداً أن الذين قتلوا بسبب حفر الخندق وتدافع الناس فوق بعضهم أكثر من عدد من قتل نتيجة القتال داخل المعركة.

وقد تطابقت روايات أبي اليقظان مع روايات جويرية وقد نسبت هذه الروايات لأبي اليقظان في حين نسبها آخرون لجويرية، ولم يذكر أي منهما أنه نقلها عن الآخر.

أما الواقدي فقد أكد أن الجيش الشامي لم يرد قتال أهل المدينة، حتى بعد أن دخل الجيش إليها مؤكداً أن هذا الجيش يتطلى بأداب القتال، عندما حمى المقاتلون الشاميون أحد الفتية من أهل المدينة وأبعده عن ساحة المعركة خوفاً عليه من أي مكروه، وقال الواقدي إن هذا الفتى قد قتل بسبب انضمامه لمقاتلي أهل المدينة لاحقاً، وهذا يؤكد أن قتلى موقعة الحرّة داخل المعركة هم ممن رفعوا السلاح وقاتلوا الجند الشاميين، أما الذين سالموا ولم يخرجوا فلم يصبهم أي أذى من الجيش الشامي.

وذكر الواقدي أن الجيش الشامي دخل المدينة من جهة بني الأشهل مختلفاً مع جويرية الذي أكد أن الجيش دخلها من جهة بني حارثة.

أما المدائني فقد نقل رواياته عن عوانة وجويرية وأبي مخنف، ولم يأت بشيء جديد عن مجريات القتال، وفعل الأمر نفسه صاحب الإمامة والسياسة حين نقل روايات الواقدي ونسبها لنفسه.

ولم ينسَ ابن أعثم الكوفي أن يحط من قدر الجند الشاميين مختلفاً بذلك مع أبي مخنف والواقدي اللذين أشارا إلى سلوك هذا الجيش وأخلاقه قبل القتال وأثنائه.

الفصل الرابع

نتائج الموقعة

- أعداد القتلى
- نهب المدينة
- أخذ البيعة ليزيد
- الاعتداء على النساء

أعداد القتلى

اختلف الإخباريون والمؤرخون في تحديد عدد القتلى الذين سقطوا يوم الحرّة، فمنهم من ترك لخياله العنان في تخيل المعركة، واحتار في ذكر الرقم الذي يجب أن يوضع في هذه الموقعة ، فاجتهد بوضع أرقام فاقت أعداد الفريقين المتصارعين على أرض المعركة دون أن يقدم دليلاً على صحة ما ذكر¹.

أما القسم الآخر من الإخباريين، فقد تجاهل ذكر عدد القتلى لعدم وجود دليل يؤكد العدد² ولهذا نجد أن هذا القسم من الإخباريين لم يقتنع بتلك الأرقام التي ذكرت لعدم صحتها، وبالتالي تركوا الأمر مبهماً.

وهناك قسم ثالث ذكر أسماء القتلى وذكر عددهم، فقد تكبد خليفة بن خياط عناء ذلك، وأخذ يبحث عن الحقيقة لعدم قناعته بالأعداد التي ذكرت عند الإخباريين الذين سبقوه وأخيراً استطاع أن يحصر الرقم الأقرب إلى الصواب في هذا الأمر، أما أبو العرب فقد نقل قائمة أسماء القتلى من كتاب يعود لداوود بن الحصين مولى عثمان بن عفان حسب ما ذكر في كتابه³، وينبغي التنويه هنا إلى أن بعض أئمة المسلمين من أهل السنة يرون في خلافة يزيد بن معاوية وطريقة وصوله إلى الحكم بأنها باطلة من الناحية الشرعية، فنجدهم يتحاملون عليه وعلى تاريخه، بل ذهب قسم منهم إلى لعنه، ولهذا فلا عجب أن نرى عدداً من الإخباريين والمؤرخين قد نقلوا على لسان أحد الأئمة أن عدد قتلى الحرّة كان بالآلاف دون أن يسندوا رواياتهم، أو أن يقدموا دليلاً على صحة أقوالهم⁴.

والحق أن على الباحث عندما يتناول موقعة الحرّة وعدد قتلاها أن يتعرف أولاً على أعداد المتقاتلين في المعركة ومدتها، لأن عامل الوقت مهم، وهل نجا منهم أحد؟! أم أنهم قاتلوا جميعاً حتى قتلوا! هذا ما كشفته الروايات التي تناولت الحرّة حين أجابت على جميع هذه الاستفسارات، وبالتالي فإن الباحث يستطيع أن يرجح رواية على أخرى، ويخرج بنتائج جديدة.

أن أقدم الروايات التي وصلتنا وذكرت عدد قتلى الحرّة هي رواية ابن شهاب الزهري، الذي ذكر أن عدد "القتلى من قریش" الأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس

¹ أمثال على ذلك أبو مخنف عند البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص531، الزهري عند الامامه والسياسة، مصدر سابق ، ج1، ص177.

² أمثال عوانة ابن الحكم: انظر ابن عساکر، مصدر سابق ، ج54، ص180. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، الإعلام بوقفيات الاعلام تحقيق مصطفى بن علي عوض وربيع عبد الباقي، ط1، بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية، 1993، م1، ص41.

³ انظر، أبو العرب، ج2، ص188، وقد تم البحث للوصول لهذا الكتاب دون جدوى.

⁴ ومنهم الإمام مالك بن أنس أنظر الذهبي، سير، ج3، ص325، وأنظر أيضاً أبو العرب مصدر سابق ، ص201، حيث يقول أن الشخص الذي قال هو وهب بن مالك وليس أنس بن مالك.

سبعماية، وسائر الناس عشرة آلاف من أخلاط الناس والموالي¹ دون أن يقدم دليلاً يؤكد صحة روايته، علماً أن والد الزهري قد قاتل الجيش الشامي يوم الحرّة² أما أبو مخنف فقد ذكر أنه "قتل من وجوه قريش سبعماية، سوى من قتل من الأنصار"³، متفقاً مع الزهري في رقم السبعماية ومختلفاً في عدد قتلى الأنصار، وسائر الناس من العبيد والموالي، وقد قصد أبو مخنف من هذا أن يحصر الرقم في قريش حتى يذكرنا بأبيات الشعر التي قالها محمد بن أسلم بن بجرة الساعدي الذي نظم شعراً يفهم بذلك من خلاله أن يزيد قد ثأر من الأنصار، لأنهم هزموا قريش الكافرة زمن أبي سفيان يوم بدر وأكمل أبو مخنف روايته بأبيات شعر الساعدي الذي قال:

فإن يقتلونا يوم حرة واقم
ونحن قتلناكم ببدر أدلة
فإن ينج منها عائد البيت سالماً
فما نالنا منهم وإن شفنا جل⁴

فإذا كان يزيد قد قتل من قريش هذا العدد الكبير فسيكون عدد قتلى الأنصار أكثر من ذلك بكثير، وهذا ما يفهم من رواية أبي مخنف، ويظهر هنا أن أبا مخنف أراد أن يؤكد - رغم انتصار الجيش الشامي في هذه المعركة غير المتوازنة من حيث العدد والعدة ما جاء على لسان محمد الساعدي أنه طالما أن ابن الزبير بخير، فإن جميع النتائج التي ترتبت عليها موقعة الحرّة من خسائر فهي دون وزن ولا قيمة لها، ويربط بين خروج أهل المدينة على يزيد وابن الزبير.

أما الهيثم بن عدي فقد أورد رواية تختلف عن سابقه فقال: "قتل من أخلاط الناس نحو ستة آلاف وخمسماية في سنة اثنتين وستين"⁵ كما روى قصة ثانية يظهر فيها مدى تعطش مسلم بن عقبة لقتل الأبرياء الذين لم يشتركوا بالمعركة، فقال: "إن مسلم بن عقبة لقي مجموعة من المغنين وهم "طويساً المغني وهبة الله وسائب خاثر في وآخرين وهم يريدون الشخوص عن المدينة فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: نحن قوم مغنون، فإن أحببت غنياك وكنا بين يديك فقال: "ويش" وهي كلمة لأهل حمص اللغناء وللهو جئنا، اضربوا أعناقهم فقتلهم"⁶، في حين جاء الرد على هذه الرواية من أبي مخنف ليؤكد أن الجيش الشامي لم يقتل إلا من رفع السلاح بوجهه وأورد رواية عن أبي سعيد الخدري، وعلى لسانه أن أحد

¹ الامامة والسياسة، مصدر سابق ، ج1، ص177، ونقل المدائني عن الزهري هذه الرواية عند كل من: ابن الجوزي، مصدر سابق ، ج6، ص16، ابن كثير، البداية، ج5، ص733.

² هاني حسين أحمد، أسعد . العطاء في صدر الإسلام (رسالة ماجستير غير منشورة) عمان: الجامعة الأردنية 1985، ص111.

³ البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص351.

⁴ البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص351.

⁵ البلاذري، مصدر سابق ، ص353.

⁶ البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص353-354.

المقاتلين الشاميين دخل عليه وهو يمتشق سلاحه قال: "فحملت سيفي وتوجهت إليه لكي أُرعبه لعله ينصرف عني فأبى إلا الإقدام علي، فلما رأيت أن قد جد، حملتُ سيفي ثم قلت له: لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لإفقتك، إني أخاف الله رب العالمين، فقال لي من أنت الله أبوك، فقلت أنا أبو سعيد الخدري، قال: صاحب رسول الله، قلت: نعم فانصرف عني"¹.

وهذا يدل أن الجيش الشامي لم يقتل إلا من قاتله، ربما يقول قائل أن السبب في عدم مقتل أبي سعيد كونه صاحب رسول الله، ولكن هذا غير صحيح بدليل أن هناك من الصحابة من قاتل في المعركة بل إن قائد المعركة هو صحابي وهو عبد الله بن حنظلة الذي قتل، لأنه قاتل الجيش الشامي، كما أن معقل بن سنان الأشجعي وهو من الصحابة قد قتل، وقتل محمد بن عمرو بن حزم² وجميعهم من الصحابة.

أما أبو معشر فقد ذكر أن عدد قتلى قريش بضع وسبعون رجلاً، ومثلهم من الأنصار، وقتل من الناس نحو أربعة آلاف، وذكر أسماء بعض من قتلوا في المعركة، منهم محمد بن عمرو بن حزم، وذكر أن من بين القتلى اثنين من أبناء عبد الله بن جعفر، كما قتل أربعة أو خمسة من ولد زيد بن ثابت لصلبه، وأضاف أن مسلم بن عقبة قد طلب من مقاتليه أن يكفوا عن القتل، فخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يريد القتال فقاتلهم بعد الكف³ أما أحمد بن أعثم الكوفي فقال: "أنه قتل من أبناء المهاجرين ألف وثلاثمائة ومن الأنصار ألف وسبعمائة، ومن العبيد والموالي وسائر الناس ثلاثة آلاف وخمسمائة فتلك ستة آلاف"⁴.

واختلف معه المسعودي عندما أشار إلى أن عدد القتلى من قريش بضع وتسعون رجلاً ومثلهم من الأنصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء دون من لم يعرف⁵ متفقاً مع أبي معشر بهذه الأرقام، وهذه الرواية تدل على وجود إحصاء لعدد القتلى المعروفين، ولكن لا يمكن الأخذ بها لعدم وجود دليل واضح يؤكد صحة ما ذكره المسعودي.

وقد ركز المسعودي كعادته على قتلى بني هاشم، فقال: قتل من آل ابي طالب إثنان: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب⁶ علماً أن الاسم الأخير غير موجود عند خليفة في تاريخه، وذكر أن من قتل من بني هاشم من غير أبي

¹ الطبري، مصدر سابق، ج3، ص357 وقد ذكر هذه الرواية أيضاً المدائني عند ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص733.

² الطبري، مصدر سابق، ص357.

³ الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص187.

⁴ ابن أعثم، مصدر سابق، الفتوح، ص216.

⁵ المسعودي، مروج، ج3، ص80.

⁶ المسعودي، مصدر سابق، ج3، ص80.

طالب كل من: الفضل بن العباس، والعباس بن عتبة بن أبي لهب، وضمرة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب¹ والأخير غير موجود على قائمة القتلى عند خليفة، وعند أبي العرب، بل إن الموجود عبد الله بن نوفل².

أما صاحب الإمامة والسياسة فذكر أن عدد قتلى الحرّة من قريش و الأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألف وسبعماية وسائر الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان³ وأضاف أنه قتل من أصحاب النبي ثمانون رجلاً، ولم يبقَ بدريّ بعد ذلك، ثم أضاف في الرواية الثانية أن عدد قتلى قريش والأنصار سبعماية ومن سائر الناس والموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف، ويضيف في روايته غير المسندة أنه كان بالمدينة أكثر من عشرة آلاف رجل، والله ما استطاعوا أن يناهضوهم يوماً إلى الليل⁴.

ربما أراد القول إن عدد سكان المدينة عشرة آلاف نسمة وليس عشرة آلاف رجل، ولو افترضنا صحة ما قاله فكم كان عدد سكان المدينة، إذ أن الطبيعي أن يشكل الرجال في اية مجتمع 25% أي ربع المجتمع فهل يعقل أن يكون عدد سكان المدينة في تلك الفترة أربعون ألفاً؟! ولهذا فلا يمكن الأخذ بروايته علماً أن عدد مقاتلي الحجاز (مكة والمدينة والطائف) المسجلة في ديوان الحجاز هو 8 آلاف مقاتل⁵ زمن الوليد بن عبد الملك (88-95هـ/707-714م) فكم كان عدد مقاتلي أهل المدينة من هذا العدد الكلي، وكم كان عددهم قبل أكثر من ربع قرن أي سنة 63هـ/683م زمن الحرّة؟

أما أبو فرج الأصفهاني (356هـ/967م) فقد ذكر دون إسناد أن عدد القتلى ثلاثة آلاف وخمسماية رجل من الموالي وألف وأربعماية من الأنصار وألف وثلاثماية من المهاجرين⁶.

هؤلاء هم أغلب الإخباريين الذين أعطوا أرقاماً كبيرة جداً لعدد قتلى الحرّة، ويلاحظ أن أقربهم إلى الواقع هو المسعودي الذي كان يعتمد على السجلات والأرقام، ولكنه لم يذكر أعداد القتلى وأسماءهم حتى يعطي دليلاً قاطعاً على صحة روايته، وربما أنه أخذها عن أبي معشر الذي لم يقدم دليلاً على صحة روايته أيضاً.

أما الإخباريون والمؤرخون الذين تجنبوا ذكر عدد معين لقتلى الحرّة، فقد كانوا الأكثر عدداً من سواهم، وكان أقدمهم عوانة بن الحكم الكلبى (124هـ/742م) إذ لم يتطرق إلى ذكر رقم محدد، بل ساق لنا رواية بين من خلالها أن مسلم بن عقبة قد استدعى كلاً من

¹المسعودي، مصدر سابق، ج3، ص80.

²انظر خليفة، مصدر سابق، ص150 وأبو العرب، ج2، ص188.

³الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص173.

⁴الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص174.

⁵أسعد، مصدر سابق، ص109-110.

⁶الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص31-32.

معقل بن سنان الأشجعي ومحمد بن أبي الجهم وقام بقتلهما¹ بعد أن حاجج محمد بن أبي الجهم، وشهد على الخليفة شهادة زور. ومن المعروف أن معقل وابن أبي الجهم كانا من قادة أهل الحرّة في إشارة منه لتبرير قتلهما.

أما الواقدي فقد حذا حذو عوانة، ولم يذكر رقماً لقتلى الحرّة، وإنما ذكر أن معقل بن سنان وحמיד بن أبي الجهم ويزيد بن عبيد بن زمعة قد قتلوا صبراً بالسيف² علماً أن أبا العرب في "المحن" قد نقل أسماء قتلى الحرّة من كتاب داود بن الحصين، وسبق للواقدي أن قرأ هذا الكتاب على حد قول أبي العرب³ واتفق المدائني مع عوانة والواقدي في تجنب ذكر رقم محدد لقتلى الحرّة، ولم يذكر إلا رواية نقلها عن الزهري⁴.

أما الروايات التي ذكرها المدائني وأشار فيها إلى عملية القتل يوم الحرّة، فكانت تتحدث عن أفراد، وليس عن أعداد كبيرة، يقول: قتل أبو بكر يوم الحرّة في الواقعة بين مسرف بن عقبة وبين أهل المدينة⁵ والمقصود بأبي بكر هو ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي توسط لأهل المدينة عند يزيد وذكر في رواية ثانية أن عون بن عبد الله بن جعفر قد قتل يوم الحرّة⁶ وهذا الاسم لم يرد عند خليفة ولا عند أبي العرب.

أما الدينوري فأشار إلى مقتل ابن حنظلة الغسيل، وعمرو بن حزم الأنصاري، ومحمد بن أبي الجهم، وأشار إلى أن الأخير قتل، لأنه وفد إلى الخليفة فأكرمه، ورجع إلى المدينة يشهد على الخليفة بأنه يشرب الخمر، وذكر أن معقل بن سنان قد قتل يوم الحرّة، لأنه كان من الذين ينادون بعزل يزيد، وتولية أحد أبناء المهاجرين بدلاً منه⁷ في إشارة إلى توضيح وتبرير أسباب قتلهم، وكأنه يريد القول، إن كل من قتل يوم الحرّة كان هناك سبب لمقتله.

ولم يذكر اليعقوبي رقماً لعدد قتلى الحرّة، ولم يضرب أمثلة على عمليات القتل، بل ساق جملة إنشائية غير مسندة قال فيها في إشارة إلى عملية القتل: فلم يبق بها كثير إلا قتل⁸ وذكر البلاذري أنه قتل ستة أشخاص من الأشراف في خلق من قریش والأنصار⁹، ذاكراً

¹ ابن عساکر، مصدر سابق، دمشق، ج54، ص180-181 (ترجمة محمد بن أبي الجهم)

² ابن عساکر، مصدر سابق، ج15، ص285، ترجمة حميد بن عبد الله بن الجهم العدوي.

³ انظر أبو العرب، مصدر سابق، ج2، ص188 حيث قال أبو العرب: قرأت على يد أبو عثمان اليماني عن بكر بن وهاب عن محمد بن عمر الواقدي قال: قرأت كتاب إبراهيم ابن أبي حبيبة وتسمية من قتل في الحرّة وأخبرني إبراهيم أن الكتاب كتاب داود بن الحصين مولى آل عثمان بن عفان.

⁴ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص16، الامامه والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص177.

⁵ الأصفهاني، مقاتل، ص122.

⁶ ابن الجوزي، مصدر سابق، ص122.

⁷ الدينوري، مصدر سابق، ص265.

⁸ اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص175 (دون إسناد)

⁹ البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص350، أما الأشخاص الستة والذين ذكر أنهم من الأشراف منهم: 1. الفضل بن العباس، 2-اسماعيل بن خالد بن عقبة بن أبي معطب، 3- يحيى بن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد المناف، 4- عبيد الله بن عتبة بن غزوان من بني مازن بن منصور، 5- المغيرة بن عبد الله بن السائب بن أبي جيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي، 6- عياض بن حمير بن عوف الزهري.

ذاكراً أسماءهم، ولم يوضح ما هي القاعدة التي اعتمد عليها لكي يصنف الناس (أشرفاً وغير أشرف)، ولكن الملاحظ على البلاذري أنه أورد روايات أبي مخنف، وهذا يدل على أنه مقتنع بها بعكس الطبري الذي أخذ من روايات أبي مخنف ولكن تجنب أخذ الروايات التي تكلمت عن عدد القتلى لأنه لم يقتنع بها.

ومما يؤخذ على البلاذري أيضاً اعتماده رواية جاءت بصيغة (قالوا) ذكر فيها أبياتاً من الشعر قالها عبد الله ابن الزبيري، وقد نسبها بعضهم ليزيد ومطلعها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل¹

وهي إشارات تدل على أن يزيد قد انتقم من الأنصار (الأوس والخزرج) بقتلهم يوم الحرّة، لأنهم قتلوا أبناء قريش الذين تزعمهم أبو سفيان جد يزيد يوم بدر، وهذه الأشعار وغيرها كثير، دست على لسان يزيد بعد أن قتل الحسين بن علي في كربلاء، وبعد موقعة الحرّة إذ كان هدفاً لشعراء الشيعة والخوارج والمعارضين لنظام الحكم الأموي، ومنهم فقهاء وأئمة كبار من أهل السنة. وهناك من يقول إن الجيش الشامي الذي تكون من قبائل عدة قد انتقم من قريش، لأن قريش سبق وأن أذقت هذه القبائل الهوان قبل الإسلام²

وأخيراً جاءت رواية الذهبي غير المسندة لتكشف لنا عن أسماء ثمانية وثلاثين اسماً ممن سقطوا يوم الحرّة، إذ سار على طريق الإخباريين والمؤرخين الذين لم يقتنعوا بالأعداد التي ذكرت، ولأنهم لم يملكو دليلاً على صحة رواياتهم، فقد نهجوا نهجاً مغايراً لنهجهم وذكروا الأسماء التي وردت في روايات صحيحة وموثوقة، وهذا لا يعني أنه لم يذكر روايات بعض الإخباريين حول أعداد القتلى فقد نقل رواية خليفة³ ورواية أنس بن مالك⁴ إلا أن القارئ يستنتج أنه لم يقتنع بهذه الأرقام.

ومن كبار الأئمة الذين ذكروا رقماً ثابتاً لقتلى الحرّة الإمام الزهري الذي سبق أن تناولناه في بداية الدراسة، والإمام مالك بن أنس الذي أشار في رواية إلى أن عدد قتلى الحرّة من حملة القرآن الكريم هو سبعماية شخص دون أن يسند روايته⁵، وبعد مراجعة أسماء قتلى الحرّة عند خليفة تبين أن اثنين من أبناء أنس بن مالك قد قتلوا في هذه الموقعة⁶ وأورد المدائني رواية يبين فيها أن اثنين من أبناء عبد الله بن جعفر وهما: أبو بكر وعون قتلا يوم الحرّة⁷، ولكنه لم يذكر أن سبعماية من حملة القرآن قد قتلوا وإنما قال: كانت تحت راية

¹ البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص354.

² حسين، مؤنس. تاريخ قريش، ط1، ب م: دار المناهل، 2002، ص667.

³ الذهبي، سير، ج3، ص325، الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 61-80هـ) ص28.

⁴ نفس المصدر. ج3، ص325، الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 61-80هـ) ص30.

⁵ الذهبي، سير، ص325، وقال أبو العرب في المحن أن الذي قال هذه الرواية هو ابن وهب بن مالك، أنظر، ج2، ص201.

⁶ خليفة، مصدر سابق، ص154 أنظر قائمة القتلى من بني عدي بن النجار وذكر أسماءهم (عبد الله ويحيى ابنا أنس بن مالك).

⁷ الأصفهاني، مقاتل، ص122، للمقارنة مع خليفة فقد أورد اسم واحد من أبناء عبد الله بن جعفر هو أبو بكر/خليفة، تاريخ، ص150.

الأنصار يومئذ أقل من مائة فقتل منها أكثر من تسعين¹ ، ولكنه أيضاً لم يقدم دليلاً بأسماء القتلى، ولهذا جاءت روايته كبقية الروايات تشوبها شائبة.

أما أكثر الروايات قبولاً فهي رواية خليفة بن خياط الذي ذكر أسماء القتلى في تاريخه، وذكر أسماءهم أيضاً أبو العرب في كتابه "المحن"، وقال خليفة: "إن جميع من أصيب من قريش من أنفسهم سبع وتسعون وإن مجموع من أصيب من الأنصار مائة وثلاثة وسبعون رجلاً ، وأن جميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة وستة رجال"².

وعند العودة إلى الأسماء التي ذكرها خليفة وعمل لها إحصاء ، ظهر أن مجموع قتلى قريش ومواليهم مائة وتسعة وأربعون، ومن الأنصار مائة وثلاثة وسبعون ومجموع العديدين من قريش والأنصار يخالف الذي ذكره خليفة وهو ثلاثمائة وستة رجال . ولو جمعنا الرقمين اللذين ذكرهما خليفة (97 من قريش) و(173 من الأنصار) لأصبح ناتج جمعهما 270 شخصاً من قريش والأنصار، فهل يعقل أن يكون عدد الموالى الذين قتلوا 46 فقط حتى يكتمل الرقم 306 كما ذكر خليفة؟

وجدير ذكره أن أبا العرب قام بإحصاء أسماء قتلى الحرّة، وتبين منه أن عدد الأسماء المذكورين في كتابه هو 306 اسم³ وهذا يؤكد صحة الرقم الذي ذكره خليفة، وبعد مقارنة ما جاء في كتاب خليفة، وكتاب أبي العرب يظهر بوضوح أنهما استمدا معلوماتهما حول قائمة أسماء القتلى من مصدرين مختلفين لكنهما اتفقا على أن الرقم 306 رجال، وهو الرقم الأقرب إلى الصحة من بقية الأرقام الأخرى.

يسود الاعتقاد أن جميع الأسماء التي ذكرت كانت مسجلة في ديوان العطاء، أما أسماء القتلى الذين لم يعرفوا، فإن أسماءهم لم تكن مسجلة وجلهم من العبيد والموالي، إذ شكل الموالى ربع مقاتلة أهل المدينة في موقعة الحرّة⁴ . ومهما يكن فلا يمكن أن يزيد عددهم عن ضعفي هذا الرقم إذا اعتمدت الرواية التي تقول أن عدد مقاتلي أهل المدينة ألفاً مقاتل، وكذلك الرواية التي تقول: بدأت المعركة صباحاً (أي الساعة السادسة أو السابعة صباحاً) ومع ساعات الظهر لم يبقَ أحدٌ بالميدان يقاتل إلا ابن الغسيل (أي الساعة 11-12 ظهراً) فعدد ساعات القتال ما بين 5-6 ساعات على أكثر تقدير، وهذا انحصر في منطقة دور بني الأشهل، أما بقية المقاتلين الذين كانوا يقفون على حدود الخندق، فقد تركوا الموقع عندما سمعوا أصوات التكبير من داخل المدينة وخيول بني أمية تصول وتجول فيها، ولهذا تقول

¹ ابن عساکر، مصدر سابق، ج55، ص12 (ترجمة محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري).

² خليفة، مصدر سابق، ص155.

³ أبو العرب، مصدر سابق، ج2، ص188-200.

⁴ أسعد، مصدر سابق، ص127.

إحدى الروايات أن من قتل في الخندق أكثر مما قتل على أيدي الناس أي أن الرقم 306 الذي جاء به خليفة وأبو العرب هو ناتج من قتل في المعركة .

نهب المدينة

ذكر الأخباريون أن الجيش الشامي بعد انتهاء القتال بدأ بالمرحلة الثانية تنفيذاً لوصية يزيد، والتي تقضي بنهب المدينة مدة ثلاثة أيام بعد قتل أهلها، كما ذكر أبو مخنف¹ والواقدي² وقد رأى صاحب الإمامة والسياسة أن مبرر يزيد في ذلك هو سحب جميع الذرائع من مقاتلي أهل المدينة الذين برروا عصيانهم وتمردهم بحبس عطائهم أيام معاوية، وما لحقهم من فاقة وجوع نتيجة ذلك³ فما كان من يزيد أن فرض عليهم تعويض ما فاتهم أيام أبيه، ولتحسين أحوالهم⁴، كما أشارت الدراسة سابقاً، مقابل الامتثال لأوامره والإقرار له بالخلافة، وقد اتكأ صاحب الإمامة والسياسة في روايته هذه على ما نقل عن عبد الله بن جعفر .

إن صحة الرواية التي جاء بها أبو مخنف والواقدي بأن يزيد أوصى بنهب المدينة، فقد يكون ذلك لمعرفة التامه بالنتائج المترتبة على أحوالهم بعد النهب من أجل أن لا يقوموا بالخروج عليه مرة ثانية⁵. وبخاصة أنه أكرمهم وأمدهم بالمال والعطايا والهدايا عندما قاموا بزيارته⁶ ومقابل ذلك تحالفوا مع ابن الزبير وخلعوا يزيد من الحكم وطرّدوا أقاربه من المدينة.

واختلفت آراء الإخباريين و المؤرخين في إثبات صحة حدوث النهب داخل المدينة بعد انتهاء المعركة، فقد أشارت بعض الروايات الى أن مسلم بن عقبة قام بأخذ البيعة مباشرة بعد الانتهاء من المعركة، ونجد مثل هذا التوجه عند جويرية بن أسماء حين ذكر "أن مسلم بن عقبة قد دخل المدينة ودعا الناس إلى البيعة"⁷ وهذا يؤكد أن البيعة أخذت ليزيد مباشرة بعد دخول المدينة، واتفق عوانة بن الحكم مع هذا الرأي الذي أشار إلى أن مسلم بن عقبة قد دعا للبيعة بقاء، وطلب الأمان لرجلين من قريش وقال: "فأتى بهما بعد الواقعة بيوم"⁸، وهي رواية تؤكد أن البيعة أخذت من أهل المدينة مباشرة، ولم تؤخذ بعد أن أعطى مسلم للجيش الشامي فترة ثلاثة أيام حتى ينهي نهب المدينة، وأكد ذلك أبو اليقظان النسابة حيث قال: "ودخل مسلم بن عقبة المدينة وتغلب على أهلها ثم دعاهم إلى البيعة"⁹ واتفق مع هذا الرأي صاحب الإمامة والسياسة، حيث قال: "فلما فرغ مسلم من القتال انتقل من منزله إلى قصر بني عامر بدومه، فدعى أهل المدينة للبيعة"¹⁰.

¹البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص341 (رواية أبو مخنف)، الطبري، مصدر سابق، م3، ص353 (رواية أبو مخنف).

²ابن سعد، مصدر سابق، ج6، ص473 (رواية الواقدي).

³الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص166.

⁴الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص166-167.

⁵الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص166-167.

⁶انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة وزيارة وفد المدينة إلى يزيد.

⁷خليفة، مصدر سابق، ص149، الطبري، مصدر سابق، م3، ص357.

⁸الطبري، مصدر سابق، م3، ص357.

⁹ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج5، ص138.

¹⁰الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص187.

وذكر البلاذري، رواية لعوانة أشار فيها حدوث نهب في المدينة وقال: "دخلوا من قبل بني حارثة إلى المدينة فلم يبقَ دار إلا انتهبت إلا دار زيد بن حارثة مولى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فإن كلباً حمتها، وداراً من حمير فإن حمير حمتها..."¹.

وجاء الرد على هذه الرواية من قبل خليفة بن خياط حين رفض هذه الرواية ونسفها من أساسها وقال: "كان قصر بني حارثة أماناً لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه، وكان بني حارثة آمنين"²، وهذه الرواية أقرب إلى الصواب مما جاء به البلاذري، فمن غير المعقول أن يقوم بنو حارثة بفتح طريق للجيش الشامي للدخول إلى المدينة للقضاء على المقاتلين، ثم يقوم الجيش الشامي بنهب دورهم قبل أن ينهب دور بقية سكان المدينة المقاتلين، أما رواية خليفة فهي أقرب للصحة إذ كرم مسلم بن عقبة بني حارثة الذين ساعدوه في المعركة، وأعطاهم امتيازاً عن بقية قبائل المدينة بأن جعل قصرهم آمناً لمن أرادوا أن يؤمنوه هم والجيش الشامي.

ولم يقتنع العديد من المؤرخين بأن الجيش الشامي قد قام بنهب المدينة، ولهذا فقد عرضوا عن ذكر عملية النهب في مؤلفاتهم التاريخية، ونخص بالذكر اليعقوبي وابن عبد ربه في العقد الفريد والأصفهاني في مؤلفه الأغاني، وابن عماد الحنبلي في مؤلفه شذرات الذهب وهؤلاء معروفون بتحملهم على يزيد بن معاوية وعلى الحكم الأموي، حيث تناولوا مجريات موقعة الحرّة من بدايتها وحتى خروج الجيش الشامي من المدينة، ولم يذكروا حدوث نهب وإياحة للمدينة كبقية الإخباريين والمؤرخين الذين ستتناولهم الدراسة.

وهناك فريق من المؤرخين أشاروا إلى حدوث نهب في المدينة، ولكنهم حصروا عمليات النهب في بيوت المقاتلين الذين خرجوا على يزيد، ومثل هذا التوجه الدينوري (282هـ/895م) حين أشار إلى أن بيت ابنة الأشعث بن قيس وكانت امرأة للحسين بن علي قد انتهب فأرسلت إلى مسلم بن عقبة تعلمه، فأمر مسلم برد جميع ما أخذ منه³، ومن المعروف أن علي بن الحسين قد عارض أهل المدينة بالخروج على مسلم بن عقبة، ولم يشاركهم موقفهم. وهناك فريق ثالث أشار إلى حدوث عملية النهب، فمنهم من ساق أمثلة على ذلك، ومنهم من اكتفى بذكر حدوث هذا الشيء دون أن يدعم موقفه برواية واحدة.

وكان أول من أشار إلى حدوث عملية النهب أبو مخنف حيث قال: "وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال فأفرع ذلك من كان بها من الصحابة"⁴ وقد جاء

¹ البلاذري، مصدر سابق، ج5، ص345.

² خليفة، مصدر سابق، ج1، ص171.

³ الدينوري، مصدر سابق، ص267.

⁴ الطبري، مصدر سابق، م3، ص357.

المدائني ليورد هذه الرواية وينسبها إلى نفسه¹.

جاء المدائني بروايات عدة تؤكد حدوث عملية النهب² وفي إحداها أشار إلى وجود أحد مقاتلي أهل الشام، وهو ينازع امرأة يريد خلخالها، فأخذت تصرخ وتناشد قائلة: أما دين؟ أما حمية؟ أذهبت العرب؟ فقال لها الزبير بن خزيمة الخثعمي من أنت؟ قالت: ابنة عبد الله بن حنظلة، فقال للشامي خلّ عنها، فرفض فقام الزبير وقتله، وفي نهاية القصة دفع الخليفة يزيد ديته من بيت مال المسلمين³.

وأكد ذلك الواقدي حيث أورد رواية على لسان أبي سعيد الخدري يؤكد فيها أنه لم يشترك في الحرّة، ولم يخرج من بيته فدخل نفر من أهل الشام فطلبوا منه أن يخرج كل شيء في البيت، فقال لهم لا يوجد عندي شيء ففتقوا لحيته وضربوه ضربات، ثم سرقوا كل ما خف لهم من المتاع⁴.

ونلاحظ هنا تناقضاً في الروايتين: رواية (المدائني وأبو مخنف) مع رواية (الواقدي)، فأبو مخنف والمدائني يؤكدان أن أبا سعيد الخدري قد هرب من المدينة إلى الجبل، ولحق به الشامي، وعندما عرفه تركه ولم يقتله بينما أشارت رواية الواقدي أن أبا سعيد لزم بيته وبتفت لحيته فما هي الرواية الصحيحة؟ وعلى أي رواية نعتمد؟

كما توجد رواية ثالثة خاصة بأبي سعيد الخدري ساقها لنا كل من وهب بن جرير، وأبو عقيل الدروقي، ونسبها كل إلى نفسه، وتقول الرواية "دخل أبو سعيد الخدري يوم الحرّة غاراً فدخل عليه رجل ثم خرج فقال لرجل من أهل المدينة أدلك على رجل تقتله؟ فلما انتهى الشامي إلى باب الغار قال لأبي سعيد وفي عنق أبي سعيد السيف، اخرج إليّ، قال: لا وإن تدخل عليّ اقتلك، فدخل الشامي فوضع أبو سعيد السيف وقال: بؤ باثمي واثمك وكن من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين، فقال: أبو سعيد الخدري أنت؟ قال: نعم، قال فاستغفر لي قال: غفر الله لك⁵.

وجاء أبو هارون العبدلي بقصة مختلفة عن القصص السابقة تختص بأبي سعيد الخدري حين روى أنه رأى أبا سعيد ممعط اللحية فقال له: تعبت بلحيتك؟ فقال: لا، هذا ما لقيت من ظلمة أهل الشام يوم الحرّة، دخلوا عليّ زمن الحرّة فأخذوا ما في البيت، ثم دخلت

¹ ابن الجوزي، مصدر سابق م، ج6، ص15، ابن الأثير، الكامل، م، ج4، ص118، العاصمي المكي، مصدر سابق، ج3، ص203، ابن سعد، مصدر سابق، ج5، ص354، ابن عساکر، مصدر سابق، ج20، ص294، (ترجمة أبو سعيد الخدري)، خليفة، مصدر سابق ص149، الذهبي، أنساب، ج5، ص346، مع اختلاف بعض تفاصيل القصة.

² انظر ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص16-17.

³ ابن عساکر، مصدر سابق، ج18، ص324 (ترجمة الزبير بن خزيمة الخثعمي).

⁴ ابن سعد، مصدر سابق، ج5، ص355 (ترجمة أبو سعيد)، ابن عساکر، مصدر سابق، ج20، ص294-295 (ترجمة أبو سعيد).

⁵ خليفة، مصدر سابق، ص149، الذهبي، سير، ج3، ص170.

عليّ طائفةٌ فلم يجدوا شيئاً فأسفوا، وقالوا: اضجعوا الشيخ فأضجعوني. فأخذ كل واحد منهم من لحيّتي خصلة¹.

وعند تحليل هذه الرواية يتبين أن بها تناقضات كبيرة وواضحة، إذ يؤكد أبوهارون العبدلي أن لحية أبي سعيد ممعطة، وعندما سأله، قال له كان هذا زمن الحرّة، وهذا يدل على أن هناك فترة زمنية طويلة بين لقائهما معاً، وما بين حدوث موقعة الحرّة، فهل يعقل أن شعر اللحية خلال هذه المدة لم يعد كما كان. بالإضافة إلى أن أبا سعيد الخدري صاحب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعروف للجميع، ويقضي معظم وقته بالمسجد، ويراه الجميع وعندما يصيبه مكروه يعلم به كل أهل المدينة، فهل من المعقول أن كل هذا حصل معه، ولم يعلم به أهل المدينة إلا بعد زمن طويل، وبعد أن سأله؟ ثم هل يعقل أن يقوم الجيش بترك أهل المدينة، ويقدموا على العبث بلحية شيخ كبير لا ذنب له؟ ، والسؤال: أيّ من الروايات الأربع نعتمدها ونأخذ بها؟

إن هذه الروايات التي تخص أبا سعيد الخدري متناقضة تهدف إلى الإساءة والتشهير بالجيش الشامي ، وأستخدِمَ فيها هذا الأسم "ابو سعيد" لكونه أحد كبار صحابة رسول الله، ورواياً للحديث الشريف وقد استغل اسمه لكونه ما زال على قيد الحياة زمن حدوث موقعة الحرّة.

أما أحمد بن أعثم الكوفي (314هـ/926م) فقد أشار إلى وجود عمليات نهب قد حصلت داخل المدينة²، ولكنه لم يورد أي دليل على ذلك، واتفق معه البستي³ في كتابه مشاهير علماء الأمصار حيث قال عن مسلم بن عقبة: "واستباح المدينة نهباً وقتلاً"⁴ دون أن يقدم رواية تدعم موقفه.

واختلف المسعودي عن المؤرخين السابقين عندما أشار إلى حدوث عملية القتل والنهب والسرقة والسبي⁵، إذ لم يذكر أحد من قبله أن هناك سبياً للنساء، ولا يعرف على أي المصادر قد اعتمد في قوله هذا.

أخيراً جاء أبو معشر بروايتين الأولى تؤكد حدوث عمليات النهب داخل المدينة، ولكن متى؟ قال: والحرب قائمة وأول دور أُنْتَهَبَ دور بني عبد الأشهل، وهناك كان مسرح القتال

¹الذهبي، تاريخ (حوادث ووفيات 61-80) ص28، الذهبي، سير، ج3، ص325.

²ابن اعثم الكوفي، مصدر سابق ، ص216 (دون إسناد).

³البستي، مصدر سابق ، (دون إسناد).

⁴البستي، مصدر سابق ، (دون إسناد).

⁵المسعودي، مروج، ج3، ص81.

بين الجيش الشامي ومقاتلي أهل المدينة ويضيف: فما تركوا في المنازل من أثاث وحلي وفرش إلا نفض صوفه، حتى الحمام كانوا يذبحونها¹.

ومن المعروف أن مقاتلي أهل المدينة كانوا يقاتلون بقوة وعنفوان وبخاصة لواء عبد الله بن حنظلة الغسيل والفضل بن العباس وغيرهما وقد وصف لنا أبو مخنف الحالة القتالية التي كان عليها الطرفان، حيث كان كل من مسلم بن عقبة وعبد الله بن حنظلة الغسيل يشجع جنوده على القتال ويخطب فيهم، ويحثهم على الصبر والصمود²، وكأنه قتال إرادة وعزيمة وعقيدة، فالتحم الجيشان بقتال دام.. وكيف للمرء أن يتخيل أن كل فريق يريد القضاء على الفريق الآخر أثناء المعركة؟ ثم يأتي أبو معشر ويقول: إن عمليات النهب وذبج الدجاج والحمام وسرقة صوف الفرش كان والحرب قائمة عند دور بني عبد الأشهل، وربما هناك من يقول إن بعض الجنود لا يعينهم سوى مصالحهم، فتركوا القتال وذهبوا للسرقة والنهب ولكن هذا لا يحصل من الجيش النظامي، فالجيش الأموي جيش مدرب ومقاتل وملتزم، ويقول عنه مسلم بن عقبة أنكم لم تنتصروا إلا بإطاعتكم لأوامر خليفتم واستقامتكم³، فهو جيش يلتزم بالتعليمات العسكرية وينفذها، فلو كان هناك تعليمات عسكرية بالنهب والسرقة فسوف تكون بعد الانتهاء من المعركة والقضاء على بقايا المقاتلين، وليس في أثناء المعركة والكل يدفع باتجاه حسمها لصالحه.

أما الرواية الثانية التي ساقها أبو معشر فهي أقرب إلى الخرافات منها إلى الحقيقة، وكأنه يتكلم عن جيش لا يملك شيئاً من القيم والأخلاق الإنسانية، فنقول الرواية: إن أحد مقاتلي الجيش الشامي دخل على امرأة نساء من الأنصار ومعها صبي، فطلب منها أن تخرج مالا فقالت له: لا يوجد معي مال، ولم يتركوا لي شيئاً، فقال لها إن لم تأتِ بالمال فسوف أقتل الطفل، فقالت له: ويحك إنه ولد ابن أبي كبشة⁴ صاحب رسول الله وتقول عن نفسها: ولقد بايعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم بيعة الشجرة على أن لا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه فما أتيت شيئاً فأتق الله، ويضيف أبو معشر: ثم قالت لابنها والله لو كان عندي شيء لافتديك به قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتشر دماغه في الأرض، فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه⁵.*

¹ خليفة، مصدر سابق، ج2، ص174، انظر أيضاً رواية الواقدي عند أبو العرب، مصدر سابق، ج2، ص176-177. عندما أشار إلى أن مسرح القتال كان عند دور بني الأشهل وقد مر ذكره في الفصل الثالث من اقتحام المدينة وإنهاء الثورة.

² الطبري، مصدر سابق، م3، ص355 (رواية أبو مخنف).

³ الطبري، مصدر سابق، م3، ص355 (رواية أبو مخنف).

⁴ ابن أبي كبشة مولى رسول الله (ص) شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) وهو من فارس أعقبه (ص) وتوفي سنة 13هـ، خليفة، مصدر سابق، ج2، ص174.

⁵ خليفة، مصدر سابق، ص174.

* (أبو كبشة وولد الطفل توفي سنة 13هـ/634م وقول السيدة إنها بايعت الرسول بيعة الرضوان قبل الهجرة وموقعة الحرة كانت سنة 63هـ/683م أي إن عمرها في تلك الموقعة ناهز السبعين فكيف تكون نساء وهي وترضع وطفلها وعمرها أكثر من 70 عاماً

يمكن القول إن المؤرخين لم يتفقوا على حدوث عمليات نهب داخل المدينة وانقسموا إلى أقسام عدة: فمنهم من امتنع عن ذكر ذلك، ومنهم من أكد وقوع عمليات النهب مع أن معظم أدلتهم تعثرها الشكوك والظنون، ومنهم من قال إن هناك من نهب بيته، لأنه قاتل ضد الأمويين أي أنه حصر عملية النهب بمن خرج على يزيد، ومن هنا يمكن القول: إن الجيش الشامي هو جيش الدولة الرسمي، فهو ملتزم وينصاع للأوامر إلى حد كبير، فلم تصلنا معلومات من مصادر ثقة تؤكد حدوث عمليات نهب وسرقة، ولم يخرج علينا ابن عمر وابن عباس وعلي بن الحسين وغيرهم ليقولوا أن الجيش الشامي قد نهب منازلهم أو منازل غيرهم، ومن الواضح أن الروايات التي جاءت لتؤكد أن هناك عمليات نهب هي روايات أبي مخنف الشيعي والواقدي المتهم بالتنشيع والمدائني في بعض رواياته الضعيفة، وأبو معشر في رواياته الخيالية وبالتالي فإذا حصلت عملية نهب فيمكن أن تكون فردية كما حصل مع الجندي الشامي الذي أراد أن ينزع خلخال ابنة عبد الله بن حنظلة الغسيل فدفح حياته ثمن خطئه على يد الزبير بن خزيمة الخثعمي من أهل فلسطين، وزميل الجندي الشامي، وبالتالي لا يمكن لنا أن نعمم هذه الحالة على جيشٍ بأكمله.

أخذ البيعة ليزيد

بعد الاطلاع على الروايات التي جاء بها الإخباريون والمؤرخون، والتي تتناول أخذ البيعة ليزيد بن معاوية عقب الانتهاء من قتال أهل المدينة، يلاحظ بأن روايات عوانة بن الحكم هي الروايات التي اعتمدها معظم من جاء بعده سواء أكانوا من الإخباريين أم من سواهم، وقليلٌ منهم من جاءوا بروايات تتعارض وروايات ابن الحكم، وأولئك هم من حاولوا تشويه صورة مسلم بن عقبة المريّ وسمعة يزيد بن معاوية.

تتناول الدراسة الروايات التي تناولت في متونها أخذ البيعة ليزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المريّ لمعرفة الكيفية التي أخذت بها البيعة ليزيد. وكيف عامل من كانوا يقفون وراء أحداث موقعة الحرّة؟ وكيف استطاع مسلم بن عقبة أن يعيد الأمن والاستقرار إلى المدينة بعد أن خرجت على نظام الحكم الأموي، وأعلنت نفسها أنها لا تخضع لحكمه في محاولة من قادتها لنقل الخلافة إلى شخص آخر متمثلاً بابن الزبير.

ثم تأتي الدراسة إلى الروايات التي جاءت في بداية القرن الثالث الهجري، فهل جاء مضمون تلك الروايات متطابقاً مع ما جاء به الإخباريون والمؤرخون الذين سبقوهم في القرن الثاني؟ أو كان لصاحب تلك المؤلفات أهدافاً مغايرة لأهداف المؤرخين الأوائل ولها علاقة بمذهبهم وفقههم وعقيدتهم وتعرض الدراسة جميع الروايات بالنقاش والتحليل.

لقد اختلفت روايات عوانة بن الحكم في بعض الأمور عن البلاذري والطبري، فقد ذكر البلاذري في رواية الهيثم بن عدي الذي نقل عن عوانة أن أول من أتى للبيعة محمد بن أبي الجهم فقال له محمد: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، ولكن هذا لم يشفع له عند مسلم حيث قال: إن أمير المؤمنين قد حباك وأعطاك، ثم تشهد عليه بشرب الخمر، والله لا تشهد عليه بشهادة زور أبداً فُضِّرت عنقه¹.

أما عند الطبري الذي أخذ رواية عوانة مباشرة منه دون أن ينقلها عن الهيثم بن عدي كما فعل البلاذري، فقد أشار إلى أن مسلم بن عقبة دعا الناس بقباء للبيعة، وأنه طلب الأمان لرجلين من قريش، هما يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ولمعقل بن سنان الأشجعي، ويضيف عوانة في روايته أنه أتى بهما بعد الوقعة بيوم، فقال: لهما بايعا. فقال القرشيان: نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فقال: لا والله لا أقيلكم هذا أبداً، فقدمهما فضرب أعناقهما، فقال له مروان سبحان الله أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما، فَنُخِسَ بالقضيب في خاصرته ثم قال: وأنت والله لو قلت مقاتلتهما ما رأيت السماء إلا برقه².

¹ البلاذري، مصدر سابق، ج 5، ص 347، ابن الأثير، مصدر سابق، ص 119 (بدون إسناد)، العاصمي المكي، مصدر سابق، ج 3، ص 204.

² الطبري، مصدر سابق، م 3، ص 357.

أما فيما يخص عمرو بن عثمان بن عفان، فقد أكد البلاذري في رواية عوانة أنه خرج مع بني أمية المطرودين من المدينة، ثم رجع مع جيش مسلم، وهذا ما ذكره أيضاً أبو مخنف¹ ويضيف البلاذري أن مسلم سبق وأن سأله وهو مطرود عن خبر أهل المدينة فلم يخبره بخبرهم فأغظ له، وقال لولا أنك ابن أمير المؤمنين لقتلتك، فإنك الخبيث بن الطيب، إذا ظهر أهل المدينة قلت: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان. يا غلام، انتف لحيته. فنتفت حتى ما تركت بها طاقة. ثم قام بتوبيخه. ويضيف أنه ضربه بالسياط وقال له: نحن نقاتل عن دولتكم وأنت تكيدها، ويقول البلاذري على لسان عوانة أن مروان بن الحكم تكلم وقال: ابن عمي فقال له مسلم: ومعلل ابن عمي، ويقال إنه وهب له ضربة وخلى سبيله².

أما الطبري فذكر رواية لعوانة تختلف بعض الشيء عما جاء به البلاذري، وذكر أن عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن مع بني أمية المطرودين، ولم يخرج معهم، وبعد أن انتهت المعركة طلب مسلم الناس للبيعة فأوتي بعمرو بن عثمان إلى مسلم بن عقبة، وهنا بدأ مسلم التشهير به قائلاً: "يا أهل الشام تعرفون من هذا؟ قالوا: لا قال: هذا الخبيث ابن الطيب هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين، إذا ظهر أهل المدينة قلت أنا رجل منكم، وإذا ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فأمر به فنتفت لحيته³ وبعد ذلك قام بتوبيخه متفقاً مع البلاذري بكلمات التوبيخ⁴.

وأكمل البلاذري روايته عن عوانة، والتي جاءت لتوضح الكيفية التي تعامل بها مسلم بن عقبة مع علي بن الحسين حين أشار إلى أن علياً جاء إلى مسلم يرافقه مروان وعبد الملك ليطلبا الأمان، فلما رآه مسلم أدناه وقربه وقال: "لولا أن أمير المؤمنين أمرني ببره وإكرامه وعرفت براءته وسلامته ما شفعتكما فيه، ثم أمره بالإنصراف على بغلة وجزاه خيراً⁵، وأضاف ابن الأثير أنه لم يلزمه البيعة مثل أهل المدينة⁶.

أما الطبري فقد جاء بروايتين تتعلقان بعلي بن الحسين وكتاهما لعوانة بن الحكم، فقد جاءت الأولى من عوانة مباشرة. أما الثانية فقد نقلها عوانة عن أبي مخنف على حد قول الطبري.

وتفيد الرواية الأولى أنه أوتي بعلي بن الحسين، إلى مسلم بن عقبة فسأل من هذا قالوا: هذا علي بن الحسين، وعندها رحب به مسلم وقال: مرحباً، مرحباً وأهلاً، ثم أجلسه على السرير

¹ الطبري، مصدر سابق، ص355.

² البلاذري، مصدر سابق، ص347، ابن الأثير، مصدر سابق، ص119، العاصمي المكي، مصدر سابق، ص204.

³ الطبري، مصدر سابق، م3، ص358.

⁴ الطبري، مصدر سابق، م3، ص358.

⁵ البلاذري، مصدر سابق، ص348.

⁶ ابن الأثير، مصدر سابق، ص119، قارن مع ابن أبي الحديد، شرح، ج3، ص259، الدينوري، مصدر سابق، ص266-267 (دون إسناد).

وقال له: إن أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً، وإن هؤلاء الخبيثاء شغلوني عنك وعن صلتك ثم قال: لعل أهلك أفرعوا! قال: أي والله فأمر بدابته فأسرجت ثم حملة فرده¹.

أما الرواية الثانية التي نقلها عوانة عن أبي مخنف، فقد أكد فيها أن علياً جاء إلى مسلم ومعه مروان وعبد الملك وأشار في روايته إلى أن علياً سبق وأن آوى عيال مروان وهو مطرود من أهل المدينة ثم جاءوا إلى مسلم، وطلب مروان بشراب ليحرم بذلك من مسلم، فأوتي بالشراب فشرب منه مروان قليلاً ثم ناوله لعلي، فلما وقع في يديه قال له مسلم: لا تشرب شرابنا فأرعدت كفه، ولم يأمنه على نفسه، وأمسك القدر في كفه لا يشربه، ولا يضعه. فقال مسلم: إنما جئت بين هؤلاء لتأمن عندي، والله لو كان الأمر إليّ لقتلتك، لكن أمير المؤمنين أوصاني بك وأخبرني أنك كاتبته فذلك نافعك عندي، فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك، وإن شئت دعها نغيره، فقال: هذا الذي في كفي أريد قال: اشربها ثم قال: إليّ ها هنا فأجلسه معه².

وأخيراً يكمل البلاذري رواية عوانة بتناوله بيعة علي بن عبد الله بن العباس حين أفاد أن علياً رأى فسطاطاً، فسأل عن صاحبه، فقيل له: فسطاط الحصين بن نمير بن نائل السكوني، فأتاه علياً فاستجار به فأجاره بالخوذة³، وقد حال الحصين بين علي بن عبد الله وبين رسل مسلم التي تطلبه والتف أهل حمص حول الحصين، وأحالوا عليهم بالسياط حتى تركوه، ثم جاء به الحصين إلى مسلم، فبايع ليزيد على السمع والطاعة⁴.

ولم يتطرق الطبري في رواية عوانة إلى بيعة علي بن عبد الله بن العباس، وإنما تناول مقتل معقل بن سنان الأشجعي. ثم تناول الأسباب التي جعلت مسلم بن عقبة يطلب من جميع أهل المدينة أن يبايعوا على أنهم خول ليزيد حيث حدثت قصة في أثناء بيعة يزيد من وهب بن زمعه.

أما معقل بن سنان الأشجعي فقد بعث مسلم يطلبه فأتاه فرحب مسلم به قائلاً: أبا محمد أراك عطشان؟ وطلب له عسل بالثلج، وكان صديقاً له وبعد أن شرب معقل شرابه قال له مسلم: أما والله لا تشرب بعدها شراباً أبداً حتى تشرب من شراب الحميم: قال: أنشدك الله والرحمة، فقال مسلم: أنت الذي لقيتني بطبريا ليلة خرجت من عند يزيد فقلت سرنا شهراً ورجعنا من عند يزيد صفراً، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق، ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين! فيم غطفان وأشجع من الخلع والخلافة! إني آليت بيمين لا الفاك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلت ثم أمر بقتله⁵.

¹ الطبري، مصدر سابق. ص 258.

² الطبري، مصدر سابق. ص 358.

³ بالخوذة أي أن الحصين من اخوال علي بن عبد الله بن العباس وأمه من قبيلة الحصين بن نمير كنديه.

⁴ البلاذري، مصدر سابق. ص 348.

⁵ الطبري، مصدر سابق. ص 357-358، قارن مع رواية عوانة عند الذهبي، تاريخ (61-80) ص 29-30.

والسبب في أن مسلم بن عقبة أقر بأن يبايع الجميع على أنهم خول ليزيد، فهو موقف يزيد بن وهب بن زمعة، حين حضر إلى يزيد من أجل البيعة، فقال بايع، قال: أبايعك على سنة عمر، قال: اقتلوه، قال: أنا أبايعك قال: لا والله لا أقبل لك عثرتك، فكلمة مروان بن الحكم لصهر كان بينهما ، فأمر بمروان فَوُجِبَتْ عنقه، ثم قال: بايعوا على أنكم خول ليزيد بن معاوية ثم أمر بقتله¹.

وجاء خليفة بن خياط برواية لعوانة يؤكد فيها أن يزيد بن زمعة قال لمسلم أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه فأمر مسلم بقتله².

هذه هي الروايات التي جاء بها المؤرخون لعوانة بن الحكم سواءً أكانت الروايات التي اتفق المؤرخون فيما بينهم بكلماتها أم اختلفوا في أسلوب كتابتها، فإنهم جميعاً نسبوها له ولا بد من الاستنتاج من خلال هذه الروايات ما يأتي:

إن عوانة بن الحكم أراد القول في مجمل رواياته السابقة ، إن مسلم بن عقبة قد أخذ البيعة من أهل المدينة مباشرة بعد القضاء على المقاتلين وانتهاء القتال ، ثم قام بإحضار الأشخاص الذين أشاعوا أن يزيد يشرب الخمر ويدع الصلاة، فحرضوا الناس على الخروج والتمرد ، وتحالفوا مع ابن الزبير عدو الأمويين الرئيسي ، لذا رأى مسلم أن العقوبة التي يستحقها هؤلاء هي القتل.

أما الأشخاص الذين لم يخرجوا على يزيد مثل علي بن الحسين وعلي بن عبد الله بن العباس فقد اكتفى مسلم بأخذ البيعة منهم ليزيد علماً أن جميع الروايات التي جاء بها عوانة تؤكد أنه أكرم علي بن الحسين، لأنه وقف موقفاً إيجابياً من الخليفة وراسله كما وقف موقفاً رائعاً مع مروان بن الحكم أثناء طرده من المدينة حين آوى نساءه وحمله، ولهذا استحق أن يكرم .

أما علي بن عبد الله بن العباس فكان موقفه من موقف بني هاشم فقد عارض بنو هاشم الخروج على يزيد كما هو معروف للجميع فلماذا توسط له أخواله بني كنده وبخاصة الحسين بن نمير؟ فلا مبرر لذلك، وعلى الرغم من ذلك فمن المعروف أن مسلم رفض جميع الوساطات التي جاء بها مروان . وساد الاعتقاد أن علي بن عبد الله بن العباس لو لم يجد من يتوسط له ما كان مسلماً قاتله، لأنه لم يخرج على يزيد، وبالتالي فالأمر الطبيعي أن يأخذ البيعة منه وأن يخلي سبيله.

¹ الطبري، مصدر سابق. وقارن مع الذهبي، تاريخ (61-80) ص29 (رواية عوانة).

² خليفة، مصدر سابق ، ص149.

أما أبو اليقظان النسابة، فقد ذكر ما قاله عوانة في رواياته حولبيعة ابن زمعة ومقل بن سنان، وأضاف على رواية عوانة أن مسلم بعث برؤوس أهل المدينة إلى يزيد فلما ألقبت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبيري يوم أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
لأهلوا واستهلوا فرحاً
جزع الخزرج من وقع الأسل
ولقالوا ليزيد لا فشل¹

وأضاف أبو اليقظان أن أحد صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال ليزيد: ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى تستغفر الله قال: والله لا ساكنتك أرضاً أبداً وخرج عنه² وهذه الأشعار كثيراً ما يرددها المعارضون لحكم يزيد في كل المحافل والمناسبات.

أما جويزيه بن أسماء فقد تضمنت روايته ما ذكره عوانة، وأشار إلى أن مسلم دعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد يحكم في أهلهم ودمائهم وأموالهم ما شاء، وعندما تطرق إلى عبد الله بن زمعة قال إنه كان صديقاً ليزيد وصفيّاً له حين رفض البيعة له إلا على أساس أنه ابن عم أمير المؤمنين "يحكم في دمي وأهلي ومالي"³ ورفض وساطة مروان وضرب عنقه⁴.

وجاء ابن عساكر برواية لمصعب بن عبد الله يؤكد فيها أن أول من قدم إلى مسلم يوم البيعة هو محمد بن أبي الجهم، الذي رفض البيعة على أنه عبد قن، بل انه ابن عم كريم حر، ولهذا ضرب عنقه⁵.

واختلف الواقدي بعض الشيء عن الإخباريين الذين سبقوه إذ استقى إحدى رواياته من عوانة ابن الحكم، تلك الرواية التي تناولتبيعة يزيد بن عبد الله بن زمعة، وأضاف أن سبب مقتله هو شهادته على يزيد بشرب الخمر بعد أن أعطاه المال وأكرمه، كما تناول قصة مقتل مقل بن سنان ومقولته بحق الخليفة "سرنا شهراً وأحرثنا ظهراً ورجعنا صفراً ووجدناه يشرب خمرأ، نأتي والله المدينة فنخلع الفاسق بن الفاسق، ونبايع رجلاً من أبناء المهاجرين"⁶ وأضاف قول الشاعر بعد قتل مقل:

ألا تلكم الأنصار تكي سراتها
وأشجع تكي مقل بن سنان⁷

أما الرواية الثانية للواقدي فتناولت ذلك الحديث الذي دار بين أحدهم وأبي جعفر بن علي بن الحسين حين سئل عن الحرّة "هل خرج فيها أحدٌ من أهل بيتك؟ فأجاب: ما خرج فيها

¹ ابن عبد ربه، مصدر سابق ، ج5، ص139.

² ابن عبد ربه، مصدر سابق ، ج5، ص139.

³ خليفة، مصدر سابق ، ص149، الطبري، مصدر سابق ، م3، ص358.

⁴ الطبري، مصدر سابق ، ص149.

⁵ ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج54، ص181-182 (ترجمة محمد بن أبي الجهم).

⁶ البلاذري، مصدر سابق. ج5، ص346-347.

⁷ البلاذري، مصدر سابق ، ج5، ص346-347.

أحد من آل أبي طالب، ولا خرج فيها أحدٌ من بني عبد المطلب، لزموا بيوتهم. وأضاف: أن مسرف وبعد أن قتل الناس سأل عن أبي أحاضرٌ هو؟ فقيل نعم، فقال: مالي لا أراه؟ فبلغ ذلك أبي فجاءه ومعه عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنيفة، فلما رأى أبي رحَّبَ به وأوسع له على سريره ثم قال له: كيف كنت بعدي؟ قال: إني أحمد الله، فقال: مسرف: إن أمير المؤمنين أوصاني بك خيراً، فقال أبي: وصل الله أمير المؤمنين. قال: ثم سألتني عن أبي هاشم والحسن ابني محمد بن الحنيفة فقلت هما أبناء عمي فرحب بهما وانصرفوا من عنده.¹

هذه الرواية تؤكد أن أحداً من آل أبي طالب وآل عبد المطلب لم يخرج يوم الحرّة، وتتفق مع رواية عوانة في مضمونها حول الكيفية التي تعامل بها مسلم بن عقبة مع علي بن الحسين مرحباً به وملاطفاً معاملته، وسوف نشهد في الروايات القادمة ما يتناقض مع هذه الرواية ومضمون تلك الروايات التي تحط من قدر مسلم بن عقبة وهيبته وترفع من شأن علي بن الحسين.

ورواية الواقدي الثالثة أكثر شمولية من روايات عوانة حول أخذ البيعة من أهل المدينة، إذ لم يتطرق عوانة وغيره إلى أحوال القبائل الموجودة داخل المدينة، وكيف أعطت البيعة فجاءت رواية الواقدي لتوضح ذلك، إذ أشار إلى أن بني أمية كانت أول من بايع يزيد من بين العوائل الموجودة داخل المدينة ثم تلتها بنو أسد بن عبد العزي² إذ قال لهم "تبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين ولمن استخلف بعده على أن أموالكم وأنفسكم خول له أن يقضي فيها ما يشاء، فرد القوم بما فيهم يزيد بن عبد الله بن زمعة: نحن نفر من المسلمين لنا ما للمسلمين وعلينا ما عليهم، أبايع لابن عمي وخليفتي وإمامي على ما يبايع عليه المسلمون فقال: الحمد لله الذي سقاني نفسك والله لا أقبلها أبداً لعمرى، إنك لطحان وأصحابك على خلفائك فقدم فضرب عنقه"³.

وجاء محمد سعد كاتب الواقدي ليكمل هذه الرواية ويضيف إليها أن مسلم دعاهم "البيعة يزيد على أنهم أعبد قن في طاعة الله ومعصيته فأجابوه إلى ذلك إلا رجل واحد من قريش أمه أم ولد قال: لا بل في طاعة الله، فأبى أن يقبل ذلك منه وقتله"⁴. ويظهر من هنا أن الزيادات والدسائس بدأت تظهر في روايات المؤرخين الذين سوف يأتون بعد الواقدي، فهذا محمد بن سعد أضاف شيئاً لم يذكره أحدٌ قبله وهي البيعة على طاعة الله ومعصيته، وهذا كفر صريح ويلاحظ هنا أنه كلما ابتعد الزمن عن وقوع الحدث اختلفت الروايات باختلاف ناقليها.

¹ ابن سعد، مصدر سابق، ج7، ص213، الذهبي، سير، ج3، ص325، الذهبي، تاريخ (61-80)× ص28

² ابن عساکر، مصدر سابق، ج58، ص107. (ترجمة مسلم بن عقبة).

³ ابن عساکر، مصدر سابق، ج58، ص107.

⁴ ابن عساکر، مصدر سابق، ج58، ص114 (ترجمة مسلم بن عقبة).

أما المدائني فقد جاء بشيء جديد لم يذكره أحد قبله، فبعد أن أكد رواية عوانة التي تناول فيها أسباب مقتل معقل بن سنان الأشجعي "سرنا شهراً وحسرتنا ظهراً...¹ أضاف قائلاً إن مسلم قال لمعقل: يا تيس أشجع فيما غطفان وأشجع من الخلع والتأمر ثم أمر بقتله². وجاء المدائني برواية للحصين بن نمير السكوني حين أفاد أنه "لما أمر مسلم بقتل معقل وقال: أسألك الرحم قال: ما عندي عند أمير المؤمنين إذا أنا أقتل ابن عمه وتركت ابن عمي فقتله، وأورد المدائني ثلاثة أبيات من الشعر قالها عاصم الأشجعي يرثي فيها معقل بن سنان"³. ونقل المدائني رواية عن هشام بن حسان تتفق في مضمونها مع رواية عوانة حول كيفية مقتل يزيد بن عبد الله بن زمعة وكيف عامل مسلم بن عقبة عمرو بن عثمان بن عفان، ولكن الشيء الجديد الذي أضافه المدائني أن مسلم أسر من وقعوا في يديه وحبسهم ثلاثة أيام دون طعام⁴.

وأضاف في رواية أخرى أنه جيء بسعيد بن المسيب وطلب منه البيعة فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر فأمر بضرب عنقه فشهد له رجل أنه مجنون فخلي سبيله⁵ ويظهر هنا التناقض الكبير والواضح، إذ أن سعيد بن المسيب من فقهاء أهل المدينة يتوسط له رجل غير معروف اسمه فيقبل مسلم وساطته بينما يرفض وساطة مروان بن الحكم وغيره من كبار القوم، وهذا تناقض في الرواية، والحقيقة أن سعيد بن المسيب لم يخرج على يزيد فهو غير متهم عند مسلم ولهذا تركه، لأنه متفرغ للعبادات وأمور الدين، ولا علاقة له بخروج أهل المدينة، ولم يذكر المؤرخون له دوراً في ذلك.

أما رواية اليعقوبي فقد اختلفت عن الروايات السابقة التي أشارت جميعها إلى أن الذين قتلهم مسلم بن عقبة لا يتجاوز عددهم خمسة رجال أثناء أخذ البيعة، بل ذكرت أسماءهم وأسباب مقتلهم، وكانوا من المحرضين على يزيد، وشهدوا عليه بشرب الخمر، وقادوا مقاتلي أهل المدينة، في مواجهات دامية مع الجيش الأموي⁶ انعكست نتائجها سلباً على أهل المدينة وعلى خلافة بني أمية وعلى التاريخ الإسلامي بشكل عام.

جاءت رواية اليعقوبي لتترك لمخيلة القارئ أن أعداداً كبيرة من رجال قريش قتلت لرفضهم البيعة وإقرارهم أنهم عبيد وأفنان ليزيد وقال: "فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال

¹ ابن عساکر، مصدر سابق، ج59، ص365 (ترجمة معقل بن سنان ص357-367).

² ابن عساکر، مصدر سابق، ج59، ص365 (ترجمة معقل بن سنان ص357-367).

³ ابن عساکر، مصدر سابق، ج59، ص365 (ترجمة معقل بن سنان ص357-367).

⁴ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص15.

⁵ ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص732، ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص16.

⁶ كارل، بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1993، ص129.

بايع على أنك عبد قن ليزيد فيقول: لا، فيضرب عنقه¹ وكان مسلم جمع كافة رجال أهل المدينة وصفهم صفاً وبدأ بقتلهم واحداً تلو الآخر.

ثم جاء بشيء جديد عندما تناول علي بن الحسين، إذ أجمعت الروايات السابقة بما فيها رواية أبي مخنف التي نقلها عنه عوانة أن مسلم بن عقبة قد أحسن معاملة علي بن الحسين، وأكد ذلك الواقدي وجاء المدائني برواية علي لسان أبي جعفر بن علي بن الحسين، وجميع الروايات حملت في متونها المضمون نفسه إلا رواية اليعقوبي التي أشار فيها إلى أنه "أتي بعلي بن الحسين فقال: علام يريد يزيد أن أبايعك؟ قال: على أنك أخ وابن عم، فقال: وإن أردت أن أبايعك على أي عبد قن فعلت، فقال: ما أحشمك، فلما رأى الناس إجابة علي بن الحسين قالوا: هذا ابن رسول الله بايعه على ما يريد، فبايعوه على ما يريد"² وكأنه يريد القول إن الأسلوب الذي اتبعه علي بن الحسين وقبوله البيعة كما يريد مسلم أدى إلى حقن دماء أهل قریش، فلو أن علي بن الحسين رفض البيعة كما يريد مسلم لقتل جميع القرشيين لأن لبيعته حداً فاصلاً ما بين إراقة الدماء ووقوف نزيهاً.

وجاءت رواية ابن أعثم الكوفي لتؤكد أن مسلم بن عقبة لم يقتل إلا من خرج على يزيد ويضيف إلى قائمة الأسماء التي قتلت اسمين اثنين هما: عبد الرحمن بن سمرة بن جندب، وهو من بني أمية، وقريب يزيد وعمرو بن أسد بن خزيمية، وحملت رواية ابن أعثم مفاهيم أكثر وضوحاً من الروايات السابقة إذ بدأ روايته مؤكداً أن مسلم بن عقبة قد جلس ليأخذ البيعة من أهل المدينة على باب المسجد، وقال إنه جيء بأبي جهم العدوي، فقال له: بايع على أنك عبد قن. فرد عليه بالقول: "يا سبحان الله كيف أكون عبداً ليزيد، وأنا رجل من قریش معروف الحسب والنسب فضرب عنقه"³.

ثم بعد ذلك جيء بعبد الرحمن بن سمرة بن جندب فقال مسلم: ممن الرجل؟ قال: رجل من بني أمية فقال له بايع يزيد على أنك عبد، فرد عليه: "ما كنت قط إلا حراً فكيف أكون عبداً ليزيد وأنا معه في عبد شمس فضرب عنقه"⁴. ثم جاء بمعقل بن سنان الأشجعي وذكره بالحديث الذي دار بينهما في طبريا وذكره أنه قال: "كم هذا الذل والهوان الذي نحن فيه من الله لئن أصر الله لي في الأجل لأبايعن رجلاً من المهاجرين الأولين إلا أنك وفيت بما قلت، فبايعت لعبد الله بن الزبير وهو لعمرى رجل من المهاجرين الأولين، أضرب يا غلام عنقه

¹ اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص175.

² اليعقوبي، مصدر سابق، ج3، ص157.

³ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص213.

⁴ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق ص214.

فقال: أنا ابن عمك أنا رجل من أشجع وأنت من بني مرة ويجمعني وإياك قيس عيلان فقال مسلم: ولذلك أقتلك فضرب عنقه¹.

ثم قدم إليه عمرو بن أسد بن خزيمة بن أسد فقال: "أنا محمي من أمير المؤمنين. قال مسلم من أجل ذلك خرجت عليه وبايعت ابن الزبير؟ وحاول مروان التوسط له قائلاً: هذا نديم أمير المؤمنين فتعرض مروان لخنق من قبل رجال مسلم حتى سقط وتدخل عبد الملك قائلاً: أيها الأمير حسبك قد أبلغت من الشيخ فقال مسلم: يا عبد الملك أنت عندي أرجى من أبيك، وأبعد منه هممة يراني وقد قتلت ابن عمي معقل بن سنان فيقول: هذا نديم أمير المؤمنين وجليسه².

أما ما حصل مع علي بن عبد الله بن عباس فأعاد ما ذكره السابقون من أن قبائل كندة قد قامت من كل ناحية، لأنه ابن شقيقتهم فخاطبهم مسلم قائلاً: يا معشر كندة: خلعتكم أيديكم من الطاعة؟ قالوا: ما خلعنا أيدينا، ولكن لا نمكنك من ابن اختنا تقتله. فقال: إذن يبايع أمير المؤمنين يزيد. فقالوا: أما البيعة فإنه يبايع. ويضيف ابن أعثم الكوفي المعروف بتشيعة جملة على لسان رجال كنده: "فإنه يبايع على أنه والله أشرف من يزيد وأكرم منه أباً وأماً: فبايع علي بن عبد الله بن العباس يزيد بن معاوية، وتتحى ناحية بين يدي مسلم³، وهذه الجملة التي نسبت لرجال كندة وأنهم قالوها أمام مسلم بن عقبة يعترها كثير من الشك، إذ لا يعقل أن يسيء رجال كندة المعروفين بولائهم للأمويين من أجل علي بن عبد الله بن عباس، وأمام مسلم بن عقبة المعروف بمدى إخلاصه وتفانيه للخليفة يزيد، فقد ذكر المؤلف نفسه أن مسلم هزأً الحصين بن نمير السكوني، ونعته بألفاظ لا تليق بقائد مثل الحصين عندما خرج من المدينة متوجهاً إلى مكة لقتال ابن الزبير، فبعد أن شعر مسلم بدنو أجله قال للحصين: "اسمع مني يا ابن بردعة الحمار، إني قد وليتك هذا الجيش، ولو كان الأمر إليّ ما وليتك غير أن أمير المؤمنين أمرني بذلك...⁴"، فكان الأجدر بالحصين وكندة أن تحتج على هذا الخطاب الذي يحمل الإهانة للحصين شخصياً ولكنة عامة، ولهذا فإن الأرجح أن قبائل كندة ورجالها لم تتلفظ هذه الألفاظ أمام مسلم، ولكنها أضيفت على ألسنتهم حتى يظهر أن آل البيت أظهر من مسلم بن عقبة ومن سواه من البشر، ثم أن مؤرخي الشيعة يضخمون ويكبرون كل قصة لها علاقة بآل أبي طالب وعبد المطلب، ويكمل ابن أعثم الكوفي روايته مضيفاً أموراً لم يذكرها

¹ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق ص214.

² ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق ص215.

³ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق ص215.

⁴ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق، ص216.

من سبقوه من الإخباريين والمؤرخين فقال: إن مسلم بن عقبة سمع صراخاً فاقبل له إنه أتى بعلي بن الحسين وهؤلاء أقاربه بين يديه يصيحون وهذا الأمر لم يذكره أحدٌ من قبله¹.
ويكمل ابن أعثم الرواية أن مسلم وثب وصافحه وقبّله بين عينيه، وأقعدته على سريره قائلاً له: لا بأس عليك إن أمير المؤمنين يزيد يقرأ عليك السلام ، ويقول لك لا تلمني على حبس عطائي لك، إنما شغلني عنك عبد الله بن الزبير، وأنا موجه إليك عطاءك موفوراً ثم أمر له مسلم بألف درهم وقال املوه إلى منزله².

ويظهر من خلال رواية ابن أعثم أن مسلم ويزيد قد تعاملوا مع علي بن الحسين مثل معاملتهم مع الأولياء والأنبياء "إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام" وأنه قبله بين عينيه بعد أن صافحه... في إشارات لها دلالتها أن هذا الرجل ليس كبقية الرجال المسلمين المؤمنين في المدينة، بل إنه له خصوصيات عقائدية ومذهبية تجعله في مستوى أكثر من غيره، وهذا ما يعتقد به رجال الشيعة في فكرهم العقائدي ونظرتهم لآل البيت.

أما المسعودي فلم يختلف كثيراً عن ابن أعثم الكوفي وعن اليعقوبي عندما يتعلق الأمر بعلي بن الحسين وعلي بن عبد الله بن العباس، فذكر أن الناس قد بايعوا يزيد على أنهم عبيد له، ومن أبي ذلك أمره مسرف على السيف³ في إشارة إلى الذين قتلهم مسلم بن عقبة، ولم يوضح المسعودي سبب قتلهم بل أكد أنهم فقط لم يبايعوا له على أنهم عبيد.
وقد ذكر أبيات الشعر التي قالها محمد بن أسلم في موقعة الحرّة:

فإن يقتلونا يوم حرة واقم
فنحن على الإسلام أول من قتل
ونحن تركناكم ببدر أدلةً
وأنا بأسياف لنا منكم قفل⁴

وهذه الأبيات تأتي في هذا الموقع لتوحي للقارئ أن يزيد بن معاوية قد انتقم من الأنصار ومن المهاجرين الذين هزموا قريشاً الكافرة بقيادة أبي سفيان ابن حرب جد يزيد في معركة بدر الكبرى، وحين الوقت ليتشفى بنو أمية المهزومين في معركة بدر من المؤمنين والصحابة الذين هزموهم.

كما جاء المسعودي بشيء جديد فيما يتعلق بأخذ البيعة لعلي بن الحسين، والذي سماه (زين العابدين) وهذا اللقب أطلقه عليه الأئمة الشيعة، إذ أشار إلى أن الناس قد نظروا إلى علي بن الحسين، وقد لاذ بقبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فجاء إليه مسرف وهو مغتاض عليه، ويضيف أن علياً قد تبرأ من مسرف ومن آبائه وأنه توجه إليه، فارتعد مسرف وقام واقعدته

¹ ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق ص 215-216.

² ابن أعثم الكوفي، مصدر سابق ص 215-216.

³ المسعودي، مروج ، ج 3، ص 81.

⁴ المسعودي، مروج ، ج 3، ص 81.

إلى جانبه وقال له: سلني حوائجك فلم يسأله في أحد مما قدم إلى السيف إلا شفعه فيه ثم انصرف¹.

وهذا لم يأت به أحد قبله من الإخباريين أو المؤرخين، بل جاء ليتوافق مع ما ذكره اليعقوبي ولكن بطريقة مغايرة، فاليعقوبي أكد أن سبب حقن دماء أهل قريش يعود إلى علي بن الحسين الذي بايع يزيد بن معاوية كما يريد مسلم بن عقبة، وبعد أن رأى الناس ابن الرسول بايع بهذه الطريقة قاموا وبايعوا، وبهذا فقد حقن دماءهم بعد أن كان مسلم بن عقبة واضعاً السيف على رقابهم، أما المسعودي فجاء بشيء مماثل في النتيجة ومختلف بالشكل، حين أشار إلى أن مسلم قد ارتعد من علي، وأن عليّ قد شفّع لكل رجل أراد، ومسلم بن عقبة سامع ومطيع له دون أن يملك إرادة التكلم بالرفض بسبب هول الموقف. فلماذا كان مسلم بن عقبة بهذه الحال أمام علي بن الحسين؟ أجاب المسعودي قائلاً: "قيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به إليك رفعت منزلته. فقال: ما كان ذلك لرأي ملاً، لقد ملئ قلبي منه رعباً"².

وعندما سئل علي بن الحسين عن سبب تحريك شفّتيه عندما شاهد مسلم أجاب قائلاً "قلت اللهم رب السماوات السبع وما أظللن والأرضين السبع وما أقللن، رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ به من شره، وأورد بك في بحرهِ أسألك أن تؤتيني خيرهِ وتكفيني شره"³.

وأشار المسعودي إلى أن علي بن عبد الله بن العباس قد منع عن مسلم بن عقبة حيث حمّاه أخواله من كندة، وأناس من ربيعه كانوا في جيشه فقال علي شعراً في ذلك:

أبي العباس قرّم بني لؤي	وأخوالي الملوك بني وليعة
هم منعوا ذمّاري يوم جاءت	كتائب مسرف وبني اللكيعة
أراد ليّ التي لا عز فيها	فحالت دونه أيدي ربيعه ⁴

وأخيراً جاء صاحب الإمامة والسياسة ليؤكد وجود أسرى، فأمر مسلم أن يؤتى بهم فجاءوا مغلولين بالحديد، ودعا إلى بيعة يزيد وأشار إلى أن أول من بايع كبير بني أمية، مروان بن الحكم ثم أكابر بني أمية، حتى أتى على آخرهم ثم دعا بني أسد، وكان عليهم حنقاً فطلب البيعة ليزيد ولمن استخلف عليكم بعده على أموالكم ودمائكم وأنفسكم حول له يفضي

¹ المسعودي، مروج، ج3، ص81.

² المسعودي، مروج، ج3، ص81.

³ المسعودي، مروج، ج3، ص81.

⁴ المسعودي، مروج، ج3، ص81.. قارن هذه الأبيات مع رواية الهيثم بن عدي عند البلاذري، ج5، ص348-349 ومع ابنه الأثير، الكامل، م4، ص120.

منها ما شاء، فرد عليه عبد الله بن زمعة: إنما نحن نفر من المسلمين لنا ما لهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا أقيلك ولا تشرب البارد بعدها فأمر به فضرب عنقه¹.

هذه الرواية تتفق مع ما جاء به ابن أعثم الكوفي وتختلف معه أنه قال إن مسلم أخذ البيعة في المسجد وتختلف كلياً مع ما ذكره عوانة وغيره من أن سبب مقتل عبد الله بن زمعة هو شهادته على يزيد بشرب الخمر، وأنه حرّض على يزيد أهل المدينة، وذكر أنه جيء بمعقل بن سنان وذكر مضمون ما جرى بينه وبين مسلم، ويضيف أنه أوتي بمحمد بن أبي الجهم وجماعة من وجوه قريش والأنصار، وخيار الناس والصحابة والتابعين، ثم أوتي بعبد الله بن الحارث مغلولاً. وهذا الاسم يرد لأول مرة في الروايات التي تناولت الحرّة، فقال له مسلم: أنت القائل: اقتلوا سبعة عشر رجلاً من بني أمية لا تروا شراً بعدها. قال: قد قتلها، ولكن لم يسمع من أسير أمر، أرسل يديّ وقد برئت مني الذمة، وأخيراً قام مسلم بقتله².

واحتج على قتله مروان بن الحكم قائلاً: قد والله سقيتني من دماء هؤلاء القوم إلا ما كان من قريش، فإنك أتخنتها وأفنيتها فقال مسلم: والله لا أعلم عند أحد غشاً لأمير المؤمنين إلا سألت الله أن يسقيني دمه. فقال مروان عند أمير المؤمنين عفو لهم وحلم عنهم ليس عندك³.

ويضيف صاحب الإمامة والسياسة: أن مروان جعل يعتذر لقريش ويقول: "لقد ساعني قتل من قتل منكم، فقالت له قريش أنت والله الذي قتلنا ما عدرك الله ولا الناس، لقد خرجت من عندنا وحلفت لنا عند منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتردّتهم عنا! فإن لم تستطع لتمضين ولا ترجع معهم فرجعت ودللت على العورة وأعنت على الهلكة فإله لك الجزاء"⁴.

من خلال ما تقدم يتضح أن صاحب الإمامة والسياسة قد جاء بشيء لم يذكره أحدٌ قبله فذكر اسماً لم يتناوله المؤرخون السابقون وهو عبد الله بن الحارث ومقولته، وما دار بين مسلم ومروان من حديث، واعتذار مروان لقريش التي حملته مسؤولية قتل أهل المدينة.

والذي جاء به صاحب الإمامة والسياسة من الناحية العملية صحيح، فمروان هو من رجع مع الجيش الشامي، ودلهم على عورات أهل المدينة، ولكن لماذا لم يذكر هذا الحديث أحد من الإخباريين السابقين، ومن أين استقى المؤلف هذه الروايات التي تحمل في ثناياها دلالات لها علاقة بخلافة بني أمية؟، لأن من المعروف أن مروان بن الحكم قد تولى الخلافة فيما بعد، وأصبح أباً لخليفة وجداً لأربعة خلفاء من بعده، واستمرت الخلافة الأموية في بيته حتى سقطت بعد هذا التاريخ بأكثر من سبعين عاماً فلماذا يأتي صاحب الإمامة والسياسة بروايات تحمل مروان مسؤولية موقعة الحرّة، ولا يأتي بالروايات التي جاء بها الإخباريون الأولون

¹الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص172.

²الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص172-173 وقارن بين هذه الرواية وما جاء في الجزء الثاني لنفس المؤلف.

³الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص173 قارن مع ج2 لنفس المؤلف.

⁴الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج1، ص173 قارن مع ج2 لنفس المؤلف.

مثل عوانة وأبي مخنف والواقدي وأبو اليقظان وغيرهم حين أشاروا جميعاً إلى أن من قتل بعد انتهاء الموقعة إنما كانوا من قادة أهل المدينة.

وبعد، يمكن القول إن مسلم بن عقبة، وبعد أن سيطر على المدينة من الناحية العسكرية والأمنية، طلب مباشرة البيعة ليزيد مرة ثانية بعد أن خلعه أهل المدينة قبل موقعة الحرّة، فمن الطبيعي أن يبايع كل مسلم خليفته سواءً أكان من الناحية الشرعية أم من الناحية الأمنية والسياسية.

لقد جاءت روايات عوانة بن الحكم لتؤكد أن مسلم قام بأخذ البيعة من أهل المدينة مرة ثانية، وأشار إلى الأشخاص الذين قام يزيد بقتلهم بسبب مواقفهم السابقة، حيث شهدوا على يزيد بشرب الخمر وحرصوا أهل المدينة على الخروج عليه، وكانوا سبباً للبلاء الذي حلّ بأهل المدينة المنكوبة، وسبباً في قتل رجالها وتشويه تاريخ يزيد وبني أمية عموماً وتكليف الدولة أموالاً طائلة لو وضعت في معركة مع العدو لكان خيراً للأمة. ويلاحظ أن الفترة الزمنية الواقعة بين القرن الثاني للهجرة وبداية القرن الثالث للهجرة وتحديدًا منذ وفاة عوانة بن الحكم (157) الذي جاء بأكثر الروايات وأشملها مروراً بأبي اليقظان وإنهاء بالواقدي (207) فقد كانت جميع الروايات في هذه الفترة تحمل نفس الدلالة والمضمون، وتؤكد أن مسلم بن عقبة لم يأخذ البيعة إلا من أجل المصلحة العامة، ومصصلحة الخلافة، وأنه رفض كل الوساطات التي تحول بينه وبين قتل الخارجين على القانون بالمصطلح الحديث، فقام بقتلهم دون تمييز بين قريب وبعيد حتى يكونوا عبرة لغيرهم بعدم الخروج على الخليفة مرة ثانية، وهذه هي عقيدة مسلم بن عقبة العسكرية كفائد عسكري للجيش الأموي في فرض الأمن والاستقرار في دولة بني أمية.

ثم جاءت بعد ذلك الروايات التي كتبت في ظل الحكم العباسي، وأغلب كاتبها من الشيعة الذين صبوا غضبهم على حكم بني أمية، وخلافة يزيد تحديدًا، فبدأوا التشويه في تاريخه مضيفين لروايات الإخباريين السابقين أموراً لم يسمع بها أحدٌ قبلهم، ثم يقلبون الحقائق بما يتلاءم مع فكرهم ومعتقدهم ومذهبهم، وهنا يجب التنبيه لمقاصدهم والوقوف على رواياتهم ومقارنتها بالروايات الأولى التي هي أقرب إلى الحدث مكاناً وزماناً، حتى لا يقع القارئ ضحية لأفكارهم وأهدافهم.

الاعتداء على النساء

بعد الاطلاع على الروايات التي جاء بها الإخباريون والمؤرخون الذين اعتمدوا في هذه الدراسة، وعاشوا في القرن الثاني حتى نهاية القرن الرابع للهجرة، لم يذكر أي منهم وجود حالات هناك للأعراض باستثناء اليعقوبي (292هـ/905م) في تاريخه الذي قال: وأباح حرم رسول الله حتى ولدت الأ Bakar لا يعرف من أولدهن¹ وهذه أول إشارة وصلت بهذا الخصوص.

أما جميع الإخباريين السابقين الذين عاشوا قبل اليعقوبي بأكثر من مائة عام ونيف بما فيهم أبو مخنف (157هـ/774م) والواقدي (207هـ/822م) وأبو معشر (170هـ/787م) وأبو اليقظان (190هـ/806م) وغيرهم مما عرفوا بتعاطفهم مع أهل المدينة أو بتبنيهم للمذهب الشيعي، فلم يرد لديهم أية رواية تتحدث عن هذا الأمر.

وأكبر الإخباريين الذين تناولوا موقعة الحرّة هو محمد بن عمر الواقدي (207هـ/822م) المتهم بالتشيع، وكذلك تلميذه ابن سعد (230هـ/845م) الذي ألف كتابه المعروف بالطبقات، فلم يذكر في مؤلفه أن حصل اعتداء على الأعراض، ثم جاء خليفة بن خياط (240هـ/855م) المعروف بدقة تاريخه وتحريه الصواب في رواياته فلم يذكر شيئاً من هذا، وجاء أعظم المؤرخين في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع وهما البلاذري (292هـ/905م) والطبري (310هـ/922م) ولم يذكر شيئاً مما ذكره اليعقوبي، وكذلك لم يذكر الدينوري (282هـ/895م) في كتابه "الأخبار الطوال" شيئاً من هذا، أما ابن أعمم الكوفي (314هـ/926م) الشيعي فأكد أن الجيش الشامي قد فجر بالنساء² وجاءت روايته كرواية اليعقوبي دون إسناد أو دليل على صحة ما جاء به.

وتتابع المؤرخين بعد ذلك فجاء ابن عبد ربه (328هـ/940م) بالعقد الفريد، فلم يذكر شيئاً من هذا القبيل، وسار على نهجه المسعودي (348هـ/959م) وهو المعروف بتحامله على الخلافة الأموية، حيث حاول جاهداً أن يظهر كل ما يسيء أو يشوه تاريخ يزيد، إلا أنه لم يذكر أنه حصل شيء لنساء أهل المدينة.

أما صاحب الإمامة والسياسة الذي يعتقد أن صاحبه قد توفي في منتصف القرن الثالث للهجرة، فقد ذكر في الجزء الثاني من كتابه عبارة "فضحت النساء"³ دون أن يشير إلى ذلك

¹ اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص172.

² ابن أعمم الكوفي، مصدر سابق، ص126.

³ الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ج2، ص187.

في الفصل الأول، علماً أن الفصل الأول قد تناول أحداث موقعة الحرّة بأدق تفاصيلها، وجاء بكل شيء جديد إلا أنه لم يذكر أن مُست نساء المدينة بسوء.

أما البستي (354هـ/965م) في مؤلفه "مشاهير علماء الأمصار" وأبو الفرج الأصفهاني (356هـ/967م) في مؤلفه "الأغاني" و"مقاتل الطالبين" فلم يذكر أن حصل شيء، أو أن تعرضت النساء لأي أذى.

ومن الواضح أن أول المؤرخين الذين قالوا بوجود حالات الاعتداء على الأعراس هو اليعقوبي المتوفى في نهاية القرن الثالث للهجرة (292هـ/905م) وموقعة الحرّة وقعت سنة 63هـ، أي أن المسافة التي تفصل بين وقوع الحرّة ووفاة اليعقوبي ما يقارب 229 عاماً. فلماذا لم يذكر أحداً من الإخباريين أو المؤرخين الذين كانوا قريبي العهد من الحرّة هذا الشيء؟.

وفي النهاية يمكن القول أن اليعقوبي المعروف بإتتمائه للمذهب الشيعي جاء بمعظم رواياته دون إسناد، ولهذا لا يمكن قبولها أو اعتمادها، لأنها غير مسندة. إلا إذا كانت تتوافق مع ما ذكره الاخباريون الثقات . وحديثه عن الاعتداء على الأعراس لم يذكره أحد قبله، فهو إذن من بناء خياله وأفكاره، ولا يجوز اعتماده أو الأخذ به . وما ينطبق على روايات اليعقوبي غير المسندة ينطبق على روايات ابن أعثم الكوفي (314هـ/926م) المعروف بنشيعه. أما صاحب الإمامة والسياسة، فغالباً ما كان يسند رواياته، أما عندما تناول الاعتداء على الأعراس وقال: "وَفُضِّحت النساء"، فلم يسند هذه الرواية، وهذا يؤكد ضعفها، فلا يمكن قبولها واعتمادها.

وهنا لا بد من الاستفسار، لماذا لم يذكر أحد من أهل المدينة الذين عايشوا الحدث مثل هذه الأعمال القبيحة؟ فمن المعروف أن عبد الله بن جعفر قد ذكر له المؤرخون روايات تتكلم عن أمور حدثت قبل الحرّة وبعدها، فلماذا لم يذكر شيئاً عن هذا وهو الموتور بقتل إثنين من أبنائه على يد الجيش الشامي يوم الحرّة.

وهل يعقل أن يصمت عبد الله بن عمر وعلي بن الحسين ومحمد بن الحنفية وعلي بن عبد الله بن العباس وأبو سعيد الخدري وسعيد بن المسيب وغيرهم كثير من فقهاء الأمة على وقوع مثل هذا الشيء علماً أن بعض الإخباريين و المؤرخين قد ذكروا أن بن عمر قد ندم لعدم نصره بني أمية، وقال عنهم "أنهم ظلموا بطردهم من المدينة"، ولم ينقل أحداً من الإخباريين أو المؤرخين رواية على لسان ابن عمر يؤكد أنه غير موقفه من بني أمية بعد انسحاب الجيش الشامي من المدينة، وهذا ما ينطبق على بقية أسماء الفقهاء وكبار أهل المدينة آنفة الذكر إذ وقفوا جميعاً موقفاً محايداً أو موقفاً قريباً من موقف يزيد حتى يسترد السلطة

الشرعية على المدينة بعد أن فقدتها على أيدي مقاتلي أهل المدينة الذين خرجوا على الإمام وشقوا عصى الطاعة له .

ولا يعقل أن يقوم الجيش الشامي باغتصاب نساء أهل المدينة، لأنهم قاتلوا بقناعة تامة مفادها أن قسماً من رجال أهل المدينة قد خرجوا على خليفتهم، وكان من الواجب الديني عليهم كحماة للديار الإسلامية أن يعيدوا هذا الجزء إلى حاضنته كما كان سابقاً، وكانوا يقاتلون بدوافع دينية محضة ، وهذا الأمر أوردته مسلم بن عقبة أثناء خطابه بهم أثناء القتال في المدينة إذ إن من الواجب الشرعي أن يقوم جيش الخليفة بالقضاء على كل من يخلع الخليفة بعد أن يقوموا بمبايعته. هذا الأمر فهمه ابن عمر عندما حاول اقناع ابن عمه عبد الله بن مطيع قائلاً له: "انما جئت لأحدثك حديثاً سمعته عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: من نزع يد عن طاعة فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له، ومن مات مفارق الجماعة، فإنه يموت ميتة الجاهلية"¹، فهل يعقل أن يكون هذا الجيش بهذه الأخلاق البربرية المتوحشة؟.

وقد ساق ابن عساكر رواية للمدائني أكد فيها أن أحد مقاتلي الجيش الشامي ويدعى الزبير بن خزيمة الخثعمي قد قتل جندياً شامياً لأنه كان ينازع امرأة من المدينة خلخالها بعد أن استنجدت، وأخذت تصرخ أما دين أما حمية أذهبت العرب؟ علماً أنها ابنة قائد مقاتلي أهل المدينة عبد الله بن حنظلة² ولكن النخوة العربية والثقافة الدينية التي كان يتحلى بها المقاتلون الشاميون قد انتصرت لنداءات تلك المرأة فدفع الجندي حياته ثم خسته ونذالته، فهل يعقل أن يقوم ألف جندي شامي من أصل خمسة آلاف، باقتراف الزنا من ألف امرأة بكر كما قالت بعض الروايات المتأخرة ؟ وهل يوجد في المدينة آنذاك ألف بنت بكر لم يتزوجن؟ فكم كان عدد النساء المتزوجات إذن؟ وكم كان عدد سكان المدينة في هذه الحالة؟.

ثم هل من المعقول أن تحمل جميع النساء دفعة واحدة ؟ وكأنهن كنّ جاهزات للحمل إلا إذا كان يقصد من هذه الرواية أن جميع الجيش الشامي وقعوا على نساء المدينة، فحملت منهن ألف امرأة.

إن ورود رواية هناك الأعراض بعد وقوع الحدث بأكثر من قرنين وثلاث دون أن يسمع بها أحد من المؤرخين يدل دلالة واضحة على أنها وضعت لاحقاً، ولا أساس لها من الصحة ولا يوجد دليل يؤكد حدوثها.

¹ ابن كثير، مصدر سابق ، ج5، ص747 (رواية أبو القاسم البيهقي عن هشام بن زيد بن أسلم)
² ابن عساكر، مصدر سابق ، ج18، ص324 (ترجمة الزبير بن خزيمة الخثعمي).

خاتمة الدراسة

من خلال تحليل الروايات التاريخية وتفتيحها حسب قرب صاحبها من الحدث مكاناً وزماناً، خلصت الدراسة إلى أن هناك تضارباً كبيراً واختلافاً واضحاً انعكس في مضمون تلك الروايات. وقد تجلّى هذا التضارب بصورة واضحة في كيفية عرض المؤرخين لموقف يزيد من الثوار وطريقة إنهاء هذه الثورة. فقد اختلفت الروايات في ذلك، وانقسمت إلى قسمين: القسم الأول يفيد أنه استعد للمعركة منذ سماعه نبأ أهل المدينة، ويؤكد القسم الثاني أنه استخدم الطرق السياسية والدبلوماسية كافة لكي يتجنب وقوعها، وأنه اضطر لحسم الأمر باستخدام القوة العسكرية عندما فشلت الأساليب السياسية .

واختلف الأخباريون والمؤرخون في تحديد أسباب الخروج على يزيد، فمنهم من رأى أن العامل الديني هو الأساس، حيث عزا ذلك إلى سلوك يزيد، وتعديه على حدود الكتاب والشرع ، وأنه كان يسكر ويدع الصلاة ، ومنهم من جعل العامل السياسي وراء خروجهم ، في حين أكد آخرون أن العامل الاقتصادي وراء حركة أهل المدينة، ومنهم من حمل مسؤولية موقعة الحرّة لمعاوية بن أبي سفيان والد يزيد حيث ساق رواية تقول إن معاوية أوصى ابنه يزيد قبل وفاته بأن يضرب أهل المدينة على يد مسلم بن عقبة المريّ ، وكأنه يقول: إن الأمويين كانوا يتحينون الفرص لضرب أهل المدينة مهما كان السبب. بينما أشارت روايات أخرى أن يزيد غضب من أهل المدينة، ولكنه بذل ما في وسعه لحل الموضوع مع من خرجوا عليه من أهل المدينة بالطرق السلمية مقابل أن يتراجعوا عن غيهم، ووعدهم بعتابين في السنة صيفاً وشتاءً، وأن يجعل سعر الحنطة في المدينة كسعرها في الشام... وقد اختلف بعضهم في تحديد اسم قائد الحملة فهو الضحّاك بن قيس أو مسلم بن عقبة أو غيرهما من هذه الأسماء التي تم ترشيحها لقيادة هذه الحملة .

أما استعدادات أهل المدينة لمواجهة الجيش الشامي فقد تمثلت بروايتين : الأولى تشير إلى أن أهل المدينة قد خرجوا بجموع كبيرة، وبهيبته لم ير مثلها لقتال الجيش الشامي ،والثانية تذكر أسماء أمراء أهل المدينة الذين تولوا مسؤولية قتال الجيش الشامي منهم عبد الله بن مطيع العدوي، وكان أميراً على قريش، وعبد الله بن حنظلة الغسيل الذي كان أميراً على الأنصار، ومعمل بن سنان كان أميراً على قبائل المهاجرين .

أشارت بعض الروايات التاريخية إلى أن الجيش الشامي اقتحم المدينة، واختلفت في كيفية ذلك فأشارت إحدى الروايات إلى أن الاقتحام حدث بعد أن سمح أهل المدينة لبني أمية ومواليهم بالخروج من المدينة شريطة أن لا يساعدوا جيش مسلم بن عقبة، وأخذوا عليهم الإيمان أن لا يرجعوا معهم لقتالهم، وأن يردوا عنهم هذا الجيش إن استطاعوا بينما ذكرت رواية أخرى أن الجيش الشامي اقتحم المدينة من جهة بني حارثة، إذ دخل المدينة بعد أن

سمح له أفراد هذه العائلة بالدخول وأورد آخرون أن الجيش الشامي عسكر بمنطقة الجرف على بعد ثلاثة أميال من المدينة وأخذوا يحدقون بالمدينة من كل ناحية، ولا يجدون مدخلاً بسبب الخندق وأخذوا يطوفون حوله، والناس يرمونهم بالحجارة والنبل .

وخلصت الدراسة من خلال الروايات التاريخية ان ما نسب إلى يزيد من سلوكيات ما هو إلا مبرر ساقها عبد الله بن الزبير، طمعاً في تحية يزيد عن الحكم من أجل السيطرة على مكة وسائر الحجاز. كما أظهرت الدراسة من خلال الروايات التي نسبت إلى المعارضة (الشيعة) أن يزيد حاول بكل الوسائل ليجنب أهل المدينة هذا القتال، لكن الوساطات لم تفلح بذلك. حيث أصر قادة أهل المدينة على قتال الجيش الشامي، حتى لو كان متوجها لقتال ابن الزبير، في إشارة ضمنية تؤكد أن ابن الزبير يقف وراء حركة أهل المدينة.

كما أن الروايات التي ذكرت أعداد القتلى تفتقر إلى دليل واضح. ولم تكن مسندة. وكان الأكثر قرباً للمنطق أن عدد القتلى يوم الحرة هو 306 من الرجال الذين ذكرت اسماءهم كاملة. ويسود الاعتقاد أنهما استمدت من ديوان العطاء الذي كان يسجل اسماء المقاتلين.

لم تذكر روايات القرن الثاني والثالث الهجري على اختلاف مذاهب أصحابها وميولهم السياسية واعتقاداتهم الفقهية قضية اغتصاب نساء المدينة من قبل الجيش الشامي، ولم يذكر كبار المؤرخين في القرن الرابع هذا الأمر، وهذا يدل على أنهم لم يسمعوا به، أو من جاء بهذه المعلومة غير ثقة، ولهذا أعرضوا عن ذكرها. وأول إشارة وردت حول هذا الموضوع جاءت في كتاب اليعقوبي (292هـ)، حيث جاءت روايته بدون إسناد. أما بخصوص نهب بيوت أهل المدينة وسلوكيات أخرى. فأكدت الروايات حدوث نهب لبعض البيوت، وبذلك تستنتج الدراسة ان هناك تصرفات فردية وقعت من قبل بعض الجنود، ولم يكن الأمر بقرار سياسي أو عسكري من قبل قائد الجيش.

أخيراً: اتفقت معظم الروايات على أن موقعة الحرّة وقعت لثلاث ليالي بقين من ذي الحجة سنة 63هـ/683م ، بينما أشار الطبري إلى أن الموقعة وقعت لليلتين بقيتا من ذي الحجة يوم الأربعاء سنة 62هـ/682م

واجتمعت الروايات التاريخية المختلفة على ان مسلم بن عقبة قد أخذ البيعة ليزيد من جميع اهل المدينة بعد انتهاء القتال، كما ذكرت بعض الروايات مقتل الأشخاص الذين كانوا سبباً في موقعة الحرّة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (630هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق خليل محمود شيحا. ط1. بيروت: دار المعرفة، 1997.
3. ----- الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ب ت.
4. ابن أبي الحديد، (655هـ). شرح نهج البلاغة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. بيروت: دار الجيل، 1996.
5. ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (597هـ). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. راجعه وصححه نعيم زرزور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م.
6. ابن العبري، غريغوريوس الملطي. تاريخ مختصر الدول. ط3. بيروت: دار المشرق، 1992م.
7. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (1089هـ). بيروت: دار الفكر، 1988م.
8. ابن النديم. الفهرست. اعتنى بها وعلق عليها الشيخ إبراهيم رمضان. ط1. بيروت: دار المعرفة، 1994.
9. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (874هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة. ج1+ج2.
10. ----- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. ج3.
11. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (852هـ). لسان الميزان. اعتنى بإخراجه وطباعته سلمان عبد الفتاح أبو غدة. ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2002م.
12. ----- تهذيب التهذيب. باعتهاء إبراهيم الزبيق وعادل مرشد. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996.

13. ابن حنبل، أحمد بن محمد (241هـ). الجامع في العلل ومعرفة الرجال. ط1. بيروت: موسوعة الكتب الثقافية، 1990.
14. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (681هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ب ت.
15. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ). كتاب الطبقات الكبير. تحقيق علي محمد عمر. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي. 2001م.
16. ابن سيد الناس. عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1982م.
17. ابن شاهين، عمر بن أحمد بن عثمان (385هـ). تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم. تحقيق عبد المعطي أمين قلججي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986.
18. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد. الإستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق علي البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل، ب ت.
19. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (328هـ). العقد الفريد تحقيق عبد المجيد الزحيني. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.
20. ابن عدي، أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني (365هـ). الكامل في ضعفاء الرجال. تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.
21. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (571هـ). تاريخ مدينة دمشق. تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. بيروت: دار الفكر، 1995.
22. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (276هـ). المعارف تحقيق ثروت عكاشة. ط6. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.
23. ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (774هـ). البداية والنهاية. تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي. ط1. بيروت دار الفكر، 1996.
24. ابن معين، يحيى بن معين بن عوف المري الغطفاني البغدادي (233هـ). تاريخ يحيى بن معين. تحقيق عبد الله أحمد حسن. بيروت: دار القلم، ب ن.

25. أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم بن تمام. المحن. تحقيق عمر سليمان العقيلي. ط1. السعودية: دار العلوم، 1984م.
26. الأصبهاني، أبي الفرج (356هـ). الأغاني. شرحه وكتبه همامه الأستاذ عبد علي مهنا والأستاذ سمير جابر. بيروت: دار الفكر، ب ت.
27. ----- مقاتل الطالبين. شرح وتعليق السيد أحمد صقر. بيروت: دار المعرفة. ب ت.
28. الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (430هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الفكر 1996.
29. الأصفهاني، عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد (597هـ). البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان. مخطوطة أحمد الثالث باستانبول رقم 2959 ومخطوطة بوديان بجامعة اكسفورد تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2002.
30. البخاري، إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (256هـ). التاريخ الكبير. ب م: دار الفكر، ب ت
31. البستي، محمد بن حبان (354هـ). تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار تحقيق بوران الضفاوي. ط1. "بيروت: دار الكتب العلمية، 1988".
32. ----- مشاهير علماء الأمصار. وضع حواشيه وعلق عليه مجدي بن منصور الشورى. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1995.
33. البغدادي، أحمد بن علي الخطيب (463هـ). تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب العلمية. ب ت.
34. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (279هـ). أنساب الأشراف. حققه وقدم له سهيل زكار ورياض زركلي. ط1، بيروت: دار الفكر، ب ت.
35. ----- أنساب الأشراف. تحقيق إحسان عباس. ط1. بيروت: دار النشر، 1996م.
36. ----- أنساب الأشراف. القسم الثاني من الجزء السادس حققه وقدم له خليل عثمانة. اورشليم القدس: معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية/الجامعة العبرية في أورشليم، 1993م.

37. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ). البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، ب ت.
38. الحموي. معجم الأدياء. ط3. ب م: دار الفكر، 1980م.
39. خليفة بن خياط، أبي عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (240هـ). تاريخ خليفة بن خياط. ط1. راجعه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز. بيروت: دار الكتب العلمية، 1995.
40. الدار قطني، علي بن عمر بن أحمد (385هـ). ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم. تحقيق بوران الضفاوي وكامل يوسف الحوت. ط1. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1985.
41. ----- الضعفاء والمتروكين. تحقيق صبحي البدري السامرائي. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986.
42. الدولابي، محمد بن أحمد بن حماد (310هـ). الكنى والأسماء. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1999.
43. الدينوري، أحمد بن داود (282هـ). الأخبار الطوال. تحقيق عبد المنعم عامر. مراجعة جمال الدين الشيال. ط1. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1960م.
44. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ). سير أعلام النبلاء. ج2. حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990.
45. ----- سير أعلام النبلاء. ج3. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه. شعيب الأرنؤوطي. حقق هذا الجزء. محمد نعيم العرقسوس ومأمون صاغرجي. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990م.
46. ----- سير أعلام النبلاء. ج10. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج شعيب الأرنؤوطي. حقق هذا الجزء محمد نعيم العرقسوس ومأمون صاغرجي. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990م.
47. ----- سير أعلام النبلاء. ج5. أشرف على تحقيق الكتاب وحقق هذا الجزء شعيب الأرنؤوط. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990.
48. ----- سير أعلام النبلاء. ج7. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط. حقق هذا الجزء علي أبو زيد. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990.

- 49.----- سير أعلام النبلاء ج 10. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط. حقق هذا الجزء علي أبو زيد. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990 .
- 50.----- سير أعلام النبلاء ج 9. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوطي. حقق هذا الجزء كامل الخراط. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990.
- 51.----- سير أعلام النبلاء ج 14. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوطي. حقق هذا الجزء أكرم البوشي. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990،
- 52.----- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام (حوادث ووفيات 61-80هـ). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990.
- 53.----- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام (حوادث ووفيات 131-140هـ). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990.
- 54.----- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام (حوادث ووفيات 141-160هـ). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990.
- 55.----- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام (حوادث ووفيات 161-170هـ). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990.
- 56.----- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام (حوادث ووفيات 201-210هـ). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990.
- 57.----- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام (حوادث ووفيات 261-270+271-280هـ). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990.

- 58.----- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام (حوادث ووفيات 301-
310هـ). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي،
1990.
- 59.----- دولة الإسلام. حققه وعلق عليه حسن إسماعيل مروة. ط1. بيروت:
دار صادر، 1999.
- 60.----- الإعلام بوفيات الأعلام. تحقيق مصطفى بن علي عوض و ربيع أبو
بكر عبد الباقي. ط1. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1993.
- 61.الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن أدريس التميمي الحنظلي (327هـ) -
الجرح والتعديل. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية،
2002م.
- 62.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ). طبقات الحفاظ. تحقيق علي محمد
عمر. ط2. القاهرة: مكتبة وهبة، 1994.
- 63.الشيرازي، أبي اسحاق (476هـ). طبقات الفقهاء. تصحيح ومراجعة خليل الميس.
بيروت: دار العلم، ب ت.
- 64.الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت764). الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد
الأرنؤوط وتركي مصطفى. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م.
- 65.----- نكت الهميان في نكت العميان. ط1. بورسعيد. مكتبة الثقافة
الدينية، 2000م.
- 66.الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (310هـ). تاريخ الطبري تاريخ الأمم
والملوك. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية، 1991.
- 67.العاصمي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي (ت1111هـ). سمط
النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي. تحقيق وتعليق عادل عبد الموجود
وعلي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
- 68.العقيلي، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي. الضعفاء الكبير. تحقيق
عبد المعطي أمين تلججي. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
- 69.القضائي، أبي عبد الله محمد بن سلامة (ت454هـ). عيون المعارف وفنون أخبار
الخلايف. تحقيق نشأت بن كمال المصري. ط1. مصر: البدر، 2008.

70. القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (624هـ). انباء الرواة على انباه النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. بيروت: المكتبة العصرية، 2004.
71. الكتبي، محمد بن شاکر (764هـ). فوات الوفيات والدليل عليها. تحقيق احسان عباس. بيروت: دار صادر، ب ت.
72. الكوفي، أحمد بن اعثم (ت 314هـ). الفتوح. تحقيق سهيل زكار. ط1. بيروت: دار الفكر، 1992م.
73. مجهول المؤلف . الإمامة والسياسة. علق عليه ووضع حاشيته خليل المنصور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.
74. المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (742هـ). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا. بيروت: دار الفكر، 1994م.
75. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (346هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام. ط1. بيروت: دار الفكر، 1997م.
76. ----- التتبيه والإشراف. طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل، 1893.
77. النيسابوري، محمد بن عبد الله الحافظ. معرفة علوم الحديث. اعتنى بنشره والتعليق عليه مع ترجمة المصنف السيد معظم حسين. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، 1977م.
78. اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي (292هـ). تاريخ اليعقوبي. علق عليه ووضع حاشيته خليل منصور ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.

قائمة المراجع:-

79. أسعد، هاني حسين أحمد. "العطاء في صدر الإسلام". رسالة ماجستير غير منشورة. عمان: الجامعة الأردنية، 1985م.
80. بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. ط12. بيروت: دار العلم للملايين، 1993م.
81. ----- تاريخ الأدب العربي. اشرف على الترجمة العربية محمود فهمي حجازي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.

82. جلوب، جون. امبراطورية العرب. تعريب وتعليق خيرى حماد. ط11. بيروت: دار الكتاب العربي، 1996م.
83. جونز ، مارسون. مقدمة تحقيق كتاتب المغازي للواقدي (207هـ—). تحقيق مارسون جونز. الاسكندرية: دار ابن خلدون، د،ت.
84. حاج محمد، ماهر تحسين عبد الرحيم. "الإمامة عند المسعودي". رسالة ماجستير غير منشورة. نابلس: جامعة النجاح الوطنية ، 2004م.
85. حسن، علي بكر. الطبري ومنهجه في التاريخ. القاهرة: دار غريب، ب ت.
86. الخربوطلي، علي حسني. المسعودي. ط2. ب م: دار المعارف، ب ت.
87. دلو، برهان الدين. مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي. بيروت: دار الفارابي، 1985م.
88. دمغو، عبد الله بن محمد حسن. مرويات الإمام الزهري المعللة. ط1. الرياض: مكتبة الرشد 1999م.
89. الدوري، عبد العزيز. نشأت علم التاريخ عند العرب. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م.
90. روزنثال، فرانز. علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة صالح أحمد العلي. مراجعة محمد توفيق حسين. بغداد: مكتبة المثنى، 1963م.
91. سالم، السيد عبد العزيز. تاريخ الدولة العربية. بيروت: دار النهضة العربية، 1986م.
92. ----- التاريخ والمؤرخون العرب. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2001م.
93. سزكين، فؤاد. تاريخ التراث العربي. نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي راجعه عرفه مصطفى وسعيد عبد الرحيم. السعودية: إداره الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1983م.
94. شحادة، نزيه. من التاريخ الإسلامي 1-132هـ. ط1. بيروت: دار النهضة العربية، 1998م.
95. الشيباني، محمد بن عبد الهادي بن رزان. موقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية (60-64هـ). ب م: دار البيارق والمكتبة المكية، ب ت.

96. الضاري، حارث سليمان. الإمام الزهري وأثره في السنة. القاهرة: منشورات مكتبة بسام، 1985م.
97. طقوش، محمد سهيل. التاريخ الإسلامي الوجيز. ط1. بيروت: دار النفائس، 2002م.
98. العزام، طارق محمد فضلة. النفقات المالية في عهد عثمان بن عفان وأثرها في الفتنة (42-53هـ/446-556م). إربد: مؤسسة حماده للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، 2003، والدمام: مكتبة المتنبّي، 2003م.
99. العظمة، عزيز. المسعودي. ب م: رياض الريس للكتب والنشر، ب ت.
100. فلهاوزن، يوليوس. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية. ترجمة محمد أبو ريده. ط1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1985م.
101. كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب ت.
102. كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتس. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم. ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987م.
103. مرغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب. ترجمة حسين نصار. بيروت: دار الثقافة، ب ت.
104. مصطفى، شاكر، التاريخ الغربي والمؤرخون. ط3. بيروت: دار العلم للملايين، 1983م.
105. ملحم، عدنان محمد، "المؤرخون العرب والفتنة الكبرى" (القرن الأول-القرن الرابع). دراسة تاريخية منهجية. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001م.
106. المنجد، صلاح الدين. اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب. بيروت: مؤسسة التراث العربي، 1959م.
107. مؤنس، حسين، تاريخ قریش. ط1. ب م. دار المناهل للطباعة والنشر، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 2002م.
108. ميكولسكي، د.ف. المسعودي هيروودوت العرب. ترجمة عن الروسية عادل حسن اسماعيل. راجعه نوفل نيوف. ط1. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2006م.

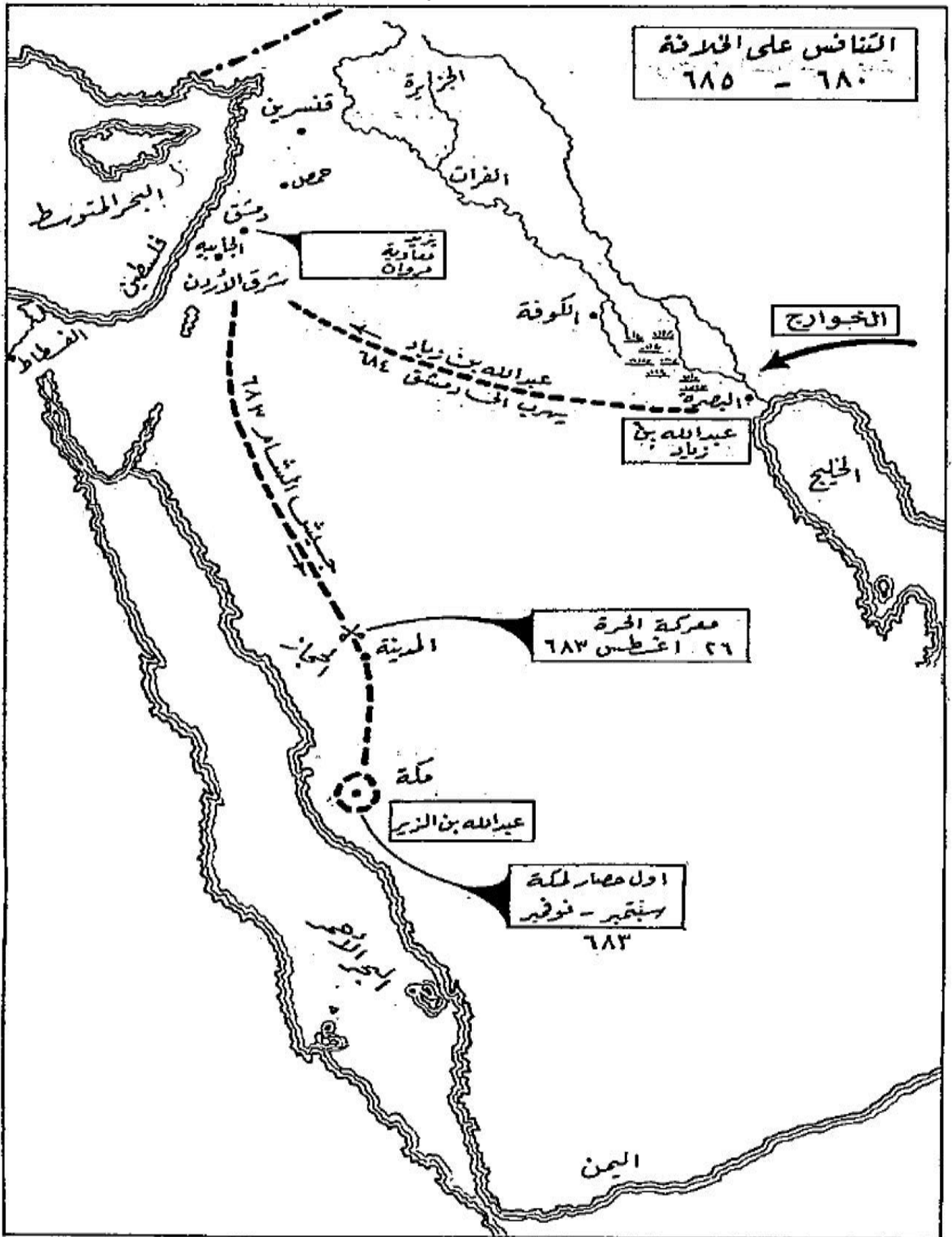
الدوريات

109. أمين وديع؛ "المسعودي: المؤرخ.. الرحالة.. الجغرافي" مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية، ع233، يناير 2005م. ص 40-45
110. حمود، هادي حسين "المسعودي ومنهجه في البحث العلمي" مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ع 91، 1998م. ص 73-82
111. الكساسبة، حسين، وزريف المعاينة "أبو معشر السندي مؤرخاً" مجلة دراسات الجامعة الأردنية، م25، ع1، شباط، 1998م. ص 1-20

المراجع الاجنبية:-

112. M.Lecker. "Alzuhri". E I2. Vol x1. 2002. pp.565-566.
113. Saleh El- Ali. "Awana. B. Al Hakam Al- Kalbi". EI2. Vol 1. 1960. pp760.
114. H.A.R. Gib. "Abu Mikhnaf". EI2. Vol 1. 1960. PP.140.
115. W. Atallah. "Al Kalbi". EI2. Vol. IV. 1978. PP. 494-496.
116. C.E. Bosworth. "Al- Tabari". EI2. Vol x. 2000. pp. 11-15.
117. Muhammad Qasim Zaman. "Al. Yakubi". EI2. Vol x 2002. PP 257-258.
118. Ch. Pellat. "Al- Mas'udi". EI2. Vol VI. 1991. PP 784-789.

الخارطة



جلوب جون - امبراطورية العرب - تعريب وتعليق خيرى حماد ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب العربي 1966 ، ص116.